

T
56A

القصر في الادب العراقي الحديث

تأليف

عبد القادر حسن امين

رسالة مقدمة الى الدائرة العربية
في الجامعة الاميركية ببيروت
للحصول على درجة ماجستير في الاداب

حزيران ١٩٥٥

القصص في الادب العراقي الحديث

فهرست

الصفحة

١ مقدمة
	تمهيد : حركة الادب العراقي الحديث ، الفصل الاول :
١ الشعر
٣ الادب العراقي بين الحربين
٧ الادب العراقي بعد الحرب العالمية الثانية
	الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في نشوء
١٧ القصص ، مقدمة
٢٩ الفصل الثالث : مؤثرات اجنبية
٤٢ الفصل الرابع : حركة الترجمة
٤٦ الباب الاول : الاقصصة العراقية بين الحربين
٤٧ المحاولات البدائية ، مقدمة
٥٢ الفصل الاول : محمود السيد احمد
٦٧ الفصل الثاني : ذو النون ايوب
٨٧ ابطال ايوب
٨٩ اسلوب ايوب
٩٢ الفصل الثالث : عبد المجيد لطفي
	الفصل الرابع : قصاصون اخرون :
١٠٠ ١ - سليم هطي
١٠٣ ٢ - انور شاؤول
١٠٧ ٣ - عبد الوهاب الامين
١٠٩ ٤ - خلف شوقي الداودي

الصفحة

١١٢	٥ - يوسف رجب
١١٦	٦ - لطفي بكر صدقي
١١٨	٧ - عبد الحق فاضل
١٢٢	٨ - سعيد عبد الله الشهابي
١٢٣	٩ - جعفر الخليلي
١٢٥	١٠ - ضياء سعيد

الباب الثاني : الاقصوة العراقية بعد الحرب العالمية

١٢٧	الثانية
١٢٨	الفصل الاول : عبد الملك نوزي
١٣٩	الفصل الثاني : فؤاد التكرلي
١٤٤	الفصل الثالث : شالوم درويش
١٤٨	الفصل الرابع : نزار سليم
١٥٣	الفصل الخامس : شاكر خصباك
١٦٠	الفصل السادس : ١ - صلاح الدين الناهي ..
١٦٨	٢ - عبد الله نيازى
١٧٤	الفصل السابع : قصاصون اخرون
١٧٤	١ - الدكتور صفاء خلوصي
١٧٧	٢ - محمد روز نامجي
١٧٩	٣ - غائب طعمه قرمان
١٨١	٤ - عبد الرزاق الشيخ علي
١٨٣	٥ - مهدي عيسى المقر
١٨٥	٦ - كارنيك جورج
١٨٨	٧ - خالد الدرة
١٩١	الباب الثالث : القصص

الصفحة

١٩٢ الفصل الاول : ذو النون ايوب
١٩٢	١ - الدكتور ابراهيم
١٩٤	٢ - اليد والارض والماء
١٩٩ الفصل الثاني : جعفر الخليلي
١٩٩	١ - الضايح
٢٠١	٢ - في قرى الجن
٢٠٥ الفصل الثالث : كتاب آخرون
٢٠٥	١ - محمود السيد احمد : جلال خالد .
٢٠٧	٢ - عبد الحق فاضل : مجنونان
٢١٠	٣ - حمدي علي : شيخ القبيلة
٢١٢	٤ - عبد الله نيازي : نهاية حب
٢١٤	٥ - علي الشبيبي : رنة الكأس
٢١٦	٦ - خالد الدرة : افول وشروق ...
٢١٠ خاتمة
٢٢٨ اسماء مؤلفي القصص وكتبهم
٢٤٠ المصادر
٢٤٦ المراجع

مقدمة

لم يحظ الادب العراقي الحديث بدراسات واسعة ، توجه ،
وتقدير ، وتسبغ من الرعاية على جهود الناشئين ما يشد من عزائمهم ،
ويرفع من معنوياتهم ، ويسدد خطاهم الى سبل الصواب ، كاشفة عن
السيء الذي يجب ان يتجنب ، مظهره الحسن الذي ينبغي ان يزداد
حسنا .

والقصة واحد من هذه الفنون الادبية التي منيت بالاهمال ،
ولم تلق غير الاعراض من الباحثين ، باستثناء كاتبين : احدهما من لبنان ،
والاخر من العراق ، قديما ، وفي هذه الناحية ، معلومات على غاية من
الاهمية .

لذلك كان من الضروري ان اتوفر لدراسة فن القصص الوليد
في العراق ، دراسة موضوعية شاملة ، تتناول مبداء وسيره الوحيد البطي ،
منذ الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا ، مبينا مختلف التيارات الادبية
الخارجية ، التي كان لها الاثر في نشوء هذا الفن ، وامداده باسباب
الحياة . كما وقفت عند كل كاتب من كتاب القصص ، متأملا طريقته ، ناظرا
في اسلوبه ومزاياه ، باسطة الراى في نتاجه ، معتمدا على دراستي لمعظم
ما اخرجته المطبعة للكاتب ، مع الاستئناس بآراء من تعدى لهذا الكاتب
فنقد اثاره في قصصه واقاصيصه .

وما زال الكثير من قاصصنا في مقتبل العمر ، وفورة الشباب ،
ومعنى ذلك ان حكما يهدر عليهم اليوم ، قد يجافيه الصواب في المستقبل ،
ويتحقق ذلك ، فيما اذا تعهد الكاتب فنه ، واحتفل بمطالعته ، وتأنى
في نتاجه ، من دون ان يخدعه سراب الشهرة ، او ان تطمئن نفسه الى
المرحلة التي وصل اليها فيتضائل طموحه وتخبو وقدة حماسه ، وفي ذلك
تدهوره وانول نجمه .

وهناك عقبات كثيرة تجابه الباحث في امثال هذه الموضوعات ،
 يقف على رأسها صعوبة الحصول على آثار الكتاب الاحياء والاموات على
 حد سواء ، فقد اختفت هذه الآثار من السوق كما اهملت المكتبات العامة
 الرسمية ، وغير الرسمية ، ان تترود بمجموعة كاملة منها ، تعين الباحث
 على عمله . واغرب من ذلك كله ان الكتاب انفسهم ، قد لا يتوفر لديهم ،
 البعض من نتائجهم ، فكان لا بد من العناية الشديد ، والجهد المتواصل
 للظفر بالكتب المختلفة بالبحث عنها في الزوايا المهملة . وقد اتاحت لي
 الفرص القليلة مقابلة بعض المعنيين بشؤون الادب الحديث في العراق ،
 ومعالجي الفن القصصي فوقفت منهم على الكثير من الفوائد ، وتعرفت على
 مختلف النزعات والاراء الخاصة ، فيما يتعلق بماضي هذا الفن وحاضره
 ومستقبله .

ولم اهل العدد العديد من الصحف المحلية ، وغير المحلية ،
 اذ مضيت اقلب صفحاتها ، واتحرى اخبارها ، ويوسفني ان الكثير مما
 انطوت عليه تلك الصحف ، لا يخلو من شخصين : قاذح همه القذح وابرار
 المساوي ، ومادح ينظم عقود المديح وقلائد الاطراء ، والباحث لا بد
 له من ان يقف حذرا ، لينتقى تلك المزاليق ، ويتجنب ما لا خير فيه ،
 ولا يعود بالفائدة على الحقيقة الواقعة .
 وارجو ان اكون قد وفقت في عملي هذا .

القصص في الادب العراقي الحديث

مـوجـز

المقدمة

اعربت فيها عن ان هذا الموضوع بكر ، لم بطرقه غير اثنين الا انهما لم يوفيا الموضوع حقّه ، وذكرت الصعوبة التي جابهتها من جراء فقدان المصادر الاولية وعدم توفر البعض منها حتى لدى مؤلفيها ، ونوّعت بالفائدة الكبيرة التي عادت على البحث باتصالاتي الشخصية بمعالجي هذا الفن .

تمهيد : حركة الادب العراقي الحديث

لما انقشعت غيوم الدولة العثمانية ، بانتهاء الحرب العالمية الاولى ، طرأ تطور كبير على فنيين من فنون الادب : هما الشعر والقصة . بدأ الشعر ، اول الامر ، في صورة امتداد لشعر القدماء ، وتقليد في المضمون والصورة ، ومنذ ابتداء الحرب العالمية الثانية ، سرى تيار جديد ، احدث انقلابا في شكل الشعر ومادته ، وغدا اقرب الى الشعب ، والصق بالامّ الناس وامانيهم .

اما القصة ، فقد بدأت متأخرة عن اختيها في لبنان ومصر ، ولذا راحت تقلد وتنسج على غرار القصص في البلدين الشقيقين ، متأثرة بالعوامل الغربية نفسها ، التي تعرضت لها القصة العربية ، وأسهمت في ذكر الموثرات المساعدة في نشوء القصص ، مثل الصحافة

وحركة الترجمة ، وتطرفت الى ذكر اثر المدارس الادبية العربية مثل المدرسة الرومنطقية والمدرسة الواقعية ، والمدرسة الاميركية

الباب الاول : الاقصوة العراقية بين الحربين

بدأت الباب هذا ، بمقدمة عرضت فيها لابي الثناء الالوسي في القرن التاسع عشر والمعت الى مقاماته بصورة عامة ، والى المقامة الخامسة بنوع خاص ، لاني وجدت فيها ادراكا ووعيا كاملين في كتابة القصة ، وربطت ذلك بمسرحية سليمان فيضي المسماة " بالرواية الايقاظية " لقرئها من مقامة الالوسي مضمونا وشكلا .

ولكن في محمود السيد احمد ، بدأت القصة ذات الاثر الغربي الذي انساب اليها عن طريق الادب التركي والعربي ، فكان السيد رائد هذا الفن ، وباعث الحماس في نفوس الآخرين من الكتاب على تبنيته ورفع رايته ، فدخل ميدانه طائفة من الكتاب ، يقف على رأسهم ذو النون ايوب ، الذي انما ز بكثرة نتاجه ولصوقه بالواقع وعدم احتفاله بفتية القصة او الاقصوة ، حرصا على ان يسرد كل ما تجيش به نفسه ، ويضطرب به وجدانه . ووجد الى جانب السيد وايوب ، كتاب اخرون في هذه المرحلة ، هم عبد المجيد لطفي ، وسليم بطي ، وانور شاول ، وعبد الوهاب الامين ، وخلف شوقي الداودي ، ويوسف رجب ، ولطفي بكر صدقي ، وعبد الحق فاضل ، وسعيد عبد الله الشهابي ، وجعفر الخليلي ، وضيأ سعيد .

الباب الثاني : الاقصوة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية

نجد في هذا الباب المرحلة الثانية من مراحل الفن القصصي العراقي . يبدو - في هذه المرحلة - الاثر الغربي ، اوضح ما يكون ، ذلك لان كتابها لم يكتفوا بما يرد اليهم من نتاج البلاد العربية ، بل راحوا يتعللون انعمالا مباشرا بتيارات الادب الغربي عن طريق مطالعة روائع القصص العالمي . ويعتبر عبد الملك نوري خير قصاص عراقي تمثل الادب الغربي واستوعبه ، ويخص باعجابه الشديد الكاتب الايرلندي جيمس جويس ، وقد حذا حذو عبد الملك واقتفى اثاره نفر من القصاصين مثل : فؤاد التكرلي ، ومحمد روزنامجي ، وليس من العسير ان تعثر على تلك الاثار الغربية في نتاج الآخرين من امثال : شالوم درويش ، نزار سليم ، شاكر خصباك ، صلاح الدين الناهي ، صفا خلوصي ، غائب طعمة فرمان ، وعبد الرزاق الشيخ علي ، الخ .

الباب الثالث : القصة

يميل القصاصون العراقيون الى كتابة الاقصوة كثيرا ، لذا كثر نتاجهم فيها ، ويلوح الي ان ميلهم الى كتابة القصة ضئيل ، بدليل قلة ما صدر الى السوق من هذا النوع . ويجنح العراقيون في كتابة القصة الى الكشف عن مشاكل المجتمع العراقي بكاملها ، فذو النون ايوب عندما كتب " الدكتور ابراهيم " ، استهدف الى ان يضرب المثل لصنف من الموظفين همهم جر المقانس ورعاية مصالحهم واهمال المسؤوليات التي تحتها واجباب الوظيفة . وهو

في " اليد والارض والماء " يحكي قصة الطمع والجشع وسيطرة المتنفذين
وتكالب اصحاب النفوذ على استغلال كل شيء لمصلحتهم . وفساد
رجال الادارة ، وانكشاف الفلاح العراقي امام عوارض الطبيعة
العارمة التي تفتك بالزرع والضرع .

وعندما يكتب جعفر الخليلي قصة ، انما يسمى الى العبرة
والعظة وتصوير اخطاء المجتمع والفرد العراقي وبعض عاداته القبيحة ،
ومعتقداته الضارة . وهكذا الامر فيما كتب محمود السيد احمد في
"جلال خالد " وخالد الدرة في "افول وشروق " ، فقد عرضوا
قطعا كاملا من الحياة الراهنة ، والقوا عليه كثيرا من الضياء الكاشف
عن سؤات هذا المجتمع .

ولا يغرب عن البال ان اهتمامهم بغنية القصة قليل جدا ،
لا يؤهل ما يكتبون ان يقف في مصاف ما يكتبه زملاؤهم العرب في
البلاد العربية .

ويسرى هذا الحكم على الآخرين من كتاب القصة وهم :
حمدي علي ، عبد الله نيازي ، عبد الحق فاضل ، علي
الشبيبي .

خاتمة

اشرت فيها الى اهمية هذه الدراسة ، لكونها جهدا
مستكمل الجوانب احاط بجميع من كتب في هذا الفن ، استهل
بمقدمة وتمهيد وختم بنتائج مستخلصة ، على ضوء استعراض
جميع الاثار .

واشرت الى المرحلتين الزمنيتين اللتين قسمت

البحث بعوجهما ، ملما بخصائص كل مرحلة ، ملما الى التطور الذي اصاب المفهوم القصصي لدى الرعيل الثاني .
وكان لا بد لي من عقد مقارنة بين القصة العراقية والقصة العربية لارى اين تقع هذه من تلك .

واجملت البحث في اسباب الضعف الهادي في هذا الفن ، وعزوت معظم هذه الاسباب الى فقدان البيئة الادبية ، واختفاء وسائل النشر الادبي ، بعدم انتظام صدور المجلات الادبية ، كما كان الجهل باللغة الاجنبية عاملا خطيرا في تخلف العراق الادبي . ولم اغفل الاشارة الى ما للمرأة من اثر عظيم في نهضة مرافق البلد الادبية والاجتماعية وغيرها ، ورددت ما يبدو من ضعف في الفن القصصي ، الى ضعف اثر المرأة في المجتمع وعدم اشتراكها بصورة تامة في الحياة على قدم المساواة مع الرجل .

وخصمت اللغة جانبها او كافر ، لانها مشكلة المشاكل ، اضرب في امرها القصاصون العراقيون ايما اضطراب ، منهم من يحد استعمال العامية في الحوار وغير الحوار ، ومنهم ما زال يؤثر اللغة الفصحى ويستعجن ما سواها . وارى ان الطريق الوسط اسلم ، لانها تقودنا الى لغة لا تعلو على افهام العامة ولا يستخف بها الخاصة ، ويتم ذلك ببذل مجهود كبير يقلص الفوارق بين العامية والفصحى .

وختمت الامر كله ، ناعيا على قصاصينا ميلهم الجارف الى تصوير الجوانب المعتمدة من الحياة ، مصرّحا ان مهمة الادب واسعة كسعة الحياة ، فلا يصح ان يقتصر على امر ، والاعراض عن غيره ، بل يحسن ان يجعل الاديب لجناحيه مضطربا واسعيا ،

ناظرا نظرة ملوها التفاؤل والخير .

.....

اسماء مؤلفي القصص وكتبهم

والحق بالبحث كشفا بجميع ما استطعت الوصول اليه
ومعرفته من كتب في القصة والاتصوفة ، تسهيلا لمن يزعم بحث
هذا الفن وتنويعا بجهود القصاصين العراقيين الذين ما زال
الطريق امامهم محفونا بالمصاعب .

تمهيد

حركة الادب العراقي الحديث

الفصل الاول

الشعر

الفصل الاول

الشعر

الادب العراقي قبل الحرب العظمى

عانى العراق كثيرا منذ غزت جيوش هولاكو بغداد وانت على
البقية الباقية من معالم الحضارة ، فخيم الظلام ، وتبلدت القرائح ، وشغل
الناس بالتوافه من الامور .

وقد بلغ السوء اقواءه في القرن التاسع عشر ، كانت فيه المدينة
التاريخية نهب الغزاة الفاتحين من الفرس والأتراك ، شقى أهلها ايما
شقاء ، وامتحنوا في عقائدهم وامنهم افطع امتحان . اضيف الى ذلك ان العوامل
الطبيعية لم تكن اخف وطأة من قسوة الحرب وويلات التفتيل والتشريد ،
فكان دجله والفرات يمران على المدن ليحilla القليل من العمارة القائمة
الى خرائب تنعق عليها البوم وتهوم فوقها طيور الماء ، وفي ذيول
ذلك تفد الموجة ^{الوردية} تحصد الناس حصدا ، فتغلق بيوت برمتها وتخلو احياء
على بكرة ايها .

وقد تمثل اندح الهلاك في جهل العثمانيين وتأخر عقولهم فكان
حكمهم حكما غشوما قائما على احياء النعمرات الطائفية وافناء التراث العربي
وقتل الروح المدركة الحساسة حتى انهم كانوا يدرسون النحو العربي
باللغة التركية ، فلا يجب ان تخلو ربوع العراق من علماء اعلام ، وادباء
مبرزين ، وشعراء فحول يحيون الامجاد الغابرة .

ومع ذلك فقد كان هنالك تياران - وان لم
تكن لهما قوة التيار وتدفعه : هما تيار العلوم الدينية الذي

بلغ اوجه في " ابي الثناء " شهاب الدين الالوسي " صاحب التفسير الجليل الموسوم بروح المعاني ، وفي الشيخ محمد حسن صاحب " جواهر الكلام في الفقه " ومؤسس الاسرة الجواهرية في النجف الاشرف ، وفي الشيخ مرتضى الانصاري صاحب " الرسائل " " والمكاسب " . (١)

واما التيار الثاني فيتمثل في الشعر الذي انقلب الى صناعة قائمة على وصف الكلمات معنيها بالزخرف البلاغي في صور بليدة ومعاني مبتذلة/ في اغراض اكثرها دورانا على السنة الشعراء: المديح والرتاء ولم يعرفوا " التعمق في فلسفة الحياة وتصوير المجتمع " . (٢) ومع ذلك فهي ذخيرة ادبية تصل الماضي بالحاضر ، تركز في مدرسة النجف ، تلك المدرسة التي اتخذت من الصحراء المحيطة بها حاجزا يبعد عنها نور التجديد ويحرمها سمات الحياة التي طفقت تهب على الشعر العربي ، تهيم بالماضي مصيرة اياه مثلها الاعلى .

ونحن نظلم مدرسة النجف كثيرا ان خصصناها بالجمود والثبات على القديم ، فهناك شعراء في بغداد والموصل وغيرها من مدن العراق كانوا يجترون محفوظاتهم من الشعر القديم ، يعيدونها ثانية في موضوعات الرثاء والمديح وغير ذلك .

ويتفاوت الشكل عند هؤلاء قوة وضعفا ، وهو يتدنى كثيرا في شعراء كالاخرس والفاروق العمري وجعفر الحلي ، في حين تسمو الصورة عند حيدر الحلي وتتجلى روعتها عند الشاعر الناصر محمد سعيد الحبوبي . ولو وجد شعر الحبوبي من العناية ما وجد شعر البارودي في مصر لما قل اثره عن اثره في جبل الرواد قيد أنملة ، وسيظل اللغز قائما في حياة الحبوبي فقد وصف الحب والخمرة وصف خبير مجرب يحسن الوصف ويحسن بالانثر ولكنه كان ناسكا فقيها (٣) يستبعد اتيانه الحرام في السر

(١) الدكتور محمد مهدي البصير " نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر " ص ١٠ .

(٢) علي الخاقاني " شعراء الحلة والهابليات " ص ٠ ز .

(٣) محمد مهدي البصير " نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر " ص ٢١٠ .

والعلائية . ولعله نتاج قريحة وقادة تجيد التقليد حتى ليلتبس على
الخبير تقليدها .

الادب العراقي بين الحربين

- ١ -

كان لا بد لذلك الشعور بالظلم ان يتسع ويتقوى في نفوس
العراقيين ، بعد ان وجد غذاءه واستمد قوته ونموه من تلك الانتفاضات
القومية ، التي قامت بها العناصر غير المسلمة مثل اليونان والارمن - صارخة
في وجه الظلم العثماني واستبداده ، مهتدة بحركة سرعان ما وجدت تجاوبا
لدى سائر القوميات الخاضعة لعلم الخلافة المتداعية .

وخير من يمثل تلك الفترة (واستدادها الى منتصف العقد الرابع
من القرن العشرين) هما الشاعران : الرصافي والزهاوي .

ولد الرصافي سنة ١٨٢٥ في حي "القره غول" من بغداد
القديمة . (١) وفي سنة ١٨٦٣ ولد جميل الزهاوي . (٢) وقدر لهذين
الرجلين ان يتفقا في كثير من الامور ، فقد اسهم كل واحد منهما في
الحياة العامة ، وخبرا الوضع السيء في الدولة العثمانية عن كتب ، فخرجا
من ذلك بتجارب تكاد تكون واحدة ، ونهلا من منبع الالام الذي اوجده
وضع بالغ السوء .

وكانت الوطنية الارمنية وما اتصفت به من ضروب البطولة والتضحية
والعبر على الجهاد خير معلم لهذين الشاعرين ، فأمننا بحق هذه الشعوب
بالحرية والانعتاق ، بعد ان رزحت طوال اجيال مظلمة ، تحت اسلوب من
الحكم ، لم يشهد له التاريخ مثيلا في التفسخ والفساد ، وانعكست امال النفر

(١) مصطفى علي ، "محاضرات عن معروف الرصافي" ، ص ١ .

(٢) رفائيل بطي ، "الادب المعصرى في العراق العربي" ، ص ٧ .

القليل الذي انقشعت عن عينيه غشاوة القرون فتبين سبيل الجهاد فسي
ادب هذين الشاعرين . وسرعان ما ادركا سبيلهما الى الشهرة الواسعة
عن طريق الشعر السياسي والاجتماعي ، حتى لقد كانت القصيدة التي
يقولها الزهاوى او الرصافي تجد صداها مرددا في اركان الامبراطورية
الواهنة فتحدث في النفوس من الثورة والسخط ما تحدث .

ولما حلت سنة ١٩٠٨ واطل الدستور العثماني كانت فرحة
الشعب قد تمتلئ باجلى مظاهرها في قصيد هذين الشاعرين ، ولكنها
فرحة لم تطل ، اذ ما كاد شبح عبد الحميد يتوارى من اروقة قصر
يلدز ، حتى كان الاتحاديون يسلكون سبيلا لم يكن اقل تعسفا من سبيل
عبد الحميد ، كما نشطوا في احياء القومية الطورانية ، فكان ذلك بمثابة
الشرارة التي فجرت نيران الوطنية والقومية في نفوس العرب ، واتجه
الشاعران وجهة اخرى فهاجما الاتحاديين ولعنا سياستهم الغاشمة .

- ٢ -

ودأبا يسجلان بشعرهما الواقع ، ويصوران الانتفاضات حتى كان
الاحتلال الانكليزي للبلاد واشتعال الثورة العراقية ، فاذا الزهاوى
يرى فيها رأيا اخر ، ساء ظن الناس به - لاجل هذا الرأى - وزاد
الطين به " ما اسندته السلطة المحتلة من مناصب للزهاوى " (١) .
ولكن الرصافي ظل شامخ المكانة ، شاعر الحرية ، قائد النضال
الفكرى ضد الطغيان والاستعمار ، ابى النفس عزيزا حتى توفاه الله ،
وكان لسان حاله يقول :

احريتي اني اتخذتك قبلة اوجه وجهي كل يوم لها عشرا

ولم يخرج الرصافي والزهاوى عن اسلوب القدماء في النظم ،
ولكن الشكل امتاز عندهما بالبساطة والسلاسة وان بلغ حد الابهتال - في

(١) ناصر الحاني ، "محاضرات جميل الزهاوى" ، ص ٣٩ .

بعض الاحيان - عند الزهاوى . وتلك البساطة في النظم صورت امال
والام الجيل الطالع ، وهذا مرد تلك الشهرة والاحترام الكبيرين اللذين
تمتع بهما الشاعران .

كانت النزعة الاجتماعية اقوى واصدق في الرصاني منها عند
الزهاوى " لان نفس الرصاني انطوت على كثير من المروءة والحنان والشفقة ،
فكان دائم التفكير في هذه الطبقة الشقية المحرومة التي نهذا المجتمع " (١)
ولانه كان واحدا من ملايين المحرومين ، ذاق الفقر في مستهل حياته
وقاس مصائبه في شيخوخته ، لهذا كله جاءت قصائده لوحات بالغة
التصوير عميقة الاثر تعصر القلب وتستدر الدموع .
ولكن الزهاوى لم تعش^{سبي} له الاقدار طفولة بائسة كالتى عاشها
الرصاني فقد كان " ابن العلامة محمد فيض مفتى بغداد الذى ينتسب
الى امراء الاكراد من آل باهان " .

ولكن اسخف ما تورط فيه الشاعران نظمهما ما كان يعلّق
بأذهانهما من مطالعات علمية ، افسدا به روح الشعر وجوهده وظهر
بمظهر الطفل الصغير يشغف بلعبة جديدة ، يقلبها ذات اليمين وذات
الشمال ، ويطيل النظر اليها مأخوذا بهجتها .
وما يحدد للرصاني اقتصاده في هذا الشأن^(٢) على النقيض من
زميله الذى شغفه الامر جدا .

- ٣ -

في هذه الفترة - فترة بين الحريين - يطالعنا شعراء
استطاعوا الانطلاق - بعض الانطلاق - من اسر تلك القيود الثقيلة ،

(١) شوقي ضيف ، " دراسات في الشعر العربي المعاصر " ، ص ٤٣ .

(٢) مصطفى علي ، " محاضرات عن معروف الرصاني " ، ص ١١ .

قيود التقليد ، فعاشوا " لذاتيتهم " .

يقف في الطليعة محمد رضا الشيبى ، بجيد صياغة تجاربه فسي الحياة صياغة مبدعة تتجاوب مع النفس وتحس في نغماتها هدوء الرجل الكيس الذى خبر الحياة ، فتتلف معانيه القلب قبل الاذن . ومهما اضطربت عاطفته فان قصيده يحتفظ بهدوئه وتخرج اليك ابياته كحكمة استكملت جوانبها لتنتقل على افواه الناس وتسير بينهم مستعذبة لا يمل تكرارها .

هذا فيما اذا ارسل نفسه على سجيته ونسي ثقافته القديمة الراسخة موقتا ، والا فهو شاعر يهيم بالشريف الرضي والمعري وينام في ظلالهما الوارفة قرير العين مستمتعا بما افاء الله عليه . " وللشيبى شبه من شاعر لبنان الكبير امين بك ناصر الدين المنزوى في كبرمتى . فهذه الديباجة المناسكة كالدقس اللعنة كالارجوان تقرب با بين الرجلين ، وهذه الثورة الملتفة على نفسها التفافا لولبيا كالعصار هي هي في ديوان الشاعرين . (١)

وثاني المنشقين على المدرسة القديمة هو احمد الحائى النجفي . وقد استطاع ان يوسع افقه ، بعد ان اعلن القطيعة التامة بما كان يشده من اواصر بالقديم ، فاكسب بذلك شعره ذيوعا . اتخذ مما يحيط به من انسان وجماد وحيوان مادة لشعره ، ولكنه لم يستطع الا ان يحتفظ بالقوالب القديمة كذكرى عزيزة لا يريد لها وداها ، كما ان بيئته الجديدة في لبنان وسوريا كانت قليلة الاثر في احداث تطورها في نتاجه ، فهو لم يستطع ان يتفاعل معها لبنهل من بعض خصائصها الغربية حتى انه ضن بالكونية والعقال ان تبرحا رأسه الكبير عقلا لا شكلا .

— ٤ —

تمثل ثورة العراق حدثا هاما في تاريخ البلد ، وانتفاضة

(١) مارون عبود ، " مجددون ومجترون " ، ص ١٤٥ .

وطنية رائعة ، ذات دلالة كبيرة على ان عرق الحياة في هذا الشعب ما زال تاهضا بقوة ونشاط ، ولكن هذه الثورة لم تستطع بضروب البطولة التي انطوت عليها ، واغابن التضحية التي بذلها ابناؤ هذا الوادي ان تلهم الشعراء والكتاب ادبا فيه خصائص آداب الثورة ، تلك الاداب التي ظلت تراثا مقدسا تعتر بها الشعوب وتستمد منها الكرامة والمتعة وتقيم بها الدليل على الاصاله في المجد والحياة النبيلة ، التي تأبى ان يقضى عليها بالذل والهوان .

مع ذلك ، فقد نستطيع ان نعثر في صفحات بعض الدواوين على شعر ، ولدت له تلك الانتفاضة التاريخية ، افضله واروعه واسيره قصائد الدكتور محمد مهدي البعير ، لا يعيبها كونها خطابية ، - فللشعر الخطابي رسالته - ، يندر ان تجد متعلما في العراق قد اكمل الدراسة الابتدائية لم يستظهر بعضا من تلك القصائد . وهي - في الواقع - خير غذاء روحي للناشئة ، تلهب في صدورهم نار الوطنية ، وتؤجج الحماس في النفوس . يبدأ بها الطلاب يومهم المدرسي منذ قيلت حتى يومنا هذا ، تحدثهم بقوة واصرار عن مستقبلهم ودورهم في الحياة .

~~ونبت الثور ونشوره ونراي الحق ونعصده~~

الادب العراقي بعد الحرب الثانية

- ١ -

بدأ الادب قبيل الحرب العالمية الثانية يتجه اتجاه عقائديا . وسلك هذا الاتجاه سبيله الى القوة والعنف خلال الحرب ، وما كاد العالم يركن الى الهدوء وتهدت المدافع حتى شب صراع قاسم انقسم العالم فيه الى معسكرين كبيرين ، واضطرت نيران حرب كلامية ، ساهم الادب فيها باوفى نصيب ، وهنا تجد نغمة الشعر قد تبدلت في مضمونه وصوره ، فبعد ان كانت الوطنية الخالصة تقف جهودها على الدفاع عن

الوطن بمجموعه ، وتشيد بامجاده وتتغنى بامانيه وتنمى على المستعمرين
والطفاة ظلمهم وجبروتهم ، وتهكي الفقر وتدعو الى ازالته دعوة انسانية
خالصة ، اذا بالشعر يتخلى عن مهمته هذه ليكون لسان احد المعسكرين
المتخاصمين ، يوم يدمر معسكره ويناهض الاخر ، يرشفه بشتى التهم ، اقلها
الخيانة وصنائع الاستعمار ، وامست نغمة الفقر والهكاه على الطبقات الضعيفة
والعمال ذات مفاهيم جديدة مستمدة من مفاهيم المعسكرين المتنازعين .
والواقع الذى لا جدال فيه ان هذا اللون من الصراع المبدئى
اكسب الشعر بشقيه مضمونه وصورته قوة ، واكسبه شعبية لم تكن لتتاح
لشاعر اطمأن الى القديم وانس بحداء الابل .

من هؤلاء الشعراء محمد المهدي الجواهري وكان في ديوانه
الاول (١) لا يكاد يقف في الصف الاول حتى ترده عنه تلك الصور الملطوفة
التي تعارف شعراء العراق في هذه الفترة على طرق ابوابها ، تخذلها
ديباجة لا يميزها حنين ولا تسو بها متانة :

وابنى عليه مجلسا لي ثانيا اضيع الكاك عليه رواتها (٢)

ثم انظر هذا المطلع الواني يبدو التعب والتكلف عليه لاول
وهلة مع ان اساتيدنا وخلاننا في هذا النوع من القريض يضعون للاستهلال
اهمية بالغة قال :

ودعت شرح صباى قبل رحيله ونصحت منه ولات حين نصوله (٣)

ولا ريب عندى ان الرجل في حاضره يأسف كثيرا لما بدأ
منه في ايامه الاولى حتى انصاع الى ان ينظم الشعر في بعض المناسبات
قال :

(١) ديوان الجواهري ، مطبعة الغرى ، سنة ١٩٣٥ ، النجف .

(٢) المصدر السابق من قصيدته الانانية ، ص ٨٠ . والكاك جمع مفرد
" لك " وهي كلمة هندية تعنى مائة الف .

(٣) المصدر السابق من قصيدته " الطبيعة الضاحكة في سامراء " ، ص ١١ .

ارى رأس "ابن سقا" محالا يطيق بتاجك الالىق اطلاقا
بلى وأظنه عما قريب سيشكو من تحمله الصدا (١)

ولكن الجواهرى في طوره الثاني رجل ثورة يريد الانتقام
وينادى بالويل والثبور على الطفلة ، تحس في ابياته اثار النفس الدامية
الناثرة :

تقم لعنت فما ترتجبي من العيش عن ورده تحرم
أوجع من انك المزدري واقتل من انك المعدم

وهو يحيى هذا النثر المقتحم ويمثله بالنصر ، فالطريق امامه واضح والنصر
مضمون :

سلام على حائد نائس على لاحب من دم سائس
يخب ويعلم ان الطريق لا بد يفضى الى آخر (٢)

وتبدو المفاهيم الجديدة اوضح واصرح في مطولته "عالم الغد" فقد حمل
فيها على النظام الرأسمالي وساء متهمكا نظام الاحسان والصدقات :
يا نظام الاحسان والصدقات واقتطاع الاجراء والنفقات

من حساب الاسلاب والسرقات

واحتضان اللقيط في الطرقات

واحتيال القانون للطبقات

موبات ترم بالموبات

يربأ الكون وانقا مقداما ما شيا - والانوف رغم - اماما

غازيا بهورة العقول اقتطاما

تاركا خلفه الرياء حطاما

ان ترى انت للشعوب نظاما (٣)

(١) من قصيدته "وداعا امان الله" الذي ثار به "بجه سقا" فاغتصب العرش

ولكنه شفق بعد ايام قلائل ، "ديوان الجواهرى".

(٢) جميل سعيد ، "نظرات في الادب العراقي الحديث" ، ص ٨٤ .

(٣) انيس المقدسي ، "الاتجاهات الجديدة في الادب العربي الحديث" ص ٢ ،

الطبعة الاولى ، ١٩٥٢ ، لبنان بيروت .

هذا النوع من الشعر كان الناس يصفقون له اعجابا به ، فقد صادف هوى في نفوسهم ومن اوتارا ، طالما نَدَّ منها ذلك اللحن الثائر . ولكن ، لكل ثورة نهاية تستكين عندها نوازع النفس ، وينطفئ " اوارها المتقد فيعود الشاعر لاجئا " الى ذاتيته " يعيد النظر فيها ويودع عواطفه قريضة .

وهكذا يبدو ان الجواهرى قد مال عن ذلك " الطريق الذى يفضى الى اخر " فامسك انفاسه المبهورة بعد ان اعباه الجرى ، وبركوه الى الاستجمام عاد اليه ظل القديم يلفه برواءه :

هينى لم اسلف جميلا ولم اقل	جميلا ولم تخضب علي ثياب
ولم ازج تلك التضحيات كريمة	بها راح يجرى مدح ويثاب
ولم ادع للجللى كقيس ورهطه	وللخيس تدعى خشم وكلاب
فهل انا الا من سواد نقائمي	الى نقص ازكاهم حصى وتراب (١)

- ٢ -

ولعل خير من تتمثل فيه الثورة باجلى صورها حتى اودت بحريته فالتته في غياهب السجون متهما بالترويج لبدا معين هو محمد صالح بحر العلوم ، يزواج بين الصورة والمحتوى في سهولة ويسر لا تعلوان على افهام تلك الطبقة التي نصب نفسه مدافعا عنها ليضرب على مشاعر شعب مثقل بالمتاعب :

حتى م يا فلاح تجهد	والجهود بلا اجور
ما من جزاء للأبياد	الشاهدات ولا شكور
ماذا جنيت من النخيل	وما انتفعت من التمور
وهل ادخرت لعيش عساك	غير صاع من شعير (٢)

(١) من قصيدة بعنوان " حنانيك نفسي " نشرت في " الاداب " ، العدد

الاول السنة الثالثة ، كانون الثاني ١٩٥٥ .

(٢) جميل سعيد ، " نظرات في الادب العراقي الحديث " ، ص ٧٧ .

- ٢ -

اطلقت علينا فترة شعراء الشباب ، اولئك الشباب الذين تهباً لهم ان ينهلوا من الثقافة الحديثة كثيراً وان يحبوا منها ما شاء لهم حماس الشباب وفورة الدم المتدفق ، فاستقر في نفوسهم بغض الماضي واطمانوا الى ما يردهم من الغرب ، وجدوا فيه التجديد كله وطفقوا ينظمون ما اجتروا ، تعمدوا ذلك تعمداً حتى يقال : ان فلانا متأثر بالشاعر الغربي فلان وكفى بذلك فخراً وحسبه تجديداً . ولكن فاتهم ان الاثر الذي لا يمثل بيئة الشاعر ويعتمد عناصره من مقومات الحياة التي يحياها بين شعبه ادب تزوير لا ادب اصالة ، وهو كقذاعات الصابون سرطون ما تنتفخ وتنعكس عليها اشعة الشمس الوانا براقاً كالوان الطاووس ، لكن النسمة اللطيفة تذهب بها وتذروها هباءاً .

ان خير الشعر ما يترك في النفس اطول الاثر وابقاه ، ولكن الناظرين من الشباب ليس في مقدورهم ان ينظموا شعراً تردده الافواه وتستسيغه الاسماع مدة طويلة ، ليفعل فعله الاكيد ويبلغ رسالته نحو هدف سام بل هو اقرب الى الحديث الذي تلتقطه الاذن حيناً وتجد فيه بعض اللذة ولكن النسيان ما يلبث ان يطويه بين استاره السمكة . وقد يعيا العقل ان يستوعب بعضه ، ذلك لما ران عليه من ظلال غامضة ، قد يجد الشاعر في نظمها رياضة ولذة ولكن "القارئ العربي ينهرب من الشعر الرمزي لان اللغة تجابه التعبير عن مثل هذه الاحاسيس البهيمية اول مرة " (١) ولا يغرب عن البال ان القارئ العربي ينهى له ان يصحب معه معجماً بالمصطلحات الشعرية حتى تنكشف امام ناظره مغاليق الابهام وتضاء عند قدميه دهاليز الديجور الحالك . "وما لا شك فيه ان "الوضوح هو الصفة الاساسية في الادب

(١) نازك الملائكة ، "ديوان شظايا ورماد" ، ص ١٥ .

الشعبي . (١) الذي يجب ان يكون طابع ادب الشباب .

لست من خصوم التجديد ، اذ لا طاقة لاحد ان يقف في تيار
الجديد ، فالعلم في تقدم مجنون ، تنحسر فيه المسافات عن دنيا واحدة
وجيرة متفاربة ، ولا مكان لمن يطيل الوقوف على ظلل الماضيين من
أسد وتميم ، ولكنني لست ارى صوابا ان نغنى^{لنفي} شخصيتنا في الآخرين
ونطمس خصائص البيئة العربية مرة واحدة . ولعل مرد هذا الاندفاع
في اقتباس الصور والالوان والمصطلحات من الغرب مركب النقص الذي
يحرص به المستضعف احساسا قويا " ولولا مركب النقص فينا لأن لنا ان
نستقل عن الغرب وان نخلق ادبا بينه وبين ماضينا وحاضرنا ، وبين
سمائنا وارضنا ، وبين ما تعمر به قلوبنا وافكارنا تجانس وتقارب وتجاوب " (٢)
ولكن العقبة الوحيدة التي تقف في طريق استقلالنا عن الغرب هي هذه
التيارات المنحدرة اليها منه والتي شرعت تعمل بقوة في عملية " استغراب "
كبرى لا حيلة لنا في دفعها .

— ٤ —

استطاع اربعة من الشبان ان يشقوا لهم طريقا واضحا وسط
معركة القديم والحديث وان يحملوا الصحافة على الاهتمام بامرهم .
بدأ ثلاثة منهم بداية رومانتيكية مفعمة بالعواطف الجياشة
والطبيعة الساحرة ، وهم نازك الملائكة ، في ديوان " عاشقة الليل " وبدر
السياب في ديوان " ازهار ذابلة " وعبد الوهاب البياتي في ديوان
" ملائكة وشياطين " .

شعر نازك في " عاشقة الليل " " حديث قلب منكوب اثار نكباته
سخط الشاعرة على الناس اجمعين " ، (٣) وابن ولده ضغط التقاليد العمياء

(١) المرجع السابق ، ص ١٢ .

(٢) ميخائيل نعيمة ، " من محاضرة في الادب العربي الحديث " ، ص ١٢ .

(٣) مارون عبود ، " مجددون ومجترون " ، ص ١١٠ .

التي لا يزال المجتمع يزرع تحت اعبائها . لقد كانت وهي تلميذة في دار المعلمين العالية تخشى الناس ككل فتاة عراقية اتيج لها لأول مرة ان تخالط الشباب بعيدا عن رقابة الاهل ولكن الخوف . . . الخوف من العيون الراصدة والالسنه الحاقدة التي تدور في الشراكر ما تدور في الخير كانت تقيد خطواتها وتحد من مجال انطلاق عواطف يولدها حس مرهف دقيق الرهافة ، وشاعرية عارمة يضيئها الاسر الطويل الذي عاينه الفتاة العراقية المسلمة - بصفة خاصة - فلا غرو ان نجد في شعرها حشرجات الموت واثار الدموع المدرارة .

تحب الفتاة - استجابة لغريزة اودعها الله فيها - ولكنها لا تستطيع ان تملأ عينيهما بمن تحب ولا تستطيع ان تقرب من هام القلب به واكتوى بنباره ، فماذا تكون النتيجة ؟ نحيب والام يطفحان بالرغم منها ،
 جئنتي والشباب باك بعيني وحولي كجنازة الاحلام
 رغباتي دفنتها في ثرى الماضي قلبي ما عاد غير حطام^(١)

ولكن الفتاة تغلف هذا الامر بغلاف الكبرياء ، واحبب بها من كبرياء ،
 لا تسليني عن سرادمي الحرى فبعض الاسرار يأبى الوضوحا
 بعضها يوتر الحياة وراء الحس لغزا وان يكن مجروحا
 بعضها ان كشفته يستحل حبا مهانا يموت موتا حزينا
 بعضها بعضها تكبر ان يكشف عما وراءه او يبينها^(٢)

ولكن الشاعرة نازك قد اتيج لها الاقامة في امريكا للدراسة الجامعية ، ولا ريب عندي ان انقلابا ينتظر هذه الفتاة في عواطفها والحنانها البائستين .

(١) نازك الملائكة ، " ديوان عاشقة الليل " ، ص . ١١ .

(٢) " ، " ، " نظايا ورماد " ، ص . ٢٤ .

يكن في اهاب السياب شاعر كبير ، ربما كتب له ان يضيف الى
الشعر العراقي حلقة ذهبية من حلقاته العديدة لو سكن هذا الاضطراب
في نفسه بين القديم والجديد ، واخط خطه تقود قدميه في طريق
معلوم .

ان ديوان " ازهار ذابلة " باكورة فذة جديدة بالتسجيل ، يحفل
بصور الطبيعة البارة التي تهى له الوقوف في صف ابرع الشعراء
المحدثين في هذا المجال ولكن تنقصه صدق العاطفة التي امتازت
بها نازك فهو يصنع عواطفه ويضم بعضها الى بعض في نظم لا يفيض فيها
متدفقا من قلب قد كوى كبار الحب الصادق :

جنار الهوى يا جنار الهوى اما للفرام انبثاق جديد
اما زال موج الصبي في الخدود طليق السنى ام طواه الجليد ؟ (١)
وقال :

سارت اليك بطيئة الخطوات ذابلة الشفاء
جاءتك ظمأى . . بالبنان السرخس تغترف المياه (٢)

واما البياتي في " ملائكة وشياطين " فهو كرميله السياب ينظم
مشاهده ومناسباته مع اصدقائه شعرا عاطفيا يعوزه الصدق ، ولكنه يعوض
عن ذلك بقوة التعبير وموسيقى الالفاظ :

يا بقايا اللهب في اعماقي
ثورة اليأس الطفأت اشواقــي
وثلوج الحرمان ذابت بروحي
وجرت في دمي نشيش سواق (٣)

وخطا الثلاثة نازك وبدر وعبد الوهاب يضاف اليهم كاظم

(١) بدر السياب ، " ازهار ذابلة " ، ص . ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص . ٣٤ .

(٣) عبد الوهاب البياتي ، " ملائكة وشياطين " ، ص . ١٢ .

الساوى خطوة جريئة باعلانهم الثورة على بحور الخليل وقيود القافية .
 كما تخاضت الرومانكية عندهم وحل محلها شغف كبير بالواقع .
 لقد مزقوا التفاعيل ورثبوها رأسيا بعد ان كانت تصاغ على
 نسق افقي ، " ولا يعتبر هذا خروجا على طريقة الخليل وانما هو تعديل
 لها يتطلبه تطور المعاني والاساليب خلال العصور التي تفصلنا عن الخليل " (١) .
 واقرن الاخذ بهذا النوع من التجديد - في الغالب - بتكريسه للغرض
 الوطني والدعاية المذهبية كما هو ظاهر في شعر السماوي . وقد اتيح
 باستعمال هذه الطريقة ان يقول الشاعر كل ما تفيض به نفسه ، على غرار
 النثر الذي يتسع لكل شيء .

ولكن ما يعاب على البعض منهم اسرافهم في الغموض " والغموض
 هو مصدر الشكوى عند كثير من يقرأون شعر البياتي ، وانا لا اشك في
 وجود ذلك الغموض ويكفي ان تفتح الديوان على اول قصيدة فيه
 عنوانها " المحرقة " حتى تفق حائرا لا تدري ماذا يعنى الشاعر " . (٢)
 وما يؤخذ عليهم ايضا انهم كسواح يطلبون " العاديات " من انحاء
 العالم ويستوردون " الانفعالات " من اقاصى المعمورة ويقتبسون المثل
 والنمط من شعراء مختلفين في الامم المختلفة ، وينسون محيطهم وما ألم
 به ويلم به كل يوم من شؤن ونشجون تلهب الوجدان وتفيض بالالم ...
 وهم - اجمالا - اذا طرقتوا موضوعات البيئة التي يالفونها
 ويتفاعلون معها جادا بالشعر الجيد مثل " الملجأ العشرون " لبياتي
 " والموسم العمياء " للسياب . وما يؤخذ عليهم ايضا واعتبر داء الشعر
 العراقي الحديث هو فكرة الاضطراب او الجبرية او الحتمية التي تسيطر
 على مصير الانسان وعلاقاته " . (٣)

(١) نازك الملائكة ، " ديوان شظايا ورماد " ، ص ١٠ .

(٢) الدكتور احسان عباس ، " عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث " ،

ص ٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

وقد يضحى شباهنا بالكثير من الموسيقى الشعرية من اجل
 الفكرة التي يصرون على استيفاء رسمها بكل جوانبها . وما هكذا يفعل
 كاظم السماوي الذي يحرم على الاحتفاظ بالموسيقى الكاملة في اتساق
 الروي وتلائم طول المقاطع ، وبذلك مكن لقوة التعبير عنده وعنف الدعوة
 ان تهبط على عواطف القارئ ومشاعره كمطارق ثقيلة فيها قوة العزم
 وصلابة الغاية .

ولا بد من الاشارة الى ان السياب يمتاز عن رفاقه بطول
 النفس وكثرة الصور وغزارة النتاج ، مما سيهيء له مركزا ممتازا في
 المستقبل .

وصفة القول في هذا " الجديد " انه ليس من الحق والانصاف
 ان نثير الغبار في وجوههم ، فلنفسح لهم الطريق مرحبين ، فلعل قافلتهم
 السارية تستطيع ان تصل الى ^{المنهج} للحجة ، ومن ثم يبرز واحد منهم ليكون
 كالقمة التي يمتدى الناس بها وتسترعي نظر الآخرين اليها .

الفصل الثاني

العوامل المؤثرة في نشوء القمص

مقدمة

- ١ -

رزح العراق طوال قرون كثيرة تحت حكم غشوم سيطر فيه
العثمانيون على البلاد سيطرة تامة ، وحكموا العراقيين باساليب مغلقة
في التأخر ، فنضبت حيوية البلد المتدفقة وانطفأ مشعل العلم والادب
الذي طالما رفعت بغداد تهدى به دنيا العرب كلها .
ولما جاءت الحرب العالمية الاولى هبط جنوب العراق قوم لم
يكن لهذا البلد الامين بهم عهد ، فشهدت ازقة البصرة وبغداد جيشا
يكسح امامه الجيش العثماني المحتضر ويمكن لاقدامه في هذا الوادي
بالوان من العنف واغانين من السياسة والمكر والدهاء .
استيقظ الشعب على اصوات تلك المدافع الهادرة وشهدت سما
بغداد لأول مرة في تاريخها ضجيج الحديد يطير في الهواء ويلقى
بالنار على الاحياء الموات التي اخنى عليها الدهر وازرى بها ظلام
القرون .
وقد آن لذلك الخدر الذي كان قد سرى الى اوصالهم تحت
تأثير الدين المشترك وصحة العهد الطويل ان يزول مرة واحدة ،
فهبوا يتطلعون مشدوهين ببلغ ما اصاب العالم من تقدم وجسامة ما هم
عليه من تأخر ، وانبثقت هنا وهناك صحف واحزاب وجمعيات تعمل لرفعة
شأن الوطن ، تغذى النفوس الخائرة بحب البلد والحدب على مصالحه .

وكلما ازداد تعسف الاجنبي وجبروته ازداد نمو الوطنية في نفوس الناس ، وبات يقينا لديهم ان بلادهم بحاجة الى من يدافع عنها ويستخلص حقوقها .

وكانت انباء الثورة في الحجاز وجهاد الصفوة المختارة من ابناء العرب قد طرقت اسماعهم فزادتهم حماسا واشعلت في همهم الوانية نيران العزم والاقدام ، فهبت البلاد بثورة مسلحة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، استطاعت ان تسجل في صفحاتها آيات البطولة والشجاعة . ولم يكن انطفاء لهيب الثورة بصارف الناس عن العمل والجد ، فالروح الاستقلالية قد تغلغلت في اعماق النفوس ونمت باطراد في شكل معارضة قوية ، منظمة ، حكيمة تستمد حياتها من الشعب ورغباته . وما برحت الروح الوثابة تستعر في صدور العراقيين تريد ان تتخطى حدود المكان والزمان الى الاهداف السامية في الحرية والانعقاد ما يأسر هذا الشعب النبيل ويفتك به من مرض وجهل وفقر وجشع وانتكالية وانانية .

وقد كان انتشار المدارس الحكومية في انحاء القطر عاملا كبيرا في محو الجهل المطبق وفي بث الروح العلمية وغرز سجية الاطلاع ، داعية الجميع الى الخير والعمل الصالح والاسهام في اصلاح الفاسد ورأب الصدع . فنشأ جيل من المتعلمين يعي قضايا بلاده ويدرك مشاكلها الاساسية وهو آخذ في النمو سنة بعد اخرى .

- ٢ -

وقد هال فريق المثقفين ، ان يروا انفسهم في موقعة القافلة العربية ، لكن ايمانهم بالعروبة وتشبههم بالوطن الاكبر هوّن عليهم الامر ، فاطمأنت نفوسهم وانصرفوا الى نتاج البلاد العربية العلمي والادبي ، بتدارسونه ويستوعبون مادته بشغف زائد . وقد استأثرت مصر بالجانب الاكبر من سوق الادب والعلم

العراقيين ، فوجد القراء - على مختلف طبقاتهم - غذاءهم الروحي والعقلي فيما يكتبه طه حسين والمازني ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم واحمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد ومصطفى صادق الرافعي وجرجي زيدان وغيرهم من افذاذ الكتاب .

وكانت مجلات الهلال والمقتطف والرسالة والثقافة ،^(١) يحملها الشاب العراقي ليدل على ثقافته وسعة اطلاعه واتصاله روحيا باولئك الكتاب .

وكان - هؤلاء الكتاب - الواسطة الوحيدة في اتصال جمهور القراء العراقيين بثقافة الغرب واعلام الفكر العالمي ، بما نقلوا من اثار ، وبما وضعوا من مؤلفات تشف عن مبلغ تأثرهم بالثقافة الاجنبية وسعة اطلاعهم على لغات الغرب .

ثم تراخى الزمن حتى جاءت الحرب العالمية الثانية ، واذا لبنان يستأثر بالجانب الاكبر من اسواق المعرفة العراقية ، وتجد الاثار اللبنانية المترجمة والموضوعة اقبالا منقطع النظير ، كما يكون للصحافة اللبنانية القدح المملى ، في حين تصاب الصحافة الادبية المصرية بانتكاسة مؤلمة ، تختفى على اثرها صحف جليلة كالرسالة والثقافة والمقتطف ، وتسارع صحف اخرى الى احداث انقلاب في خطتها - كالهلال - فتقدم الممين اللين للقارئ ، تعنى بتسليته وقتل وقته دون ان تهتم بغذائه العقلي . وقد مكن هذا للاديب - واخيرا الاداب^(٢) - وغيرهما ان تحتل المكانة الاولى لدى القارئ العراقي ، كما وجد الكاتب العراقي مجالا واسعا في المساهمة بتحرير تلك الصحف ، في حين لم تكن تتاح له تلك المساهمة في الصحف المصرية لبعده الشقة وعناية المصريين في

(١) كانت مجلة الحديث في حلب من اوائل المجلات ذات الفضل العميم على الادب

العراقي لعنايتها الفائقة بنشر ما يكتبه العراقيون والتعليق عليه .

(٢) يجدر بنا ان نشير الى " مجلة المكشوف " فقد علق بها الكتاب والقراء

العراقيون كثيرا ولكنها انقطعت عن الصدور .

الغالب بالادب الكلاسيكي ثم ارستقراطية الكتاب المصريين . . . كل ذلك لم يدع لناشئة كتاب العراق موضعاً لقدم .

كان الغزو الادبي - كما اسلفت - هائلاً ، وكان سلاحاً ذا حدين : فقد حملت الصحافة الجدية والنتائج العلمي الصحيح معها اطياب التراث التراث ، وتركت اعمق الانثار في عقول القراء ونفوسهم ، وكانت ذا فضل عظيم يسجل بمداد الامتان والفخر ، ان بواسطتها تلاشت تلك المسافات الشاسعة التي تفصلنا عن الغرب ، فاصبحنا نجد ثمار العقول القيمة والانثار الخالدة بين ظهرانينا تقدم اليها معدة خير اعداد .

الى جانب ذلك بلبنا بصحافة اخرى ، تسعى وراء الربح ، طبعت جمهور القراء العراقيين بطابع السطحية والتفاهة ، بما تقدمه من مادة رخيصة لا هدف لها غير التسلية وقضاء الوقت .

ولكن البلية الكبرى كانت تتمثل ، بما استقر في نفوس العراقيين من انهم غير قادرين على مجاراة اخوانهم - عبر الحدود - ، كما اعتاد العراقي ان ينظر الى نتاج مواطنه العراقي نظرة استخفاف وعـدم اكتراث . فثببت الهمم وراى على العقول والعزائم كسل وتراخ ، واذا قيس ما نتج في هذا البلد خلال الربع الاول من هذا القرن ، بما صدر في لبنان ومصر لكان بمثابة القطرة الى البحر الزاخر ، وقدح الماء الى العين الثرة الدفاقة . (١) وهذا النتاج على قلته متمسك بروح القديم وذو صلة - في الغالب - بالشؤون الدينية .

(١) في كتاب السهام المتقابلة نجد احصاءاً تخمينياً عن الكتب التي صدرت في مطلع القرن العشرين ، ص ٤ ، آثرت اثباتها هنا لان معظمها قد عفى عليه الزمن وتناساها الناس :

١ - روح المعاني في تفسير القرآن للسيد محمود شهاب الدين الالوسي نشره في الاستانة .

٢ - غاية الاماني في الرد على النبهاني للسيد محمود شكرى الالوسي .

٣- مختصر التحفة للسيد محمود شكرى الالوسي .

٤- تنمة التأسيس

٥- اثبات الشريعة المحمدية للسيد نعمان الالوسي .

٦- غالبية المواعظ

هذا في الدين اما في اللغة فقد صدر :

٧- كتاب الطرة على الغرة للسيد محمود شهاب الدين الالوسي .

٨- الفيض الوارد للسيد محمود شهاب الدين الالوسي .

٩- كتاب ذوات الطرفين من الكلمات للسيد نعمان الالوسي .

وفي الفلسفة صدر :

١٠- كتاب الجاذبية لجميل صدقي الزهاوى .

١١- " الهيئة والاسلام للشيخ هبة الدين الشهرستاني .

١٢- رد فلسفة دارون للشيخ محمد رضا الاصفهاني .

وفي التاريخ صدر :

١٣- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب للسيد محمود شكرى الالوسي .

١٤- خلاصة تاريخ العراق للاب انستاس الكرملى .

١٥- مختصر تاريخ بغداد

١٦- تاريخ ملوك الحيرة لعلي ظريف الاعظمي .

وصدر في الادب :

١٧- ديوان عبد الغفار الاخرس .

١٨- " عبد الباقي الفاروقي .

١٩- الكلم المنظوم، الجزء الاول من ديوان جميل صدقي الزهاوى .

٢٠- ديوان معروف الرصافي .

٢١- الرحلة الى اسلامبول "على طريقة المقامات" للسيد محمود شهاب

الدين الالوسي .

٢٢- ديوان عبد الرحمن البناء .

وظن الناس - بعد اعلان الدستور العثماني - ان شمس الحرية قد اشرقت عليهم الى الابد ، وسرى الحماس في النفوس ، فصدرت في العراق "خلال ثلاث سنوات زهاء السبعين جريدة بين سياسية وادبية وهزلية" . (١)

ما هو جدير بالاشارة "صدى بابل" ، كان صاحب امتيازها المعلم داود صليوا ومدير ادارتها يوسف غنيمه ، وقد وصفت بانها "سياسية ، تجارية ، ادبية ، اخبارية ، خادمة لترقي الوطن" . (٢) واستمرت في الصدور حتى شبت نيران الحرب العالمية الاولى . وقد عنيت عناينة خاصة بتنبيه الرأي العام الى ما ينقص المجتمع من منظمات وجمعيات ، وهي في سبيل المقارنة بين تأخر الشرق وتقدم الغرب تسوق اشكال الفقرة التالية: "الفوا - يقصد الغرب - ابداع القصص والطف الحكايات والنوادر والفكاهات ، فكانت خير مثقف للاخلاق والعادات ، سيما التمثيل على المراسح ، فاستهجنوا القبيح وتشبهوا بالمليح ، سبقونا فنلحقهم" . (٣) نلمس في هذه الصحيفة مدى النشاط الذي كانت تقوم به المدارس الطائفية في حقل التمثيل ، فكانت تنشر خلاصة القصص وتعلق عليها . (٤) اصدر السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني "مجلة شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية" اشرف على ادارتها الشاعر عبد الحسين الازري ، برز عددها الاول في شهر اذار ١٩١٠ واستمرت سنتين ثم احتجبت . (٥)

(١) المرجع السابق ، ص ٩ . (انظر الصفحة ٤٥ وما بعدها) .

(٢) هكذا كتب في صدر العدد الاول الذي صدر في ١٣ آب سنة ١٩٠٩ .

(٣) العدد ١٩ من "صدى بابل" الصادر في الرابع من اذار ١٩١٠ السنة

الاولى ، وقد نقلت الفقرة هذه مع احدى عشرة فقرة عن مجلة الرغائب .

(٤) انظر العدد ١٢ ، السنة الاولى ، ١٩٠٩ والعدد ٣٦ ، ١٩١٠ السنة

الاولى ايضا من "صدى بابل" .

(٥) عبد الرزاق الحسني ، "تاريخ الصحافة العراقية" ، ص ١٨ .

عاد "رفائيل هطي" فاصدر جريدة "البلاذ" في هذه السنة
 "٢١" وكانت تهتم بالقصة اهتماما بالغا ان كانت تفرد حقلا خاصا بها
 في كل عدد، وتفسح صدرها لكثير من الادباء والكتاب الناشئين .

وتؤلف مجلة "الاعتدال" قمة عالية في دنيا الصحافة العراقية ،
 فقد ثابرت على خطتها وكافحت ما احاط بها من صعاب ببطولة نادرة ،
 كان يشرف على شؤنها كلها الاديب محمد علي البلاغي ، بدأت حياتها
 الادبية سنة ١٩٣٢ ، الا ان حرفة الادب لم تجلب لها حبا غير عسر
 الحياة وضيقها ، فآثر عليها "وكالة سجاير المختار" . ثم اسندت اليه
 مديرية فرع مصرف الرافدين في النجف ، وانطوت بذلك حياة صحفية
 كانت تحفل بجليل الاثار الادبية والتاريخية .

ولكن اكثر المجلات الادبية مقارعة لصروف الزمن وثباتا امام
 وطأة الازمات المادية والادبية ، هي مجلة "الراعي" تونر على اصدارها
 الاستاذ جعفر الخليلي ، ثم جعل اسمها بعدئذ "الهاتف" ، وبدأ له
 ان ينقل مكان صدورها الى بغداد ، بعد ان كانت تتمتع برعاية البيئة
 الادبية في النجف . وفي بغداد حلا لصاحبها ان يغير من خطتها
 فصيرها يومية سياسية ، دون ان يقطع صلته بالادب ان دأب على تكريس
 عدد في كل اسبوع خاص بالادب والفن .

والهاتف من اقدم المجلات العراقية التي عنيت بالقصة ، وعلى
 صفحاتها بدأ كثير من القصاصين العراقيين كأيوب ولطفى . وكانت تستغل
 الفرص لاصدار اعداد خاصة بالقصة . وما يؤخذ على تلك الاعداد حرص
 الخليلي على ان يشرك في تحريرها كتابا من مصر ولبنان ، في حين ان
 هؤلاء ليسوا بحاجة الى اعلان ودعاية ، وانما الضرورة تقضي ان يؤخذ
 بأيدي كتاب القصة العراقيين ، وبخاصة الناشئين منهم تشجيعا لهم
 ومناصرة وحثا على مواصلة الكتابة والنتاج .

وفي الموصل صدرت مجلة "المجلة" في مطلع سنة ١٩٣٩ ،

اشرف على تحريرها ايوب ، ساعده في ذلك عبد الحق فاضل ، وكلاهما عالج القصة واهتم بانماء هذا النوع من الادب ، ولكنها انطوت كما انطوت اخوات لها من قبل .

صدرت عشرات المجلات ، منذ وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها ، ولكنها كانت جميعا تحتجب بعد مدة قصيرة ، ناهيك بعدم انتظام صدورها ، مما يجعل من المسير على الباحث ان يتبين اثر المجلات الادبية وفضلها على نشوء القصة العراقية وتطورها .

— ٤ —

اما الصحف اليومية ، فقد فتحت الباب على مصراعيه لكتاب القصة ، كما ان بعضها كالاهاي مثلا كانت تصدر ملاحق شهرية او نصف شهرية تخصصها لفنون الادب والعلم ، ولكن كان يعوزها المثابرة على خطتها . وجملته القول ان الصحافة العراقية لم يتح لها المجال لكي تقوم برسالتها على الوجه الصحيح ، كما اتيح للصحافة اللبنانية مثلا ان "لعبت دورا هاما في اصلاح اللغة العربية ، والنهوض بالبيان العربي الحديث ان كانت مدرسة لتدريب الناشئين من الكتاب ، كما انها اعتمدت في تحريرها اسلوبا حديثا يتماشى مع روح العصر ، ويمهد السبيل امام الكتّاب القصص الذين كانوا يجدون صعوبة كبيرة في صوغ افكارهم القصصية الحديثة في الاساليب العربية التي ورثوها عن عصور الازدهار" (١) وترد الازمة الفكرية الى عوامل عديدة :

١ - منها ان كثيرا ممن لا كفاءة لهم ، اقبل على الاشتغال بالصحافة الادبية والسياسية ، وهو في الواقع لا يحسن ان يخط سطرا واحدا يسلم من الغلط ، وقد غدت الصحافة ولا زالت ملاذ المخفقين

(١) الدكتور محمد يوسف نجم ، " القصة في الادب العربي الحديث " ،

في حياتهم المدرسية والمفصولين من وظائفهم ، فكانوا افدح بلاء على الفكر وارباك الرأي العام .

٢ - ثم ان الصحافة تقوم على عائق الافراد ، فلم تتقدم شركة حتى الان ، تنهض بهذا العمل ، وتعد العدة له من جميع الوجوه .
٣ - كما ان ^{نراج} السلطات الحكومية له اثر كبير في هذه الازمة ، فكثير من رجال السياسة يضيق صدره بالنقد ويبرم بالمعارضة ، مع الاعتراف ان جانبا من المعارضة يتسم بالتهريج ، واثارة الغبار ، ووضع العصا في العجلات السائرة .

٤ - ولا ينكر ان ميل العراقيين الى السياسة غالب فما يكاد احدهم يصدر مجلة ادبية ، علمية ، حتى يجرفه تيار السياسة وامواج المبدأ ، مما يضطر السلطات الى غلقها او الغاء امتيازها .

٥ - ولا مراة ان الصحف اليومية تطلع على الناس وكأنها مطبوعة في مطبعة واحدة ومحررة بقلم واحد ، ان لا تنوع في مادتها ، وان كان هناك من فروق تميز صحيفة عن اخرى ، فتلك الفروق غير واضحة لا تصلح ان تكسب الصحيفة طابعا خاصة وسمة فارقة . وادارات الصحف مسؤولة عن ذلك ، لانها لا تعتمد على محررين ومخبرين اكفاء بل تستعين كما اسلفت بانصاف الاميين .

٦ - وربما كان من اسباب اخفاق المجلات الادبية هو طغيان الصحافة الادبية العربية وسيطرتها على السوق العراقية ، بحيث جعلت القارئ العراقي يزهد في صحافته المحلية ، ان لا يجد فيها ندا منافسا في اثنان الطبع والفن الصحفي ، والمادة المنتقاة ، والاقلام المعروفة . لهذا كله ، كانت الصحف ادبية ، وسياسية ، قليلة التأثير في نمو القصة وتطورها ، ولم يجد المعنيون بها مناصا من توجيه انظارهم الى صحف البلاد العربية ، الا ان الكثير منهم لم يحظ بالرعاية الكافية لاهتمام تلك الصحف بنتاج اصحاب الاقلام المعروفة . لذلك ، حرم الكتاب

العراقيون من فرص كثيرة ، ولهذا ايضا لم ينشأ نقد منظم يأخذ بيد الكتاب الى الاساليب الصحيحة والتوجيه القويم كما تضاهل السجال الادبي ، والنقاش العلمي المجرد اللذان يدفعان الانسان الى الاستزادة من المعرفة والاقبال على البحث والمطالعة .

الفصل الثالث

مؤثرات اجنبية

- ١ -

لست اعلن جديدا لو قلت اننا لا نستطيع ان نأمل من مدارسنا تثقيفا راسخا يأخذ بيد الطالب الى سبل المعرفة الجدية ، ذلك ان مناهجنا تخفقها مواد متراكمة قد حشرت حشرا ، في حين ان الابواب التي تفتح امام العراقي سهل الاطلاع على اداب الامم الاخرى ما زالت مغلقة .

يواجه الطالب العراقي الحياة بعد احدى عشرة سنة من التحصيل الابتدائي والثانوي ، واذا به لا يحسن التعبير عن ارائه ورغباته ، لانه حرم الوسيلة القوية التي توصله بآراء الآخرين وافكارهم . فاللغة ، عربية كانت ام اجنبية ، من الضعف بمكان كبير ، وتزداد ضعفا كلما توغل الانسان في الحياة للاهمال وقلة الاستعمال الناجمين عن العسر الخاذل الذي يجابه من يريد الاطلاع والتوسع .

وقد ثبت ان الدراسة الجامعية - ايضا - قليلة الجدوى في اصلاح خطأ متأصل واهمال متعمد ورغبة خائبة ، فلا غرو ان تجد مجازا من كليه يصعب عليه الافصاح عن مكونات نفسه ويضيق افق اطلاعه حتى تتهاوى معرفته الى مستوى المعرفة الصحفية العاجلة الملتقطة من هنا وهناك ، يقصد بها الى المتعة العابرة لا الفائدة الدائمة . يضاف الى اضطراب المناهج خلوها تقريبا من مواد لها علاقة بالاداب الغربية او الشرقية ، وما هو موجود منها هزيل لا ينفع في احداث اثر او خلق

تيار جديد يطعم به الادب العربي ، ويقدم هذا القليل بصورة ساذجة تخلو من الروح الضامنة لاستمرار الحياة في نفس المتذوق . لهذا حرم العراقي من اثر مدرسي موجه ، فلم يجد بدا من الاعتماد على الجهد الشخصي لسد ما لحق ثقافته من ثغرات ، فاقبل على الكتب العربية الموضوعية والمترجمة ، يلتهم موادها ، وكانت وسيلته الوحيدة الى ثقافة جديدة ، هي مزيج من الثقافة العربية الرصينة والغربية المستحدثة ، وكانت التعويض الاكبر عن الجهل باللغات الاجنبية .

- ٢ -

كانت اولى المدارس التي وجدت سبيلها الى القلوب مهدها هي المدرسة الاميركية ، كانت اكبر من حمل لواء الثورة على القديم بعنف واصرار ، وقد وظد اساتذة هذه المدرسة العزم على ان يبثوا كل صلة لهم بقديمتهم / لانهم ابوا ان يظلوا على ما وجدوا اباؤهم عليه ، وهم في عالم يزخر بالجديد في كل مظهر من مظاهر حياتهم " . (١) استطاع رجال هذه المدرسة ببراءة فائقة ان يوائموا بين تلك الالوان الزاهية المستمدة من نعم الطبيعة في اصولهم الاولى ، والذوق ^{الكثي} المجتهد ، والروح الخفاقة ، فكان من ذلك حصيلة ادب جديد في منحاء ولغته ، وما يحمله من نسائم عليه من جو القارة الجديدة ، فكانت اقوى مدرسة عرفها الادب العربي الحديث حتى اليوم ، وقد ضربت بهم وافر في حقل الادب ، واستطاعت ان تقدم طائفة مختارة من الادباء ، شاركوا في الادب مشاركة طيبة بالوانه المختلفة " ونفحونا بروحانية طفى عليها التفكير الفلسفي الصوفي ، وقد عنى هؤلاء بالفكرة والموسيقى اكثر مما عنوا باللغة وقواعدها " . (٢)

(١) عبد الغنى حسن ، " الشعر العربي في المهجر " ، ص ٢٦ .

(٢) الدكتور محمد يوسف نجم ، " القصة في الادب العربي الحديث " ،

وقد اقتضت طبيعة الثورة التي اعلنوها عدم العناية " باللغة والقواعد " لان ادب الشرق - حتى زمانهم - كان صناعة لفظية لا روح فيها واجترارا لانكار بالية ، اكل الدهر عليها وشرب ، وقد جرّ تزيفهم لثوب اللغة البالي سخط المترمّتين الذين يابون ان يملأوا صدورهم بهواء جديد يحمل الحياة الى البدن الموات ، فثار هؤلاء المترمّتون عاصفة من المعارضة ، ولكنها كانت عاصفة في فئجان ، ان كان الزمن يخدم هذه المدرسة ويزيد في انتصارها ، كما بالغ البعض في خطر هذه المدرسة ، فقد قال الدكتور محمد حسين هيكل " يجب ان يتعاون المجدد والمقلد منا والا بقي الفوز في جانب السوريين المتأمرّكين وامحت الثقافة الاسلامية " (١) وتلك سذاجة لا شك فيها ، ان لا طاقة لنا ان نصعد الريح الهابة والماء المنحدر واحكام التجديد العصري ، ومع ذلك ^{فقد ظلت} غسطل الثقافة الاسلامية في امان ، ان لم يكن ادب هذه المدرسة يناسب الثقافة الاسلامية العداء كثقافة اسلامية ، انما هي روح الجديد تيرم بالماء الآسن وتأيي الخضوع لمواضعات القرون الخوالي .

وموقف الدكتور هيكل يجل موقف ادباء العربية وحججهم الواهية في خطر هذه المدرسة ، وهو يشبه موقف البارناسيين الفرنسيين من بعض ادباء العهد الرومنطقي على وجه التقريب ، ففي العام ١٨٦٦ عندما اذاعت المدرسة البارناسية مبادئها راحت تنحي باللائمة على الشعراء الذين يهتمون العناية باللغة وقواعد النظم " (٢) .

كان لتأسيس الرابطة القلمية سنة ١٩٢٠ في نيويورك اثر محمود في تنظيم حركة التجديد ووضع دستور لها املت نصوصه الروح المتوثبة الجديدة " التي ترمي الى الخروج بآدابنا من دور الجمود والتقليد الى دور الابتكار في جميل الاساليب والمعاني وهي خريسة

(١) المرجع السابق ص ٨٧

(٢) الياس ابو شبكه ، " رواهط الفكر والروح " ، ص ١٢١ .

في نظرنا بكل تنشيط ومؤازرة لانها امل اليوم وركن الغد ، كما ان الروح التي تحاول بكل قواها حصر الاداب واللغة العربية ضمن دائرة تقليد القدماء في المعنى والمبنى هي في عرفنا سوس ينخر جسم آدابنا ولغتنا وان لم تقاوم ، ستؤدي بها الى حيث لا نهوض ولا تجدد* .(١)

وقد انضم الى الرابطة جبران ونسب عريضة ، وايليا ابو

ماضي ورشيد ايوب وندره حداد وغيرهم .

كما ان نعيمة * ابتدا حياته الادبية بقال نقدي في مجلة الفنون العربية التي كانت تصدر في نيويورك ، ندد فيه تنديدا مرا بهجسود اللغة العربية وانصراف كتابها وشعرائها عن الحياة في داخلهم ومن حولهم الى الشعوب اللغوية والتقليد الميت* .(٢)

وقد وصفت الرابطة القلمية بانها * اول مدرسة ادبية منظمة تنزع الى تكوين جماعة ذات طابع خاص في التفكير والتعبير - وهذا حق لا جدال فيه ، كان قطب هذه الدائرة جبران وهو الطائر المحكي فيها ، وقد مثل ميخائيل نعيمة دور الناقد اولا فكان لها كما كان سنت ييف من المدرسة الرومنطقية* .(٣)

هنالك مدرسة متأركة اخرى في امريكا الجنوبية ، انضوت تحت منظمة سميت * بالعصبة الاندلسية* .(٤) ولهذه المدرسة مركز خاص واهمية محلية ، والشعر هو المفضل المختار عند انصار هذه المدرسة ، ومن اعضائها البارزين الياس فرحات ورشيد سليم الخورى وفوزى المعلوف* .(٥)

وقد استمرت المدرسة الاميركية او الرابطة القلمية تؤتي ثمارها

(١) ميخائيل نعيمة ، * جبران خليل جبران * ، ص ٢٠٠ .

(٢) عبد الغنى حسن ، * الشعر العربي في المهجر * ، ص ٢٧ .

(٣) مارون عبود ، * مجددون ومجترون * ، ص ٢٠٢ .

(٤) الدكتور محمد يوسف نجم ، * القصة في الادب العربي الحديث * ، ص ٨٦ .

(٥) كراتشكوفسكي ، * في الادب العربي الحديث * ، الرسالة المجلد الثاني

سنة ١٩٣٦ ، ص ١٦٦٧ . مترجم بقلم محمد امين حسونة .

مدة ليست بالقصيرة بعد الحرب العالمية الاولى ، الا ان اثرها اخذ يتضاءل رويدا رويدا كلما اغرق المشاركة بالتجديد وازداد شغفهم بادب الغرب والاعتباس منه حتى لم تبق خصيصة واضحة لهذه المدرسة تميزها عن ادب الايام الراهنة .

- ٢ -

ودخل مصطفى المنفلوطي كعامل مساعد في تقوية اثر المدرسة الرومانتيكية . ولم يكن المنفلوطي واسع الثقافة عالما بلغات الغرب ولكنه استطاع ان يمتلك اسلوبا في الكتابة اعتبر في حينه ثورة على الاساليب العتيقة ، وكان "موهوبا كحظ الطبع في ادبه اكثر من حظ الصنعة ، لان الصنعة لا تخلق ادبا مبتكرا ولا ادبيا ممتازا ، ولا طريقة مستقلة ، والنثر الفني كان على عهده لونا حائلا من ادب القاضي الفاضل او اثرا مائلا لفن ابن خلدون ، يمثل الاول قويا في صنعة المويلحي وحفنى ناصف ، ويظهر الثاني ضعيفا في صنعة قاسم امين ولطفي السيد " . (١)

تمكن اسلوب المنفلوطي من قلوب الناس فامسى اكثر الكتاب قراءا ، وتلاقت ايدي الناشئة كتبه : ، النظرات ، والعبرات ، والشاعر ، وماجدولين . كان الشاب يقبل على الكتاب يمعن النظر فيه ويلتهم سطوره ، وينسى طعامه في بحر من الدموع وخضم من الشجون ، واذا انتهى منه مرة عاد اليه مرات . " وسر الذبوع في ادب المنفلوطي مفاجاته الناس بهذا القصص الرائع الذي يصف الالم ويمثل العيوب في اسلوب طلي وسباق مطرد ولفظ مختار ، وهو مزيج من اسلوب ابن المقفع قديما واسلوب جبران ونعيمه حديثا " . (٢)

يضاف الى مؤلفات المنفلوطي ما ترجم الزيات من روائع الادب

(١) احمد حسن الزيات ، " مصطفى لطفي المنفلوطي " ، الرسالة العدد ٢١٤

سنة ١٩٢٧ السنة الخامسة .

(٢) المرجع السابق .

الرومانتيكي مثل "آلام فرتر" لجوته و"رفائيل" للامرتين ، ولكن لم يكتب لهذين الكتابين من الذبوع ما كتب لاثار المدرسة الجبرانية والمنفلوطي ، لانهما ترجما باسلوب رفيع يعبر فهمه على القارئ العادي ، فلم يحدثا من التأثير ما احداثه في اوربا .

- ٤ -

ليس من العسير على المتتبع ان يكشف اثر المدرسة الرومانتيكية في كتاب القصة العراقية وزملائهم الاخرين ، ان كانت كتب تلك المدرسة الفاتحة التي يبدأ بها المتأدب هوايته الادبية ، ويتخذها سبيلا المفضل في تحسين انشائه وزخرفته عبارته ، يهيم بها فيها من تاجع عاطفي وهيلم بوصف الطبيعة ، وتنجيد لمظاهرها المختلفة ، وتلك امور يعشقها الشباب في عنفوان قوتهم ، وتفتح غرائزهم للحياة .

كان محمود السيد من اوائل المتلمذين على هذه المدرسة ، ومن الحريصين على تتبع نتائجها واستيعاب اثارها ، ولما شعر ان اثاره الاولى كانت مفككة الاسلوب ، آلى على نفسه ان يتروى من العلم ويقبل على القراءة حتى يعيب خطا من جمال العبارة ورشاقة القول ، فوجد ضالته في هذه الكتب التي طالما اشاد بها مكبرا جزيل فائدتها . (١)

وليس السيد اول وآخر من تأثر في هذه المدرسة ، فقد كان عبد المجيد لطفي اكثر اخلاصا لهذه المدرسة وشغفا بمنحها ، وما كتابه "اصداؤ الزمن" الا مرآة انعكست فيها خصائصها وسماتها الفارقة .

وكذلك الامر مع تفاوت في مقدار تقبل التأثير فيما كتب الدكتور صلاح الناهي وعبد الله نيازى والرعيل اليافع الذي لا زال يجرب حظه في ميدان العمل القصصي بما نشر من كتب^١ لازالت بحاجة لطول أناسة وحسن استعداد . وربما نكون اقرب الى الصواب^٢ ~~في~~ ^{حيث} نقرر ان معظم

(١) انظر الطلائع ، ص ١٨ و ٢٣ و ٦٢ ، وانظر جلال خالد ، ص ١٠٦ و ٦٢ .

التأثير قد انصب على الصورة دون المضمون/ فننتج من ذلك رومانتيكية مشوهة بواقعية لم تستكمل جوانبها المختلفة ، وهو السبب في قلسة الاقاصيص التي تتحدث عن الحب والهيام والوصل والعد وكثرة تلك التي تتناول الحياة مآسيها ومسراتها ، فقرائها واغنياءها ومظاهر النضال والاستبسال ، والتقاص والتخاذل . فقد كان هذا نتيجة محتمة للازمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي اخذت بهنناق العراق ، وشدت على تلابيبه منذ ولت الحرب العالمية الاولى الى يومنا هذا . ابي ادبائنا ان يكونوا بلابل الزينة في الاقاص الملونة تطرب المترفين والمتخوسمين ، او اقمات يجلسون على التلال ، يسرحون في الخيال ويبنون قصورا في الهواء ، بل ساهموا في اصلاح الواقع باوفر نصيب وخاضوا المعركة بعنف منددين بالسوء ، مشهرين بالانحراف ، لاعنين المستغلين ، فكان اداتهم وسلاحهم الادب الواقعي ، ادب الازمات والشدائد ، وادب ايام الرعب وانتقاد الامن والطمأنينة .

— ٥ —

وكان لهذا المذهب الواقعي رافدان منهما استقى الكتاب العراقيون نزعته الواقعية هذه ، وكان ايضا من العوامل التي شجعتهم على معاناة فن القصة .

اولهما ادب العرب الحديث الذي حفل بالوان مختلفة من الترجمة ، (١) كان لها اعمق الاثر في توجيه هذا التيار * وقد اتيح للادب العربي منذ اوائل القرن الماضي عن طريقين رئيسيين : الاول : طريق الاتصال بالغرب

(١) انظر الدكتور محمد يوسف نجم ، "القصة في الادب العربي الحديث" ، ص ٧٠ - ٧٩ . وانظر انيس المقدسي ، "الاتجاهات الجديدة في الادب العربي الحديث" ، ص ١٤٠ . وكذلك اسعد يوسف داغر ، "القصة الروسية في الادب العربي الحديث" ، ص ٧ - ٢٠ .

الترجمة اي نقل منتجات الفكر الغربي الى اللغة العربية ، والثاني طريق الاطلاع المباشر على ما نشر في لغات الغرب من شتى العلوم والاداب .^(١) وكانت الفرنسية اللغة الرئيسية التي اتقنها واشرب بثقافتها متعلمو اللبنانيين والسوريين والمصريين . فكان من الطبيعي ان يغدو للادب الفرنسي وللاتجاهات الفرنسية الاثر الاول في ادب العرب الحديث ، فتدفقت الترجمات عن هذه اللغة ، وشد الكثير رحالهم الى المعاهد الفرنسية ، فكانوا - عند عودتهم - رسل التفكير الفرنسي فلا غرو ان نجد معظم الشواخ في الادب العربي ذوى ثقافة فرنسية . "نقل هو"لا" معهم ما ساد الادب الفرنسي في المائة سنة الاخيرة من اتجاهات رومانتيكية وواقعية ، وقد ظهرت الواقعية باجلى مظاهرها في القصة خاصة ، وكان مؤسسها غوستاف فلوبيير صاحب مدام بوفارى^(٢) "كما تبلور هذا المذهب - اى الواقعي - على اسس نظرية واعية بما تفعل في القرن التاسع عشر . واذا كان فكتور هيجو والفريد دى فيني ولامارتين قد مثلوا الرومانتيكية ، فان بلزاك وموباسان ، وهنرى بيك ومن نحا نحوهم قد مثلوا الواقعية اقوى تمثيل ، وعندما يتحدث عن واقعية بلزاك وموباسان انما يقصدون قسوتهما على البشر ورد تصرفاتهم الى هواعث لا تشرق حتى لو اتخذت مظهرا براقا يختلط بالكرم النفسي^(٣) ."

(١) انيس المقدسي ، "الاتجاهات الجديدة في الادب العربي الحديث" ، ج ٢ ، ص ١٤١ .

(٢) الياس ابو شهك ، "روابط الفكر والروح" ، ص ١٥٠ .

(٣) محمد مندور ، "في الادب والنقد" ، ص ١١٨ و ١١٩ ، وقد جاء فيه "ان بلزاك كتب ما يقرب من مائة وخمسين رواية جمعها في آخر حياته في مجموعات حسب موضوعاتها وصور فيها كافة المهن والاوزاع الاجتماعية والطبائع المتباينة ، واطلق عليها اسما عاما هو الكوميديا البشرية وفيها نجد الهزل والخسة والوصولية والنفاق والوقاحة" .

وقد قدر لموباسان ان يحظى بشهرة عريضة في البلاد العربية
ان ترجم الكثير من اناره ، وكتبته عنه الدراسات المستفيضة ، وقد تتلمذ
على فلوير وتورغنيف ، وفي مدرسة هذين الكاتبين العظميين وهما من
اساطين المذهب الواقعي تكوّن موباسان كنانا كما ان تورغنيف نفسه
اثار في نفس تلميذه الاهتمام بالاداب الروسية وشجعه على مطالعة
مؤلفات بوشكين وغوغول وتولستوى . (١)

ولموباسان اثر بعيد في محمد تيمور الذي كان من رواد
الاقصصة العربية ، ومحمّد تيمور اغزر قصاصي العرب نتاجا ومن اقربهم
الى روح هذا الفن . يقول محمود نفسه " امتدح لي شقيقي غير مرة
موباسان الكاتب الاقصوسي الفرنسي فبدأت اطالعه ، وما كدت اقرأ له
مجموعة حتى فتنت به وتابعت قراءتي اياه في خضع عظيم واتسعت مطالعاتي
فيما بعد في القصة الاوربي وتشعبت ، ولكنني حتى اليوم ما زلت محتفظا
لموباسان بالمكان الاول في نفسي فهو عندي زعيم الاقصصة الاكبر " . (٢)

كما لا ينكر ان ادباءنا ومفكرينا وجدوا انفسهم " امام قيم ومثل
ومعقولات جديدة ، شاعت على اللسنة والاقلام ابان الثورة الفرنسية
وتناقلت الافواه والقراطيس في الشرق العربي ، فقد طفق الناس يتحدثون
عن الوطن والوطنية والامة والقومية والحرية والمساواة والحقوق الوطنية " (٣)
كنتيجة لتشبع اعلام الفكر العربي بمبادئ الثورة الفرنسية امثال امسين
الريحاني ، واديب اسحاق ، حيث وجدوا في تلك المبادئ ضالتهم ،
وعرفوا فيها الدواء الناجع لادواء الشرق المزمنة ، فكانت من العوامل

(١) نجاتي صدقي ، " موباسان في مبادئ وفنه " ، مجلة الكتاب ، المجلد

السادس السنة الثالثة حزيران ١٩٤٨ .

(٢) انور الجندى ، " قصة محمود تيمور " ، ص ٧٤ .

(٣) رثيف خورى ، " الفكر العربي الحديث " ، ص ١٢٦ .

التي دفعت كتابنا الى ان ينظروا الى الارض وما تزخر به ليستمدوا منها
الوحي في كتاباتهم فلعبوا بذلك دورا خطيرا في تنبيه الازدهان واشباعها
بنفذة لفكرة الإصلاح والجهاد في سبيل الحرية .

وما يذكر لهؤلاء بالحمد والثناء العظيمين ان دعوتهم النبيلة
هذه لم تتسم بسمة الاقليمية ، انما كانت دعوة عامة لحتمها حب الحرية
وسولها طلب المساواة للجميع ، فالشرق عامة والعربي خاصة ، كان بيت
القصيد فيما نشروا من اراء ، احدثت ابلغ الاثر في نفوس القراء والكتاب
على حد سواء .

كانت جريدة "الجريدة" التي اسسها لطفي السيد الخلية الاولى
التي بدأت بها المدرسة الواقعية في مصر . برز من رجالها طه حسين
ومحمد حسين هيكل . نشر هيكل قصة "زينب" مستمدا وقائعها من
مجتمع الفلاحين . ودون طه حسين ذكريات طفولته في كتاب "الايام" .
وبدا فنه القصصي بصورة اقوى واجلى في دعا الكروان . (١)

كان في ظهور هذه المدرسة وتعاليمها البداية التي شرعت فيها
المدرسة الرومانتيكية تجرر اذيالها وتسحب ظلالها ، لتفسح المجال لتفر
من الكتاب عالجوا قضايا المجتمع وخلقوا ادبا وطنيا " وان ظلت مسحة
الرومانتيكية غالبية على اساليبهم " (٢) مثل طه حسين والمازني وتوفيق
الحكيم وسلامه موسى وعباس محمود العقاد .

شغفت اثار هؤلاء الكتاب العراقيين شغفا عظيما ، فتعصبوا لهم
وآثروهم على غيرهم واتخذوهم اساتذة يجرون وراءهم ، وينحون منحاهم
في الاسلوب ونمط المعالجة .

وقد استتبع ذلك قلة اهتمام بنتاج مواطنهم من العراقيين ،
ما فت في عضد المؤلفين الناشئين ، فخارت همهم وانكشفت معنوياتهم .
وقد جار بالشكوى الكثيرون "لعزوف القارئ العراقي عن متابعة الانار

(١) اسماعيل ادهم ، "توفيق الحكيم" ، ص ٣٧ .

(٢) الياس ابو شهكة ، "روابط الفكر والروح" ، ص ١٣٣ .

الادبية العراقية وعدم استشعاره وجود الاديب العراقي استشعاراً يدل على اكتسابه صفة الوجود او الوجود الذي يسد حاجه من حاجات المجتمع * (١).

وبالرغم من طغيان هذه المدرسة في فترة عشر السنوات التي سبقت الحرب العالمية الثانية ، فان شيئاً من التوازن قد حدث في ميل القراء الى نتاج اقطابها بانصراف الاهتمام الى الكتب المترجمة عن الآثار الغربية الرائعة ، ترجمة متقنة بطباعة انيقة . وربما كان من عوامل الزهد هذا ، ان هؤلاء الكتاب لم يتطوروا تطوراً كبيراً يلائم الروح التي طرأت على القارئ العراقي بعد الحرب العالمية الثانية ، كما كان من غير شك - لانتقال مفهوم الوطنية من معناها السابق الى مفهوم جديد وشيك الصلات بانقسام العالم الى معسكرين متناحرين فكرياً ، وسياسياً اثر كبير في ذلك ، اذ نشأ تعصب شديد استمد صلابته من صلابه المعتقد في نفس القارئ فكان امراض وازدراء شديدان عن كل ادب غث او رقيق لا يمثل عقيدة القارئ واقبال على الادب الاخر باشواكه وثمره .

ومع ذلك فقد استطاع ذلك النفر الطيب من كتاب العربية - الافذاذ ان يتركوا احسن الآثار فكانوا لكتابنا اسوة حسنة وقدوة رفيعة المثال ونحن لو رحنا نتلص في نتاج كتابنا اثار هذه المدرسة لما اعيانا البحث ، اذ كان من نتائج التفاعل الادبي بين البلاد العربية والعراق * ان قام نفر من العراقيين يوفون القصص على غرار المصريين مثلاً فاصدر محمود احمد مجموعة الطلائع سنة ١٩٢٩ وانور شاوول مجموعة الحصاد الاول سنة ١٩٣٠ ومن يقابل بين هاتين المجموعتين وبين قصص مجموعة ما تراه العيون (٢) لمحمد تيمور يعجب لما بينهما من التشابه

(١) عهد الرزاق محي الدين ، * المشكلة الادبية في العراق * . مجلة

المعلم الجديد ، جزء حزيران ١٩٥٢ ، بغداد .

(٢) طبع ما تراه العيون سنة ١٩٢٧ طبعته الثانية في المطبعة السلفية بمصر .

في الاسلوب والموضوع". (١)

ولا غرو في ذلك فان فن " التيموريين القصصي اثر تأثيرا كبيرا في جيل الكتاب المعاصرين كلهم". (٢) كما ان مقالات واقاصيص محمود السيد المتناثرة في الصحف العراقية والعربية تحمل النزعات نفسها التي كان يدعو اليها محمود تيمور وسائر كتاب مصر من ان الادب هو مصور الحياة الاول . . .

ويظهر شغف الكتاب العراقيين واضحا باقبالهم على مطالعة اعمال الكتاب الواقعيين في الاداب العالمية المختلفة . فايوب يعترف بان اصحاب المدرسة الواقعية في الادب الفرنسي وهم زولا وبلزاك واضرا بهما قد احدثوا انطباعا عميقا في نفسه كما انه اولع بقراءة الكتاب الروس وكانت الالباء والهنون والارض العذراء وليزا اول ما قرأ لترجيف وتوقف عند دستوفسكي توقف اعجاب ودراسة وامعان ، واول كتاب قرأه لهذا الكاتب هو الجريمة والعقاب وبالرغم من اطلاعه على مختلف القصص العالمية الا انه لا زال يعتبر دستوفسكي امام القاصيين". (٣)

وهكذا الامر مع انور شاؤول الذي قرأ كثيرا لويلز وموباسان وغوركي وتشيكوف (٤) ولا ينكر شالوم درويش تأثره بالقصة الروسية واعجابه بها . (٥)

(١) شفيق جحا ، "القصة العربية في النهضة الادبية الاخيرة" ، نشر في مجلة

المروية : العدد الاول كانون الثاني ١٩٣٩ السنة الرابعة ، ص ٧٩ .

(٢) كراتشكوفسكي ، "في الادب العربي الحديث" ، الرسالة ، المجلد

الثاني ، السنة الرابعة ١٩٣٦ ، ص ١٨٠٨ .

(٣) من مخطوطة محفوظة لدى الدكتور محمد يوسف نجم كتبها ايوب بخطه .

(٤) " يحتفظ بها الدكتور محمد يوسف نجم بخط الكاتب .

(٥) المرجع السابق .

واما عبد الملك نوري فبعد ان كان تهز نفسه الطرية قطعة
 من الشعر المائع وتغرق عينيه بالدمع اية رواية رومانتيكية على غرار
 ماجدولين او غادة الكاميليا او آلام فرتز ورفائيل^(١) غدا منصرفا بكليته
 نحو الكتاب الروس والكاتب الايرلندي جيمس جويس بصفة خاصة .

(١) عبد الملك نوري، " صور خاطفة من حياتنا الادبية " ، نشر بجريدة
 اخبار الساعة البغدادية ، عدد ٢٤ سنة ١٩٥٣ .

الفصل الرابع

حركة الترجمة

- ١ -

تكلمت فيما سبق عن اثر المدرسة الواقعية العربية في توجيه الكتاب العراقيين ، وظلت ناحية اخرى اقل اهمية عما تقدم ، تتمثل في تلك الجهود القليلة التي بذلها العراقيون انفسهم في حقل الترجمة . وكأمر طبيعي بدأ الكاتب العراقي يترجم عن التركية فقد تعلمها بحكم الظروف التي مرت على البلد .

وقد كان الادب التركي مشبعاً بالتأثير الفرنسي . (١) لاقبال كتاب الاتراك على تلك اللغة ^{العلماء} ولجلبهم آثاراً أدبائها .

كان الرصافي اول من فكر في قوائد الترجمة لذا نقل الى العربية "رواية الرؤيا" للشاعر نامق كمال ، واغلب الظن انها اول قصة تامت بطبعها مطابع بغداد سنة ١٩٠٩ كما انها كانت اول اثر نثرى للشاعر العراقي . (٢)

وعني محمود السيد منذ بدء اشتغاله بالحياة الادبية الى ان توفاه الله بترجمة القصص التركية ، وكتابة البحوث الضافية عن الادباء والشعراء الاتراك في الصحف المحلية والعربية . وخص مجلة الحديث الحلبية بالقسط الاوفر من عمله هذا . ولم يتعباً له ان يجمع ما ترجم في كتاب .

الا ان شيخ المعجبين بالادب التركي هو خلف شوقي الداودي اذ كان يعيل بنوع خاص الى الروايات التي يكتبها مشاهير الكتاب الروائيين ، امثال رشاد نوري ، وارجمند اكرم ، ووالا نور الدين وغيرهم . وكان

(١) الياس ابو شبكه ، "روابط الفكر والروح" ، ص ١٥ .

(٢) رفائيل بطي ، "الادب المعصرى في العراق العربي" ، ص ٧٣ .

يجد فيما يقرأ لذة لا يجدها في غيرها ، ويشعر معها بعبارة وعظه عظيمتين ونقد ونكتة مستطاحتين لا يشعر بهما عند قراءة القصص الفرنجية". (١)
لذا اقدم على ترجمة الكثير وطبع كتابها ضم بين دفتيه ما ترجم سماه "قصص مختارة من الادب التركي".

هنالك نفر آخر لم تستهوه الترجمة عن التركية كثيرا ، اذ كان عمله ضعيفا انحصر في بضع اقاصيص وروايات نشرها في اوقات متفرقة ثم نفذ يديه من الامر جملة واحدة . ولم يكن حظ الترجمة عن اللغات الاخرى باوفر نصيبا من التركية ، لتلك العوامل التي اوضحتها فيما سبق .

- ٢ -

ومن اوائل المترجمين عن اللغات الفرنجية الاستاذ رفائيل بطي ترجم عن الفرنسية "يوم زلزلت الارض زلزالها" (٢) ونشرها متتابعة في جريدة العراق سنة ١٩٢٣ ، كما كان بطي نفسه يشجع ترجمة القصص والروايات في مجموعة صحفه التي اصدرها في بغداد منذ سنة ١٩٢٩ .
واصدر عبد الوهاب الامين سنة ١٩٣٦ مجموعة من الاقاصيص الموضوعة والمترجمة . . غني بانتقاء المترجمة من روائع كتاب الغرب .
كما ساهم في الترجمة انور شاوول بمجموعته المسماة الحصاد الثاني وترجم مسرحية عنوانها "وليم تل" او في سبيل الحرية واربع قصص تدعو الى التزام القواعد الصحيحة .

ولعل اضخم الجهود التي بذلت في سبيل الترجمة هي جهود ابوب ، ولا يسع القارئ الا ان يكبر في هذا الرجل روح الجد والمنابرة

(١) خلف شوقي الداودي ، "قصص مختارة من الادب التركي" ، ص ٣ .

(٢) لم يقدر لهذه القصة ان تتم ترجمتها اذ اعترض المطران على نشرها بكتاب ارسله الى صاحب الجريدة رزوق غنام بدعوى انها منافية للاخلاق . وما زال الاستاذ بطي يأمل في العودة اليها وترجمتها .

إذا علم مبلغ معرفته باللغة الاجنبية ومبلغ ما عاناه في الرجوع الى القاموس
ليدرك معاني الكلمات .

وكانت فاتحة اعماله الادبية ترجمته لقصة المعطف للكاتب الروسي
جوجول نشرها في مجلة صدرت في العراق مدة وجيزة اسمها "الطرائف
المصورة" كما ترجم فصلا من "الاخوة كرامازوف" اسمه المفتش الاعظم
نشرته له مجلة "الغد" لصاحبها المرحوم رؤوف الجبوري .^(١)

وترجم سنة ١٩٣٤ قصة "المكفول" للكاتب الروسي جيركوف
نشرتها له جريدة الاهالي البغدادية . . . كما اشترك بترجمة قصة "الام"
لمكسيم غوركي^(٢) الا ان الترجمة جاءت سيئة الطبع زكيكة الاسلوب . . .
واخرج بالاشتراك مع اكرم فاضل "الاباء والبنون" لتورجنيف .
كما ترجم عبد الستار فوزى خمس اقاصيص للكاتب الفرنسي جي
دي موباسان اودعها بين دفتي كتيب سنة ١٩٣٨ ولست ادري فيما اذا
كانت الترجمة عن الانكليزية او الفرنسية .

ووجدت ترجمات قليلة لجماعة لم يعرفهم الراى العام العراقي
الادبي كما ان اعمالهم كانت محدودة الاثر مثل خالد الغزى وجويج كيك
اللذين قاما بنقل "سيلاس مارنر" الى العربية سنة ١٩٤٩ ، كما عرّب طالب
مصطفى عبد الله "ترانيم العباقرة" وترجم "ايتام امه" احمد الدباغ ،
واختار غانم الدباغ قصصا من الغرب نقلها الى العربية ، وعاد خالد الغزى
متفردا في ترجمته "لعائلة باهرت في شارع ومبول" ، كما نقل ابراهيم
عبد الكريم "الزنبقة السوداء" الى العربية .

ويعود عبد الوهاب الامين سنة ١٩٥٢ الى ترجمة مجموعة
مختارة من الادب العالمي اطلق عليها اسم "ذباب" . وفي سنة ١٩٥٤

(١) من مخطوطة محفوظة لدى الدكتور محمد يوسف نجم كتبت بخط
الكاتب .

(٢) المرجع السابق .

وضع شاكر خصبان دراسة عن انطون تشيخوف ضمنها ترجمة لبعض اناحيه ،
كما قام الدكتور صلاح خالص بترجمة ثلاث مسرحيات للكاتب الفرنسي جان
كوكتو هي : مدرسة الارامل ، والبحار البائس ، وانتجون .

— ٣ —

يستدل من ذلك ان حركة الترجمة ضعيفة جدا ، وهي تخضع
في ضعفها لتلك العوامل التي اضعفت التأليف . وما هو جدير بالملاحظة
ان ادباء العراق ترهقهم واجبات وظائفهم ، مما لا يدع لهم مجالا
للنتاج الخصب ، في حين اننا نرى في البلاد العربية كثيرا من الادباء
من تفرغ للعمل الادبي مكرسا له كل وقته ، كما ينهني الا نغفل من
حسابنا ما يلقاه الاديب العربي من تشجيع واقبال يغطيه عليه العراقي .
تلك الفوارق في الظروف المواتية تصور مبلغ الازمة التي
يعانيها العراقيون ويضج منها الادباء وغير الادباء .

ولا جدال في ان الترجمات العربية لكب الغرب كان لها القدر
المعلى في توجيه ناشئة الكتاب وطبعهم بطابع المذاهب الادبية الحديثة
المعاصرة . كما ان فئة اخرى اكتسبت شهرة طيبة وعرفت بها المجلات
الادبية المحترمة في البلاد العربية وفسحت لاقلامها المجال ان تكتب
ما تشاء ، ولم تكن ذخيرتها العلمية سوى هذه المترجمات وما وضع
ادباء العرب المحدثون من تأليف ، اما محصولها من الادب القديم
فضئيل ان لم نحكم بعدم وجوده .

الباب الاول

الاقصوة العراقية بين الحربين

المحاولات البدائية

مقدمة

يصعب جدا ان نتخذ من المقامة العربية مبدأ لنشوء القصص العربي ، كما انه لا يصح ان ننكر اى اثر لها في نهضة هذا الفن ، سيما ان كتابا كالمنفلوطي والزيات ، كتبوا القصة بأسلوب يمت بشديد الصلة الى تلك الدوحة الهمدانية الحريرية .

وان كانت المقامات القديمة لا يربطها بحياة العصر الذى وجدت فيه غير خيط واهن ، الا ان المجموعة التي صدرت في مطلع هذا القرن كانت اكثر ارتباطا بالعصر ، يقف في طليعتها "حديث عيسى بن هشام" لمحمد ابراهيم المويلحي (١٨٥٨ - ١٩٣٠) ، ويكاد يصل هذا الكتاب بتصويراته وطريقته الى القصة بمعناها الحقيقي ، وقد اتخذ من تجارب احد الباشوات الذين عاشوا في زمن محمد علي خيطا يربط بين اجزاء تلك المقامة . (١)

كان في العراق محمود ابو الثناء اللوسي (١٨٥٤ - ١٨٠٢) ، قد كتب مقاماته سنة ١٢٧٣ هـ . تقع في اربع مقامات ، اولها رسائله الى ابنائه ، اما الثلاث الباقيات فقد صور فيها حياته ودراسته وشيوخه وما لاقاه من ظلم الولاة ونفاق الناس . (٢)

الحق بها مقامة خامسة سماها "رسالة العشق" تحدث فيها عن ايام الشباب في المدرسة العمرية في الجانب الغربي من بغداد شرقي القمرية ، حيث اتفق له "في امر العشق اغرب قصة ولعمري لقد حلت وان مرت وابتقت اعظم غصه" . (٣)

(١) جيب "القصة المصرية" ، الرسالة ، العدد ٦ سنة ١٩٣٣ ، السنة الاولى .

(٢) طبعت طبعة حجرية في كربلاء ومحفوظة في "مكتبة الاوقاف" انظر كذلك

محمود العبطه ، "مقالة من ادب الاباء الى الابناء" في مجلة الثقافة العدد ٦٤١ ، ١٩٥١ .

(٣) ابو الثناء اللوسي ، "مقامات اللوسي" في اول المقامة الخامسة .

نجد في هذه المقامة نفحات من القصة ، وانطلاقا بسيطا من قيود المقامة ، وبالرغم من اسلوبها المسجوع فهي لا تخلو من طرافة تجعل القارئ يواصل قراءتها ، يفتتحها بالبسملة ثم يقول :

خليلي ان الحب ما تعرفانه فلا تنكرا ان الحنين من الوجد

ويخاطب خليله الخلي من العشق قائلا :

"وقد لزمت الاقامة في المدرسة العمرية الواقعة في الجانب

الغربي من بغداد شرقي جامع القمرية بين طلبة اخلاقم ارق من دمة الصبا بل الطف من وابل بل او ام الزهر غب الجذب ما فيهم الا من جعل له لثم يدي لثاما واتخذني دون من هو في السن امامي اماما " .
ثم يطرق بابه رسول يفيض في حديث الهوى والدمام وينشده الشعر العذب ارق ما قال الشعراء في الغزل والنسيب تنم عن ذوق منشدها الرفيع وحسن اختياره ثم يهتف به الرسول قائلا : فقم واعشق كما عشقت لتحقق بالكمال كما تحققت

ويقول صاحب الرسالة فلما اجتليت بدر مراره من خلال بروج كلامه قلت "ايها الشيخ مهلا مهلا لاعرض عليك ما عن لي الان فصلا فصلا ثم يتفنان ان يلما ببعض الاصدقاء والاحباب في بستان سليمان باشا الكبير فيصف الاهتواء والموائد المنتشرة في ارجاء البستان صف عليهما ما لذ طعمه وساغ شرابه ثم يعرج على القصر فيقول فيه انه "قصر طال ميناء وطاب مغناه" كانه في الحمانة جبل منيع وفي اللطافة ربيع مريع . . ويلحف الجماعة على صاحب الرسالة ان يحتس شيئا من ابنة الحان فلم يجد بدا من ذلك "بعد ان اقم الغلام علي بالغرة والطرة وحلف ان اشرب ولو مقدار قطرة وجعل يتغنج لي جذب بمغناطيس تغنجه حديد عقلي فجعلت انا دى في ذلك النادى :

الا اسقنيها قد مشى الصبح في الدجى

عقارا كلون النار احمر قرقا

ثم يعود الى مدرسته وطلبته يلقي عليهم الدروس ويحمد الله على انهم لم

يعرفوا سر انتشائه وتورد وجنتيه من تلك الخمرة التي شربها ٠٠ ولا
يكتفي بذلك بل يعود ثانية في صحبة قينة رومية الى ذلك البستان الوارف
ويبدأ في مطارحة احبابه السجع يحليه بملح وشواهد طريفة، ولكنه سرعان
ما يبرم بهذه الحياة فيطلقها طلاقاً باثناً، ويعود الى سالف سيرته اذ
”زَمَ وانسلك في سلك اهل السلوك“.

ومما يسترعي النظر في هذه الرسالة او بالاحرى في هذه القصة
المسجوعة ان حوادثها بغدادية صرفة ذات لون محلي وهو امر ينسدر
ان يلجأ اليه كاتب مغرق في القديم والتقليد في عصر مثل عصرايي النناء
ولكن يؤخذ عليها تكلف حوادثها واسراف المؤلف في استعمال السجع
والمجاز، (١)

ثم تمر السنون ثقيلة متباطئة تشكو الفراغ والعقم حتى تصل بنا
قافلة الزمن سنة ١٩١٩ لنجد كاتباً عاصراً حقبة من التاريخ، مليئة بالاحداث
الجسام هو سليمان فيضي، وقد اسهم في العمل الادبي بنصيب غير قليل
وتعتبر مسرحيته المسماة الرواية الايقاظية (٢) من اقدم القصص في العراق،

(١) للالوسي رسائل اخرى اقل اهمية من رسالة العشق وابعد من ان
تعتبر بواكير القصص العراقي مثل رسالة ”نزهة الشمول في السفر
الى اسلامبول“ يتحدث فيها عن سفرته من بغداد الى اسلامبول
ماراً بجزيرة ابن عمر وماردين وديار بكر وقد عرض فيها لكثير
من شخصيات عصره وتحدث عنهم ومدحهم، لزالّت مخطوطة بقلم
نعمان بن ثابت الالوسي سنة ١٢٨١ هـ محفوظة في مكتبة الاوقاف
تحت رقم ٦٢١٥ خ ٠٠

وهناك رسالة ”نشوة المدام في العود الى مدينة السلام“
يصف سفرته من تركيا الى بغداد محفوظة في مكتبة الاوقاف تحت رقم
٦١٣ خ وهي مخطوطة بخط نعمان بن ثابت الالوسي سنة ١٢٧١ وقد
اوقف الرسالتين الناسخ نفسه .

(٢) طبعت الرواية الايقاظية في مطبعة الحكومة سنة ١٩١٩، وعدد صفحاتها ١٤٢ .

اراد من وضعها ايقاظ النيام والقضاء على العادات التي تقف حجرة عثرة في سبيل تقدم البلد وقد انحى باللائمة على تزمّت المترمّتين وقناعتهم بما هم فيه وقد كان اهل البصرة بصفة خاصة - وهي البلد الذي استقر فيه الكاتب بعد نزوحه من الموصل - يتوارثون ملكية النخيل كابرا عن كابر يتظلمون الى ثمره اذا اثمر فاذا جاد كانوا في خير وبحبوحة عيش واذا حال عانوا الامر من عوز وفاقة لذا دعا الكاتب الى تعليم الاولاد مهنة يرتزقون منها اذا ما اخلفت النخلة ظنهم .

وهذا باقل - بطل الرواية - ابن تاجر يحب اليه صديقه التزود من العلم ولكن اباه يعارض في ذلك خوفا على صحة ابنه ان تضيقها القراءة والسمي ولكن امام توسط اهل الخير والرجال الطبيين ادخل المدرسة واتم تحصيله الثانوي ثم ذهب الى باريس ليدرس الطب وعاد طبيباً فاصبح ساعد ابيه القوي الذي تقوضت تجارته واعلن افلاسه .
ولسنا نتوقع من شخص تثقف ثقافة عهده المتأخر ان يحسن فنية القصة لذا حشرها بالمواعظ والارشادات .

كما ان الرواية الايقاظية قريبة الصلة بالمقامات من حيث الاسلوب المسجوع بفارق واحد هو انه استعمل السجع حتى في العامة . (١)

- (١) جميل سعيد ، "نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق " ، ص ٥٤ .
 < - كان لسليمان فيضي مؤلف الرواية الايقاظية مشاركات في الحياة السياسية على جانب من الاهمية وقد عاصر السيد طالب النقيب ذلك الرجل الذي لم يستطع احد من جلادى الاتحاديين ان يرد تحديه للدولة العلية وقد كان الكاتب مستشاره الخاص وامين سره . . وقد كان مقدرا له ان يلعب دورا خطيرا في حياة العراق السياسية لو رضى بما اشار به عليه لورنس من القيام بثورة مسلحة تنهض بها عوائل العراق للاجهاز على الجيوش العثمانية المكدودة . اشتغل بالمحاماة والتجارة ووضع كتباً في القانون والادب اخرها في غمرة النضال . . ومن الطريف انه كتب في مقدمة الرواية سبب تأليفها قال " وبعد

وصفوة القول ان المقامات لم تكن ذات اثر جلبي في نشوء
القصص في العراق وفي غيره من البلاد العربية كجلاء العامل الاجنبي
المتمثل في تلك النماذج الرائعة التي عرفها ابنا العربية في لغاتها
الاصلية او مترجمة الى العربية .

كما ان القصة العربية توابك خطوات التطور التي تخطوها
المجتمعات العربية منذ بدء النهضة الحديثة الى يومنا هذا .

ففي فجر الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الاول سنة ١٢٢٦ هـ ٠٠٠
اذ رايت في منامي كائي في محفل عظيم ، مزدحم بخيرة الرجال ،
اشبه بالانتظام (بَيْتًا عالِ العالِ) ٠٠٠ له ستة ابواب وفيه غرف
ومحارب فجرى تشخيص هذه الرواية من قبل نبلاء الرجال " ثم
قال " وبينما انا كذلك اذ ايقظني هاتف يسمى الايقاظ (اسم جريدة
كان يصدرها مؤلف هذه الرواية في البصرة) وقال قم نألك في
مرهد بنى تميم لا في سوق عكاظ ، وسارع الى تسطير ما رايت في
المنام ، وانشره على مسامع القوم الكرام ، لعلمهم من غفلتهم ينتهون
او يتأملون ويفقهون ، فقامت مرعوبا والفؤاد مندهش وتناولت
القلم والانايل ترتعش ، واديت المداد والقرطاس وهواجسي تضرب
اخماسا باسداس ثم شرعت في التسطير وعلى القراء التفسير راجيا
ان تكون خير رؤيا رؤيت والطف رواية رويت "

كما ختم الرواية بعشر وصايا كوصايا الرب التي انزلها على

الفصل الاول

محمود السيد احمد ١٩٠١ - ١٩٣٧

عاصر محمود السيد الجيل المخضرم الذى كان في اول امره يخط في سبات عميق ويقضى اوقاته في "مقاهي الطرف"،^(١) يتجاذب اطراف الحديث مع لداته ويلعب النرد ويسعى لرزقه بكسل ثقيل . . . هذا اذا استطاعت الشفاعات والرشاوى ان تنقذه من موت محقق فسي صفوف الجيش العثماني المحتضر .

وفي صبيحة يوم من ايام سنة ١٩١٢ شهد محمود في ازقة بغداد الضيقة ودروبها الملتوية جنودا لم يكن للمدينة عهد بهم خلال تاريخها الطويل لقد كانوا في ام عدة واكمل نظام . عرف محمود فيهم حركة استعمارية بغیضة هدفها السيطرة على العالم واحتكار خيراتہ ، ولم يصدق محمود انهم جاؤوا محررين من نير الاتراك .^(٢)

هنا اسقط في يد محمود كما اسقط في يد امثاله من الشبان ، ماذا يعملون ، وكيف يواجهون امرا كهذا ؟ انهم لم يستعدوا استعدادا صحيحا ، وليس هنالك ما يوحد بين اولئك الذين يرغبون رغبة اكيدة في دفع هذا النوع الجديد من الاستعمار . برم محمود بمقامه في بغداد وعقد النية على الرحيل مبمما

(١) مقاهي الطرف تعنى مقاهي الحي الذي يسكنه الشخص وهو يفضل الجلوس في مقاهي حية على غيرها ليكون قريبا ممن يعتر بهم ويتخذهم حصى يفرعون له اذا اشتبك في خصام مع الاخرين وتلك ظللال الروح القبلية لا زالت تسود بعض احياء بغداد القديمة .

(٢) ذلك تصريح القائد الانكليزي مود اذاعه في منشور وزعه على البغداديين غداة دخوله المدينة .

شطر الحجاز ، مهد الثورة العربية . فيقوم بينه وبين ابيه خصام تقف
الام حياه مشفقة على ابنها ان يصيبه مكروه^(١) ويمر عليها نأيه عنها ، يريد
ابوه ان يستبقه الى جانبه ويريد منه ان يدبر امر رزقه ليزجي فراغ
ايامه ولكنه " كان من الشباب المتحمس الذي ظهر بعد الحرب الكبرى
وحدث الثورة في الحجاز ليعمل مع العاملين في اعادة مجد العرب
القديم مجد العصور الذهبية " .^(٢)

وهو في الواقع صراع بين عقليتين : عقلية من نشأ في ظل
العثمانيين واستمرأ حياة السكينة وآثر الراحة واعته وحدة الدين عن
النظر بمنظار العقل والشعور الوطني الى ما حل بالوطن من دمار وهلاك ،
وبين عقلية جبل طامح متطلع يريد ان يجد مضطربا له ليثبت كيانه ويبرهن
على وجوده وينعتق من عبودية سبعة قرون ، وعبودية طارئة جديدة لا
يعرف كيف يدراها ، وليس من يهديه سوا السبيل .

نقله الخط العسكري الذي انشأته ظروف الحرب الى البصرة
ووفق منها في الخروج من العراق ،^(٣) ولكننا لا نعلم لماذا لم يوفق
في الذهاب الى الحجاز ، انه يضرب صفحا عن ذكر ذلك ، ومن يدري
فلعل موضوع سفرته الى الحجاز قد اقحمه اقحاما ليصح له القول بالجهاد ،
اضف الى ذلك ان رحيله عن بغداد حدث بعد انتهاء الحرب بسنة واحدة
ولم تكن هنالك ثورة عربية اذ قدر لها ان تنتهي بانتهاء الحرب وعلان
الهدنة ، كما ان هذا المتاع الذي حمله : " حقبة سودا " مكتوبا عليها
باحرف عربية واضحة جلال خالد - وهو اسمه - يتبعه حمال يحمل حقبة
كبيرة اخرى من الجلد ورزمة من الاثا^(٤) . لا يمكن ان يكون لرجل
ينوى الجهاد والتنقل السريع .

(١) محمود السيد ، " الطلائع " ، ص ٢٠ .

(٢) " جلال خالد " ، ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧ .

وهكذا اقلعت الباخرة "بارجورا" مجتازة شط العرب وخليج البصرة حتى بومبي ، وهنا قدّر له ان يرى صوراً من ادواء المجتمع الحديث تتمثل فيها فوارق الطبقات/اناس متخمون وآخرون معدمون ولن يتعباً لانسان ان يرى تناقضاً مثل هذا في غير الهند فقد "شعر بالنفرة من تلك النظم القاسية التي تستغل الجموع لاجل الفرد الذي لا ينماز عنها بعضو من اعضاء الجسم بل هي بخصائصها الجسدية والعقلية ارجح واعلى " . (١)

ويرى جانباً من كفاح الانسان لطلب الانصاف ان يضرب العمال - وهذا سلاحهم - ويحتشدون في احدى ساحات المدينة ، ولكن الشرطة تنقض عليهم وتعمل فيهم تقتيلاً وضرباً " فكان يمزق كبده الصرخ المرفوع منها الى السموات العلى وانه لصرخ الانسان يظلمه اخوه الانسان " . (٢) وفي كلكتا يلتقي بكاتب هندي اسمه سوامي " يشتغل محرراً في احدى الصحف الثورية التي طالما رعاها الزعيم العظيم تيلاك استاذ الزعيم غاندي " (٣) وهو اشتراكي متحمس يلقي عليه درسا في الوطنية والعمل من اجل الحرية ، فيعلمه ان الجهاد لا يكون بالخروج من البلاد تخلصاً من وطأة الاحتلال ، (٤) وان الوطنية في الهند معناها العمود في ارض الوطن واثارة المواطنين على الغاصبين . جاب السيد الهند كلها من اقصاها الى اقصاها ، زار بعض صحفها واطلع على مختلف نزعاتها " وقد برق امامه نور المعرفة الحديثة الصالحة فرأى افق الحياة متسعاً ، وادرك انه كان في مثل ظلمة لا يرى لها الا افقاً ضيقاً كاطار الصورة ، ثم سواتته انباء الثورة في العراق فاهتز طرباً ونقل انباءها الى صديقه

(١) المصدر المرجع السابق ، ص ٧ .

(٢) " " " ، ص ٨ .

(٣) " " " ، ص ١٠ .

(٤) " " " ، ص ١٠ .

الصحافي سوامي فاذا دعا هذا بدوره على صفحات جريدته واستزاده منها ثم صم السيد على ان يعود الى وطنه ليساهم في الثورة ... ولكنه ما كاد يصل البصرة حتى بلغه نبأ سي^(١) خطم اماله القومية تحطيمًا ، لقد احتل الفرنسيون سوريا العربية^(١) كما انطلقت نيران الثورة العراقية .

سويصل بغداد ليستقبل فراش المرض ، وقد احس احد اصدقائه ان "حمى صاحبه ليست الا صدى للصدمة التي صدم بها العرب" ،^(٢) وفوجئ بموت امه وكانت عزيزة عليه فانتكس .

وهنا نرى محمود السيد يلتجئ الى وسائل صديقه سوامي في الجهاد فيعمل مع لفيق من اصحابه على اصدار صحيفة . ولكن ماذا يجدى الايمان في العمل امام الحاجة الى المال ؟ فيجرب حظه في ميدان الكتابة القصصية ضاربا صفحا عن الاستهجان المضحك من كل جانب ، لان العالم كما يقول لا يرونه واصحابه * الا اناسا متهوسين او شبانا تدفعنا على ذلك حرارة الشباب لا غير ، ولعلنا نرى لهم بعض الحق لانهم رأوا ما رأوا من دعاوى الذين سبقونا من الرجال المحنكين فلم يعمدوا يصدقون باحد ، كماثالنا وامثال غيرنا من الشبان الناشئين . (٣)

- 1 -

الا ان السيد لا يحفل بالفريقين : فريق المدعين وفريق العوام
الجاهلين وسيواظب على عمله رويدا رويدا لا بظفرة واحدة لانها في
رأيه محال . (٤)

أصدر أولى مجموعاته "في سبيل الزواج سنة ١٩٢١" وصفها بأنها شرقية هندية وألقبها "بمصير الضعفاء" العراقية و"النكبات". (٥)

(١) المرجع ^{الصدر} السابق ، ص ٣٩٠.

(۲) ۳۹۱

(٣) محمود السيد، "السهام المتقابلة"، ص ١٠.

(٤) المرجع السابق ، ص ١١ .

(٥) طبع كتاب "مصر الضعفاء" بمصر مطبعة الاعتماد عام ١٩٢٢، وطبع "النكبات".

• في مصر أيضا بمطبعة المعاهد سنة ١٩٢٢ .

وقد عمد الى كتابة الروايات لانها - كما يرى - اهم ما يكتبه
الكاتبون في العصر الحاضر^(١) وقد هاله الا يرى كاتباً عراقياً يصرف همه
الى ذلك . وقد خلع على ابطاله في هذا الدور صفات البطولة الفذة
التي لا يقف في وجهها شيء بل تتخطى جميع العقبات لتصل الى محبتها .
وذلك ، في اعتقادي ، تعويض لاماله المحطمة بعد ان اصابته وطنة نكبات
متوالية . وما كان يبدو من شذوذ في ابطاله لا يحتمله الواقع تده روح
شاب وثابة لا تتعدى سن الثانية والعشرين . فهو يريد ان يضرب للناس
اروع الامثال لنيل المرام : فابراهيم الضابط في "مسير الضعفاء" يحتال
على القائد الذي يناديه حتى يتزوج اخته بان يقرأ له القصائد التركبية
يشيد فيها بقومه الاتراك ، وتلعب الخمرة دورها في رأس القائد فيوافق
على مصاهرة ابراهيم له . . . ولكن القائد يندم في صحوه ويسجن ابراهيم .
تري أيستسلم ابراهيم للسجن ؟! يجع الخيال بالكاتب فيجمع الى ابراهيم
صديقه ايام التلمذة ، يأخذ احدهما من سجن بغداد ، يأخذ الثاني من
سجن البصرة ، ويتعاون الجميع على الهرب ويتم لهم ذلك .
ولا يقف الخيال بالكاتب عند هذا الحد بل يجعل من عشيقته
ابراهيم "زهراء" فارساً مجلياً تهرع الى ابراهيم لتعلمه انها قتلت اخاها
عقاباً له على قتله ام ابراهيم .

تلك الحوادث هي روح الكاتب تنفث قفزات لا يعوقها زمان
او مكان ، تجمع البعيد والقريب وتختصر الزمن والمسافات لتصل الى غايتها .

- ٢ -

وتتمثل تلك الروح باجلى مظاهرها في "سبيل الزواج" ايضاً
اذ ينافس البطل على حبيبة قلبه شخص اخر مرهوب الجانب ، يلقيه الناس
ببطل الجبل . برأس عصابة مخيفة ، ولكن بطل القصة مقدم يعرف طريقه
الى غايته ، فيركب الاهوال الى الجبال ويشق الغابات ويلتقي ببطل الجبل

(١) محمود السيد ، "السهم المتقابلة" ، ص ٧ .

ويقضي عليه وعلى عصابته ويعود مكللا باكاليل الغار ولكنه يجد حبيبته
قد ماتت حزنا لفراقه .

- ٣ -

ونجد في كتاب "النكبات" اثر الرواية الايقاظية جليا فقد كان
سليمان فيضي يحظ الناس بعدم شرب الشاي والتبغ ويهين لهم ضرر البصق
على الارض . . ولكن السيد يدخل بعض التعديل على وعظ فيضي المباشر
ليجعل من بطل القصة مرشدا منها رفاقه الموظفين الى ضرر الخمرة
فيضجر منه هؤلاء فيعملون على فصله من الوظيفة .
وقد افسد السيد على القصة مغزاها الاخلاقي حينما جعل رفاقه
يفلحون في اخراج "الواعظ" من عمله تبرما بوعظه . (١)

تلك اثار السيد في طوره الاول "فصول مفككة واسلوب ضعيف" (٢)
كما اعترف هو نفسه بذلك ، وعظ مباشر ، مسوق بلغة مهلهلة ، بحاجة
الى طول مران واستعداد كبير .

- ٤ -

ثم يتراخى الزمن بالسيد فلا يضيع فرصة تمر عليه دون ان يهتبلها
بالمطالعة الجدية ليصلح من اسلوبه ويزيد في تجاربه ، وقد شجعه انتشار
النسخ المطبوعة من كتبه . (٣) كما شعر بمقدار تخلفه وعدم اطلاعه باختلاطه
الواسع ببعض كتاب الهند ومفكرها " فعزم على دراسة الادب والفلسفة
عند بلوغه العراق " . (٤)

وقد صدق ما عاهد نفسه عليه ان قرأ الشيء الكثير مما وجد في

(١) جميل سعيد ، " نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق " ،

ص ١٣ .

(٢) محمود السيد ، " جلال خالد " ، ص ٤٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٤) محمود السيد ، " الطلائع " ، ص ٣٨ .

مكتبات بغداد * من كتب قديمة وحديثة ، وتفهّم كتب قاسم امين ، وكان يعرفها معرفة سطحية ، والم بالكتب المعربة عن اللغات الافرنجية ، وقرأ كثيرا من مجلدات المقتطف والهلل ومجموعة الدكتور شبلى شميل * (١) ولم يكن السيد مغاليا فيما قال ، اذ ان آثاره المتأخرة تشهد بالكثير من سعة اطلاعه .

ففي "جلال خالد" كان المؤلف يسوق الدليل تلو الدليل ، متعمدا او غير متعمد ، على جزيل الفائدة التي نالها من مطالعته ، وقد تغير اسلوبه في كتبه المتأخرة كثيرا ، فهو الى القوة اميل منه الى الضعف ، تطالعك فيه الكلمات الغريبة مثل تنكأ ومعمي والطبن ، ولا يصف ^{يضن} على القارئ بشرحها ليصل الى اقناعه ببدى افادته . كما انه كان - في هذه المرحلة - اقدر على التعبير عما يضطرب في نفسه .

ويلاحظ ان السيد لا يحفل بالدعابة والفكاهة اذ قلما تعثر عليها بين ثنايا سطره ، ذلك لامتلاء نفسه بآلام امته واشجانها ، ولطبيعة الجد والرزانة التي كانت تلازمه منذ نعومة اظفاره . ومع هذا فقد تعثر بشيء تنأهى فيه السخرية اللاذعة والتهكم القاسي ، فتجده حين يتحدث عن موائد ارباب الثراء يقول "عليها من المآكل والمشارب الوان وضروب ولا يعوزها الا لبن البلبل وامساخ العصافير" (٢) ، تأمل لبن البلبل وامساخ العصافير . . لقد حاز هؤلاء كل شيء وانقر الاخرون لكل شيء . وهو قادر ان يعطيك صورة تضحك وتبكي تبلغ فيها السخرية اقعاها قال "ولا اجرا حقا ان انقل اليك نبأ واحد منهم رأيتهم يحسد حمارا لشيخ من شيوخ القبائل كان يأكل الشعير في اصطبله ويتمنى لو انه كان مثله ، ليحظى برقدة كرقدته تحت سقف الاصطبل يقيه الحر والبرد ثم ليحظى باكلة من الشعير" (٣) .

(١) محمود السيد ، "جلال خالد" ، ص ٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٩ .

ويعجبني من السيد في مرحلته الثانية من حياته الادبية انه قادر على الرد بحسن البحث يكيل الصاع صاعين لمن يعيب عليه هنة في لغته او ركافة في تعبيره ، فقد اخذت عليه وداد سكايني بعض هنات لغوية في معرض حديثها عن كتابه " في ساع من الزمن " وقد استهلت كلامها معترفة بتخلع السيد من لغته وتمنت ان تخلو آثاره الادبية من امثال هذه الهنات . (١) فرد عليها ردا تمثلت فيه الكياسة وحسن الادب ودل على معرفته باللغة ومدى استعانتة بالمعجم العربي ثم اشار الى اغلاط وقعت في لغة الكاتبة نفسها . (٢)

وقد استغل السيد معرفته بالتركية فترجم كثيرا من القصص وكتب كثيرا من المقالات عن الادب التركي واقطابه / خص بها مجلة الحديث الحلبية وبعض الصحف المحلية .

— ٥ —

وانصرفت سنة منذ اصدر "جلال خالد" فخرج على الناس بكتاب "الطلائع" ، اهداه الى "فتية البلاد المستعدة للجهاد في سبيل الحق والحرية مثلها الاعلى يحدوها الامل الذي لا تقوى على تحطيمه قوة في الارض" . (٣)

يضم الكتاب عشر اقاصيص موضوعة وثلاثا مترجمة عن التركية . ولست ادري ما الذي حدا بالسيد ان يعيد كتابه "جلال خالد" مرة اخرى ليردد الوقائع نفسها . وفعل مثل ذلك في "مجاهدون" . ايدل ذلك على جذب في مخيلة السيد القصصية ، ام ان هواه في كتابة المقالات الادبية غالب عليه ، حتى قيل فيه " ان ميله للادب اكثر من ميله للقصة ان يكسثر

(١) وداد سكايني ، "عراقي قاص" ، مجلة الحديث ، العدد الثالث والرابع

اذار ونيسان ١٩٣٦ ، السنة العاشرة .

(٢) محمود السيد ، "من الاستاذ محمود السيد الى السيدة وداد سكايني" ،

مجلة الحديث ، العدد الخامس ايار ١٩٣٦ ، السنة العاشرة .

(٣) محمود السيد ، "الطلائع" ، ص ١ .

من المقالات ويعنى بالنقد والدراسات الادبية والوصف والتحليل . (١)
وقد يكون في هذا الرأي شيء من الصواب في الواقع للسيد
على استعارة مادة من كتاب ووضعها في كتاب آخر .

واولى اقاصيص مجموعته "الطلائع" هي "الطالب الطريد" يذكر
فيها شيئا من اخلاق عبد العزيز ، فنعلم انه من ابناء الطبقة الدنيا ، كان
اكبر زملائه سنا ، واقلمهم تهذيبا ، واجراهم ، واشدهم بأسا ، يقلدهم -
على قلة تهذيبه - في الاعتزاز برجال التاريخ العربي . وكان يكره الحكومة
العثمانية لانها جندت اخاه الكبير وارسلته مع من ارسلت الى ساحات الوغى
في الشمال حيث تنتظرهم الرياضة الشاقة والعمل المستديم ثم الى خنادق
المعارك حيث ينتظرهم الجوع ويقر البطون بالحراب .
تمثل هذه الاقصصة واقعا مريرا ، ان ترك "ال عثمان" في كل
بيت من بيوت العراق "رنة وعويلا" بكون رجالهم الذين فقدوا بفقد
العائل والنصير ، لهذا كله تضطرم نفس عبد العزيز بالثورة والتمرد على
نظام المدرسة واحتقار اولئك المترفين الذين يجدون الحماية والرعاية
ايما ذهبوا ويعرفون جيدا كيف يحتفظون باهوائهم احياء بين ظهرانيهم .
وقد ألف الناس في بغداد ان يروا الشرط تتعقب فارا من الجيش تطلق
عليه الرصاص لتورده حتفه او تخطئه فتكتب له النجاة بالفرار ، يصفه المسيطرون
بانه خائن والبغدادى لا يعرف لهذه التسمية وجها ، ان انه لا يفقه هدفا
يدافع عنه او وجود بنفسه من اجله .

يوءلني ان السيد قد ملأ هذه الاقصصة بكثير من الحشو الذي
يضعف فيها ناحتها الفنية دون ان يركز همه على الفكرة الاساسية والاثـر
الواحد ، ليتم له التأثير الصحيح والتصوير الجيد وهو لو فعل ذلك لاستطاع

(١) محرر مجلة الحديث في بحث عن القصة العربية ، العدد ٤ ، نيسان

ان ينكا جروحا في قلوب الناس ويعيد للذاكرة آلام الفقر والحصار وجوب
الشوارع الملوغ بحثا عن الرقيق . وجميل جدا ان ينتقم عبد العزيز لاهانة لحفته
بضرب ذلك الولد المترف ، ففي ضربه صرخة اجتجاج على سوء الوضع
كله .

واقصصة "الامل المحطم" تمثل السيد وهو يخطط يخطط عشوا
لا يمتدى لعمل ، كلما هم بشي وجد عدم جدواه "لقد كان الفتى نهب
الحماسة مكبا على الاعداد الكثيرة من جريدة "القبلة" التي وصلت الى ابيه
يقرأها وعلى هذا الكتاب "نسرة العرب" يقرأه كذلك ويلتزمه التهاما ثم
يعيد قريحته قرائته في ريعيد وكانت انباء القضية العربية عنده بمثابة الغذاء". (١)
لقد خاب امله في حمل التلاميذ على تفهم مراميه وخاب في الانتفاء الى
الجمعية السرية البغدادية ، واستقر في نفسه ان يسافر ويترك بغداد .
وهكذا فالاقصصة لا تترك الا فتى مضطربا قد خلط عليه كل شي فلم
يجد بدا من النكوص على اعقابه وان يستغفر اياه ذنوبه ليعود الى كتفه
مرة ثانية .

لقد كان السيد صادقا في تصويره ذلك اليأس الذي ران على
نفسه واخذ عليه سبيل العمل وامكنه ان يعدى القارئ بتلك الحيرة التي
اصابته . لم يعمد السيد الى التوجيه وبث الحماس وخلق المواقف التي
تصور التصميم لنيل المراد وذلك مأخذ يؤخذ عليه .
اما اقصصة انقلاب فقد اتعدمت فيها الحركة وجمدت عند حال
واحدة تمثل الزوجة قد هيات لزوجها "اكله سمك" تستعجله على الذهاب
الى المائدة ولكن الزوج مشغول باشياء كثيرة يستشرف منها القارئ مبلغ
اضطرابه وبعده عن خطة منظمة يستطيع العمل على ضوئها .
واستهل "جماح هوى" بالحديث عن جميل سالم الطالب الذي
وجد نفسه مضطرا الى الشخوص الى حيث يقيم خاله واسرته بعد ان

(١) محمود السيد ، "الطلائع" ، ص ١٠ .

اغلقت المدرسة ، ثم يترك هذا الحديث ليستطرد الى الكلام عن احد اساتذة المدرسة يعف ميوله ، ويخبرنا عنه : انه مدرس قد مفرد بمذهبه الاجتماعي فهو يعتنق المذهب المادي الذي كان الدكتور شبلي شميل من اول الدعاة اليه في الشرق العربي . وهنا نقطة الضعف عند السيد ، ان يعمد كثيرا الى الاعلان عن مدى اطلاعه كاني به يريد ان يحو عن نفسه وصمة الجهل وقلة الاستعداد التي لحقت آثاره الاولى . ونهاية الاقصوة غير منطقية ان كيف يتسنى للفتى ان يحظى بالفتاة كل الحظوة عن طريق غير شرعي وهي ابنة خاله ، وماذا يريد المحب ممن يحب غير ان يكون قريبا من حبيبته ، وغير مفهوم ان تصبح القبلة عنده ضربا من اللهو والعبث - كما يقول - اذا لم يكن الحب صادقا .

واما "سكران" و"رسالة هجر" و"او تسهرين؟" فاقاصيص بطلاتها من بائعات الهوى .

تقع الاولى في حب السكران هذا ولكنه يريد ثنا لبيادلتها الحب فتبعث اليه بالثمن ~~ويكتب~~ فيشعر بضعة نفسه ويعلم في اية هوة قد تردى . ويكتب "رسالة الهجر" وفيق عامر ردا على رسالة عشيقته "سليمة احسان" يعدد فيها اخطاها ويظهر لها انها لم تكن تحبه حقا وانما كانت تخدعه .

والبطلة الثالثة في "او تسهرين؟" مغنية تمت الى الفن بصلة ولكنها في الحقيقة بنغي بروحها يهملها ان تجمع من المال اكبر مقدار لانه على حد قولها "ان اللائي يحترفن الغناء اذا ما قعدن عن العمل يوما لم يقل لمن احد من عاهرتن واحبيبتن من الرجال ؟ ولكن كم من الدراهم ربحتن" ولكنها لم تستطع ان تفعل شيئا مع صاحبها هذا الذي كان يلهو ويلعب بها ، واراد ان يسخر من تظاهرها بالعفة امامه .

ان كانت "سكران" تمثل ثورة الرجل وندمه الشديد لكرامته المهدورة فاننا لا نتبين مغزى صحيحا "لرسالة هجر" و"او تسهرين؟" اضافة الى الحوار المتكلف والصور المشوشة التي قدمها عن المرأة مما يدل على ضحالة في فهمها وقلة تجربة .

اما "نكتة العمامة" فهي حكاية يرددوها البغداديون ويكثرون من ترديد امثالها ، ليس للمؤلف فيها من فضل غير فضل السرد . (١)

- ٦ -

و"في ساع من الزمن" هو آخر كتاب للسيد به ختم حياته الادبية واستقبل وجه ربه الكريم . . . ضم ثمانية اقصيص .
منها "عاتكة" وهي تصور مآسي الطلاق . لقد كانت امرأة شريفة ناعمة البال حتى طلقها زوجها فعلق بها الضابط صالح ، وكان حبهما بريئا طاهرا . ولكن صالح بحكم منصبه كضابط في الجيش مرغم على التنقل من مكان لآخر . وهذا يضطر عاتكة تحت حكم الحاجة الملحة الى القوت وعدم اقبال الراغب في الزواج منها لما ذاع من علاقتها بصالح : الى سلوك الطريقة المعوجة . . . وتتهيأ الاقدار لهما لقاء بعد اربع سنوات فيرى صالح اى رغام تمرغت به "عتوكه" .

ان الفارق بين هذه الاقصصة واقاصيصه السابقة كبير فالسرد فيها طبيعي كما وفق في تصوير المرأة البغي توفيقه في ابراز عواطف الرجل وانفعالاته . ولكن القسم الاخير الذى الحقه كأنه فصل ثالث ملحم على كيان الاقصصة لا فائدة منه يمكن حذفه دون اى مساس بجوهر الاقصصة .
واما ما حكاه في "الدفترا الازرق" فهو من باب القول المعاد ، ان طالما سمعنا امثاله في "الطلائع" وفي "جلال خالد" ، وان تميز هنا بثورة على قيود الوظيفة ان اعتبرها عبودية مطلقة . كما ان نظرتة الى الحياة قد ازدادت سوءا ، فهو يرى في الناس والوظائف تفاهة وعيضا . وذلك مفهوم مغلوط وانهزامية لا مبرر لها فقد يستطيع الانسان ان يسدى اجل الخدمات الى وطنه عن طريق المنصب .
وتجرى حوادث "بداى الفايز" في محيط قبلي صارم يأخذ بشريعة

(١) اعاد طبع هذه النادرة في كتابه "في ساع من الزمن" بزيادة قليلة .

النار ويرى السكوت عنه عيبا ما بعده من عيب ، لذا عزم بدای على ان يأخذ بنار اخيه من قاتله "جسام" في التّو لما سمع الشيخ يقول له "ويلك يا جبان" هل يرفع انفك فيميزك عن اخوتك الطائعين هؤلاء خنجرك المفضض هذا ؟ ولاى كريمة تحمل هذا الخنجر وتلك الهندية التي تعلّقها بالسورة ؟ واين كان هذا السلاح يوم قتل جسام اخاك عباسا ؟ ولماذا لم تثار له حتى الان ايها الجبان الدليل ؟

تلك الكلمات كانت بمثابة الصاعقة نزلت على رأس بدای ، لقد فعلت في نفسه ما لم تفعل العصا التي ضربه بها الشيخ . آجتاز النهر حيث جسام وقبيلته يعملون على تقوية السداد ، وانتظر الليل ليشفى غليله ولكن النهر ما لبث ان حطم السدود ، فاستغاث الناس وعت القوضى ، وطفق بدای يعاون اسرة جسام ويحمل لها اطفالها وبعد ان صاروا في مأمن قال بدای : هلا عرفتني ؟ انا خصيمك طالب نار عباس ؟ وكادا ينخرطان في قتال دموى ، لكن بدای ما عمّ ان قال : اذهب الان . . مع السلامة ، خلصت ولكن لا تنس ان لك ساعة اخرى .

لا شك ان الفعلة التي بدرت من بدای تدل على خلق ربيع وتفهّم تام لمعنى الشهامة والعفو عند المقدرة ولكي اخشى ان يكون ذلك مستبعدا حدوثه اذا قيس على ضوء صرامة رجل العشيرة واندفاعه في طلب النار ، وكانني بالقاص كان شديد الحرص على الا يسفك دم احد فخلق ذلك الوضع المسرحي المتكلف الذي جعل بدای المنذفع لطلب النار ينقلب معينا ومساعدة .

اما هذه اللغة التي تحدث بها الشيخ وخاطب بها بدای جساما فقد كانت عربية نضيجة اكثر مما ينبغي وهذا ما اضر بفنية الاقصوصة والمشهد بها عن المحيط القبلي .

نشرها في جرائد محلية بغلب عليها الايجاز المخل وتشيع فيها النادرة
الفذة والمفاجأة الغريبة مثل اقصوصتي "شكوى"، و"عبد اللطيف بك". (١)
لقد كان محمود السيد يسبح على ابطاله صفاته الخاصة وتلتقط
مخيلته من مجرى حياته موضوعات لقصصه . لهذا تجد ابطاله حائرين
يائسين لا يحسنون عملا .

وقد تمتع الرجل بشهرة واسعة لم يحظ بها كاتب عراقي حتى
اليوم ، فقد عرفته صحف البلاد العربية وكتب عنه الكثيرون فقد قيل فيه
"ان مؤلفاته القصصية تمتاز بوضوح الفكرة وسمو الاسلوب ونبالة الغرض
الذي ترمي اليه . وهو محدود في طليعة الشباب العربي الذين اخذوا على
عاتقهم تحرير ادابهم من ربة التقاليد الغثة البارزة وتطعيمها بالانكسار
الحديثة النبيلة". (٢)

كما اشار اليه البروفيسور كراتشكوفسكي على انه من رواد الفن
القصصي في العراق. (٣)

وقد وصفت محاولات السيد القصصية بانها لا تقل من تلك
المحاولات التي نراها في كتابة الاقصوصة في مصر ولبنان. (٤)
ان مواهب السيد "قد تفتحت على صور حاشدة موحية تصدر من
الشعب آلاما واما لا . . وقد امدت هذه الصور فناننا باحسن اثاره

(١) نشرت الاولى بالبلاد العدد الاول سنة ١٩٢٩ ، ونشرت الثانية

في الصحيفة نفسها في العدد الثاني سنة ١٩٢٩ .

(٢) محمد امين حمونه - محمود السيد - نقلته جريدة البلاد عن مجلة

الصباح بعددها ١٠٥٢ عام ١٩٣٧ .

(٣) اغناطيوس كراتشكوفسكي ، "في الادب العربي الحديث" ، الرسالة ،

المجلد الثاني ، ١٩٣٦ ، ص ١٨٠٨ .

(٤) اسماعيل ادهم ، "توفيق الحكيم" ، ص ٥٠ .

القصيدة . (١)

ومما لا ريب فيه ان الحس الوطني الذي كان يجيش في نفس
 السيد عارما قويا، قد وجد له خير متنفس في آثاره الادبية المختلفة،
 تلك الآثار التي كانت اللبنة الاولى في صرح، يعمل كتاب اليوم على
 تشييده .

(١) عهد القادر البراك ، "اعلام من الشرق" ، ص ٨٠ .

الفصل الثاني

ذو النون ايوب (١) (١٩٠٨ -)

ايوب من اغزر القصاصين العراقيين نتاجا ، فقد اخرج الى السوق اثنتي عشرة مجموعة ، بالاضافة الى قصتين اخريين : هما "الدكتور ابراهيم" و"اليد والارض والماء" .

وله ضريقة غريبة ينفرد بها عن سواء من الكتاب ، فقد يضم في المجموعة الواحدة اقاصيص متشابهة ويشترك من موضوعها الواحد اسما يطلقه عليها . ففي "رسل الثقافة" مثلا يقصر حديثه على الفئات المشتغلة بحقل التعليم ، معلمين ورجال ادارة ، ولم يستثن من ذلك غير مجموعته الاخيرة "صور شتى" .

ولعل تلك الحقيقة تلقى بعض الضوء على نوع الادب الذي يمارسه

(١) ولد ايوب في الموصل سنة ١٩٠٨ من اب تاجر متوسط الحال وام

ذات صلة قريى بالقبائل المحيطة بالموصل .

بدأ تهذيبه في الكتاب على الطريقة القديمة ثم نقل الى مدرسة

اهلية سآهم ابوه في تأسيسها بعد الاحتلال الانكليزي لمدينة الموصل ،

واكمل دراسته الثانوية فشد الرحال الى بغداد/ ودخل دار المعلمين

العالية في اول تأسيسها وتخرج فيها مدرسا مختصا بالعلوم الطبيعية

والرياضية . كان مولعا بقراءة القصص المترجمة والموضوعة بالعربية

وقد قال عن نفسه : انه كان يلتهم في اليوم ما يقارب ٣٠٠ صحيفة .

وكانت قصص جرجي زيدان التاريخية وروكامل او ما قرأ .

رشح نفسه للنيابة مرتين فاز في المرة الاخيرة . واخر منصب

شغله في وزارة المعارف ، مديرية مدرسة الفنون الجميلة .

الترجمة مقتبسة من مخطوط يحتفظ به الدكتور محمد يوسف نجم .

ايوب ، والدوافع التي تعتمل في نفسه وتستأثر به وجدانه اكثر من سواها . قال في مقدمة مجموعته الاولى " رسل الثقافة " : " في يقيني ان اعظم مهمة يجب على الادباء ، القصصيين منهم على الاخص ، ان يضطلعوا بها ، هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة وشخصيات غريبة وانظمة وقوانين حكومية او شعبية . . يدخل ضمن ذلك تلك القوانين غير المكتوبة التي يخضع تحت تأثيرها المجتمع وينفذها غير خائف عقابا او راجيا ثوابا " . (١)

وهو يدرك تماما ان ما يطرق من موضوعات يتناول مكانا معيننا وزمانا معيننا ، وابطالا يستطيع العراقي ان يضع يده عليهم بسهولة ويسر كبيرين ، ولهذا تراه يفضل الكتابة عن الماضي . وما الماضي في عرفه دول الغابرين واسلاف الدهور ، بل الماضي هو تلك الساعة التي انفرط عقدها من حيائك في اليوم الواحد . وذلك تهرب لطيف وظرف وسخرية بارعتان ، لان الكتابة عن الحاضر " تعنى عند البعض التدخل في السياسة ، فالكاتب او المتكلم عن السياسة الحاضرة يوصم بما يشين : كشيوعي كافر او ملحد زنديق او عدو للعروبة " . (٢)

ثم يمضي ليبرهن على ان ابطاله لا يعيشون خارج كتبه ليسكت كل مفتاظ الا " اولئك المتأبطين عنوزا او جمالا " . (٣)

والحق ، ان ايوب قد علق الى الواقع بقوة ، فلا يستطيع له مزيلة ، فهو عالمه الذي يضطرب فيه رحيبا متسعا ، وهو هوايته الفريدة ، اخلص لها الاخلاص كله وتغاني في خدمتها . وحسبك دليلا على هذا الاخلاص : ان ايوب بعد ان سلخ عشرين عاما ونيف ، يكتب للناس ، لم يطرأ اى تعديل على نزوعه للواقع المجرد فانت عندما تخلو الى مقدمته

(١) ذو النون ايوب ، " رسل الثقافة " ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥ .

(٣) مثل عراقي دارج " اللي تحت ابطه عزيزي بختج " اي ان الانسان ذا الداء اذا وجد من يتحدث عن نوع دائه ظن الحديث تعريضا به .

"الادب ومجالات الاديب" تجد تلك النظرة نفسها يرددها باستمرار ، وان حدث شي من التطور ، فذلك التطور مقصور على اسلوب الكاتب وادائه . فقد صفا وعمق وارتنع قليلا عن اسلوب الصحافة المبتذل . يقول : "الاديب هو ابن الحياة البار فلا غرو ان تمهبه الحياة من القوة والنشاط ما يساعده على النضال المستمر والكفاح الشديد في سبيلها لا يتذمر ولا يتأفف ، صبوراً جلداً . . . واذا شقى الاديب من جراء اذبه ففي شقائه هذا سعادته ، وان تعب ففي تعبهِ راحته واذا ما شاخ ففي شيخوخته شبابهِ " . (١)

وهو يرمي الى غاية ما برح يميظ اللثام عنها في كل مقدمة ، وفي كل اهداء ، مهمة المربي الحريص على مستقبل طلابه وتابعيه ، يريد لهم النور ، يكافحون من اجله ، ويريد ان يعيشوا الحرية ويسمعوا اليها حينئذ من غير هوار ، يريد ابطلا "متسلحين بالعقل والمنطق والجرأة فسي حربهم على الباطل حتى انهم ليهتقون في وجه الطغاة ، حماة الباطل ، وسيف هؤلاء الطغاة مشمر فوق رقابهم " . (٢)

واغلب الظن ان الرجل لو اتيح له ان يتحرر من ربقة الوظيفة لينصرف الى ميوله الخاصة ، لما رضي بغير الصحافة مهنة له ولصير من مادة كتبه مقالات افتتاحية تنتظم في ابواب السياسة والاجتماع ، ولكنها احكام القدر واحكام الرياح التي لا تخضع لمشئة الربان في مجراها .

- ١ -

وتضم مجموعته "رسل الثقافة" ست اقايص . تناول فيها وزارة المعارف ورجالها . وكان الكاتب يخشى ان يصنع به المعلمون ما صنعوا بشارلس دكنز عندما كتب قصته الخالدة "اوليفر تويست" . (٣)

اولى اقايص المجموعة "البك المشفق" . تتناول الواقع بصراحة .

(١) ذو النون ايوب ، "صور شتى" ، ص ٧ .

(٢) المرجع السابق "مقتبسة من كلمة الاهداء" في الصفحة الاولى .

(٣) ذو النون ايوب ، "رسل الثقافة" ، ص ٧ .

وذكر الكاتب : ان القارئ سيتردد في اعتبارها قصة من صنع الخيال واحسبه سيقول بانها تقع كل يوم ، ولكن لا اريد منه ان يقول ذلك فمجرد قوله هذا سيحملني مسؤولية لا طاقة لي على تحملها .

وهي تمثل شأها مخلصا في واجبه ، ومع ذلك فقد تخطاه الجميع فلم يجد بدا من ان يخضع لمتطلبات الوضع ، فانساق مع تيار الفساد ونال بغيته : من جاء عريض ومنصب رفيع ولقب البيك المرموق ، ولكن ضميره لم يمت مرة واحدة ، ان ظل فيه بعض الذم ، لذا اراد ان يعين "ناظم" احد الاكفاء في منصب اداري لكن عوامل السوء وعقارب الانانية قطعت عليه السوء فاضطر ان يتراجع .

والاقصوة هذه خير ما في الكتاب يزيناها الصراع بين الخير والشر ، ولكن مما يؤخذ على الكاتب انه يذكر الواقع مجردا مع انه يهدف الى الاصلاح . فخضوع الشبان لعوامل الفساد وسهولة انصرافهم عن مثابرتهم ومبادئهم امر معيب لا يصح ان تختتم به قصة او اقصوة . ويلاحظ ان هنالك زيادات حشرها الكاتب ، واعظا ومرشدا مثل خطاب رئيس الجامعة . ولا ترتفع "بقلاوة" الى مرتبة الاقصوة مطلقا وليس فيها غير النادرة اللطيفة المستمدة من عبت بعض المعلمين .

"والسيد عبيد في لهوه" تمثل معلما برما بهياته التعليمية فانشا يشاغب ويحدث فوضى واضطرابا بين المعلمين حتى انتهى به الامر الى ترك مهنته ومزاولة الصحافة .

واما "سيرة وسيرة" فتكاد لا تخرج عن مضمون البيك المثقف وهو يعقد فيها مقارنة بين سيرة دأبها الجد والمثابرة واخرى تبحث عن طرق ملتوية للوصول الى غايتها .

وبعد ان يسهب في عرض الصور البائسة لوزارة المعارف يختتم مجموعته بقوله : "هكذا كانت وزارة المعارف العراقية منذ عدة سنوات ، اما الان فيقال انها عنوان الكمال والنظام وط على غير المصدق الا ان

يسأل ويحقق " (١) .

— ٢ —

وتعجبني صراحة المؤلف في مقدمة مجموعته " صديقي " . يقول :
 " لقد اسميت هذه القطع الادبية قصصا ، ولكني اشك في ميلك ايها القارىء
 الى هذه التسمية ، اذ ستقول : اين الابطال الذين يثيرون الاهتمام ؟ اين
 الحوادث الغريبة ، والنتائج الجميلة ؟ اين الخيال الغريب والوصف
 المعجيب " . (٢) .

والاعتراف بالخطأ فضيلة . فمن الصعب ان تكون هذه الصور
 الباهتة والخطوط المتداخلة وغموض الشخصيات وانعدام الوحدة وفقدان
 الاثر ، مما يمت الى فن الاقصوصة بعلة قريبة او بعيدة .
 في " نهاية " يعرض لنا شيخا في السبعين من عمره يحتسى الخمرة
 ويدمنها ولا يجد في ذلك ضيرا فهو خير من الشيخ مسعود المرايى الذى
 يؤدى الفرائض ، ولكنه يزهق الناس برباه ، وهو خير من الشيخ صالح الذى
 دعا الى غلق المدارس . فهما واضرابهما ذئاب يرتدون جلود الحملان .
 وعلى اساس تلك النظرة السطحية التي يقول بها كثير من العامة يبرر موقف
 الشيخ من الخمرة .. ويهين الكاتب لهذا الشيخ الفيلسوف ميتة من نوع
 غريب ، اذ اشترى قاربا وحمل به شيئا من شراب وثقلا يربطه برجله ،
 ودوا " مخدرا يزرقه في جسمه وتم تلك الميتة على هذه الصورة التي
 تجاني الواقع كل المجافاة .

ولعل " عندما تنور العاصفة " خير ما في الكتاب لانها تعرض لنا
 كفاحا فذا في اطار من الحسن الفكاهي الهازى " بالمجهول والساخر من
 مواضع الناس ، واعتبارهم بعض الاعمال الحرة غير مشرفة ، الى جانب
 تلك الروح الجميلة التي يتحلى بها البطل الذى لا يهزل على احد يعون

(١) ذو النون ايوب ، " رسل الثقافة " ، ص ١٥٤ .

(٢) ذو النون ايوب ، " صديقي " ، ص ٥ .

في اخرج الساعات .

وفي "نشيد النسر" يضطرب القاص بين امور كثيرة . يسوق حوارا بينه وبين "صديقة صاحبه" عن الغيرة والحب ، ثم يهبط الجندى الطيار وينضم اليهما في مشرب كانا يحتسيان الخمرة فيه ، ويبادرهما بقوله "اذن فقد انتهزنا فرصة غيابي لتسبعا مغازلة ايها الشقيان" . ثم يطلبان اليه ان يحدثهما عن شعوره وهو في اعالي الجو يرسل الموت الزو'ام على الاعداء . وحالما ينتهى من حديثه هذا يعود الى طائرته لكيلا يرجع ابدا .

لقد اخفق المؤلف في ابراز اية عاطفة ، فم عاطفة الحب والوفاء والغيرة لم تكن واضحة المعالم ، وقد ساقها في اسلوب خطابي اداره تارة على لسانه وطورا على لسان صاحبه وثالثة على لسان النسر . كما ان جو الاقصوة يخيل للقارى انه في ميدان حرب فكيف اتفق وجود عشيقه الطيار وصديقه في ذلك المكان ، وهل يعقل ان يفيض النسر في حديث عن اعماله وبطولته في تلك الساعات الحرجة الباقية من حياته ؟

— ٣ —

ويبدأ مجموعته "برج بابل" بمقدمة ، يقول فيها ان شعب هذه الارض خلق شاذا ، وهم انانيون متمردون على ابائهم ، وعلى ابنائهم ، وعلى حكومتهم ، وعلى ربهم ايضا . ثم يسوق نبوءة ينسبها الى التوراة "وهي ان الله قد خاف من اتحاد هذا الشعب فحكم عليه بالتبليل الابدى" (١) ثم يكشف عن هجبه الشديد من هذا القطر قائلا "فيالك قطرا ما اعجب تاريخه ، وما اغرب حاضره وما اغمض مستقبله ، ويا لك شعبا ولد في الشذوذ ، وترعرع في الشذوذ ، فجاءت اعماله شذوذا في شذوذ" . (٢)

(١) ذو النون ايوب ، "برج بابل" ، ص ٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ .

ولا اشك ان الكاتب اطلق هذه الاقوال في فترة غيظ شديد ، اذ انها لا تستند الى واقع تاريخي او تنهض به حجة مقنعة .

في "قاعدة البرج " نجد "قاسم" المثرى قد هدد ثروته كلها ، ولم يكتسب من ذلك غير جاء عريض وسعة سياسية ، حظ بغداد ليستغل ذلك الجاه في الحصول على كرسي نيابة . ويتصل "بعارف" الذي امتنن الصحافة لانها اخر ما يستطيع الاحتيال به على كسب العيش . ويتصل ايضا بالشيخ حسن الذي يرى في الدين اساسا لكل شي ، وقد سهر الليالي ليدرك المعالي ، ولكنه عرف بعد حين ان المعالي لا تنال الا على موائد القمار وفي حفلات الرقص والانس والخبور ، فخلف ذلك ثورة جامعة في نفسه ومضى ينهب الناس الى هؤلاء الذين لا خلاق لهم ولا وطنية ولا مبدأ . وكان مكان اجتماع هؤلاء الثلاثة "مقهى سلطان" ضمهم حب السياسة والتحديث في رجالها . وكان من الطبيعي ان يندس بين هذه الاوساط جاسوس او جاسوسان لتسقط الاخبار ، ويحدث كثيرا ان ينغم الى تلك الحلقة اخر غريب يدفعه حب الفضول لبسهم فيما يدور بين القوم .

تلك صورة يزيناها انها منقولة بامانة وصدق عن وضع لا يزال قائما ، ففي مقاهي بغداد ، يحتشد الناس حشدا يخوضون في مختلف الموضوعات . ولكنها صورة ينقصها الجمال فهي لا تهز النفس لخلوها من عنصر الحياة الذي يفيض على الاقاصيص روعة وجلالا ، تقرأها فلا يستأثر باهتمامك شي ، جديد فكانك تمر على منظر تألفه كل يوم .

وتطالعنا "انتقام" بعقارب الحسد تنهش قلب حامد لان صديقه "اسماعيل" اصدر كتابا يدعو الى اصلاح اللغة وتيسيرها . يقول "حتى اذا ما قلب الصفحة الاخيرة منه باصابعه المرتجفة ، احدث الورق حفيضا ، كان وقع في نفسه كوقع فحيح ثعبان مهلك . وما كاد ينتهي من قراءة الكلمة الاخيرة حتى قذف بالكتاب الى نهاية الغرفة ، قرب حذائه ، وانكمش على الديوان ، واغمض عينيه قليلا كمن يبعد عنه شيئا مرعبا او يستريح من عمل متعب . لقد آلم حامد ان ينتج اسماعيل وتذيع سيرته في الافاق . لقد

كانا زميلين في المدرسة ولا زالت تربطهما وشائج من الصداقة المتينة ،
لقد كان رأى حامد في الكتاب حسنا واطراها امام اسماعيل ونعته بانسه
عمل عظيم . ولكن بلبل حامد لم يقر لها قرار ، حتى ينطلق الى مجلس
سيف الدين استاذ اللغة الكبير حيث يجتمع ادباء البلد وعلماءه وتلاميذ
هؤلاء ، ويجرأ عن الكتاب جرا ، نسمع من المثالب في شخص اسماعيل وكتابه
ما اثلج صدره . فبارح ندى القوم وهو شاعر ان ثقلا قد ازيح عن صدره .
ان موضوع الاقصوة قد يستكشف حنايا النفس وخباياها ليعلمن
ما تنطوى عليه من نفاق ، وما تضره من حقد وحسد يغطيها ستار شفاف
من النفاق والرياء . وقد بدأ القاص بداية حسنة ، خلاف ما جرى عليه
من استهلال اقاصيصه بمقدمة سياسية او اجتماعية تفسد عليه فنية ما يكتب .
ولكن ان فاته ان يفعل ذلك في الاول فلم يفته ان يضمن الاقصوة من
العضات وضرب الامثال ما يجعل القارئ يشعر انه امام منبر قد ارتقاء واعظ
ومرشد . قال : " ولم تظهر على حامد اية علامة تدل على استنكار هذه
التهمة التي يعلم ان صديقه برئ منها براءة الذنب من دم ابن يعقوب ،
وقد غفل عن قوله تعالى " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " وقوله
تعالى " ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه " ونسي الحديث النبوي الشريف " الساكت عن الحق شيطان
اخرس " . كما ان التحليل الذي ورد في الاقصوة جاء سطحيًا قصيرا .
ولكن ان فاته التوفيق في " انتقام " فقد اصاب حظا وانرا من
النجاح في اقصوة " عاصفة وصادها " . فهي خير اقاصيص المجموعات الخمسة
السابقة ولعلها من اجود ما كتب " ايوب " . تصور نوازع نفس تضافرت
عليها عوامل الفساد . لقد كان توما صاحب مبدأ ثابت انتهى الى حزب
واخلص لمبادئه ، وكان لسانه الناطق في " جريدة البرهان " . استدعاء
رئيس الحزب وشكره واهدى رغبته في تعيينه وزيرا ، لولا مسيحيتهم ،
فقد قسمت المناصب بين طائفتي البلد الكبيرتين ولم يحسب لمثل حالته
حسابا . حز في نفس توما ان يحرم من منصب مرموق لانه مسيحي ، آلمه

ذلك كثيرا وشعر بعطف غريب على اتباع طائفته ، بدأ يساعدهم بما يملك من نفوذ فتقدم كثير من المسيحيين في مدارج الوظيفة . ولكن الرجل ضعف ايمانه بالمبدأ ، فانشأ يتقلب ويؤيد من يجد فيهم القوة . استغل اعداء الامر ورموه بالشعوذة والدجل وعدم الاخلاص ، وكان يكفيهم ان يعيدوا نشر مقالاته المتناقضة لينالوا منه كثيرا وقد نشأ توما نشأة دينية ، اذ قضى ثلاث سنوات في مدارس الكهنوت ، فكان دائما يتصور المسيح حافيا يسير وراءه اتباعه ومريدوه وكلهم من الدهماء يسمح دموعهم ويخفف آلامهم ويقتل في نفوسهم الانانية والحقد ويعلمهم كيف يموتون في سبيل الايمان ، فكان كثيرا ما يقف خاشعا امام صورة المسيح ، يتلوا عتراته ويقر بذنوبه . وما زاد في روعة الموقف انفجار عاصفة صحبها رعد وبرق وصواعق ومطر ثقیل ، تهدمت من جرائه بيوت ثلاثة وقد اصاب حجر رأس ابنه ، فتصور ان ذلك عقاب رباني لجرائمه . ولكن الطبيب طمأنه وأكد له ان الطفل سيلهو ويلعب عند الصباح . وفي الختام يصلح جرس التلفون واذا به بالرغم منه يجيب النداء بالايجاب ليجمعوا ويدبروا امرا لاسقاط الوزارة .

لقد وفق المؤلف في تصوير شخصية توما ، كما اجاد في تحليل الدوافع التي تخطر الانسان في الجو الخائق ان يغير مبداءه . ولم يقم في الاقصوصة ما يشوش رسم الشخصية الرئيسية ، وكان أسلوبه مؤثرا خلا من صيغ الوعظ . اصف الى ذلك الجو العاصف الذي زاد في زخم الانفعالات واضطراب العواطف .

وفي الكتاب " زينة الحياة الدنيا " و " نحو القمة " بطلها الدكتور ابراهيم الذي يعود اليه المؤلف ليكتب عنه قصة كاملة بعنوان " الدكتور ابراهيم " .

واما " الدكتاتور " فتمثل شخصية عسكرية استولت على الحكم بطريق القوة ، وانتهت حياتها برصاصة ثنها عشرة فلوس وهي لا تعدو كونها مقالة اجتماعية .

اراد ايوب في مجموعة "الكادحون" ان يلقي ضوءا على بعض ما يعانیه الموظف ، و"النوخذه" ،^(١) و"الفلاح" الذي تغتصب ارضه ويهتك شرفه ، وابن العشيرة السانج الذي تفرقه التقاليد حتى يصبح عبدا لها ، وتسمي كلمة الشيخ عنده تنزيلا من التنزيل . ومثل ذلك "النائر" و"حلم المعيدى" .

اما "الاراء الهدامة" فقد كشف عن مبلغ غبا البعض او تغايهم حتى ليعتبروا الكلام في الحق والحرية والمساواة جريمة يعاقب عليها ، لانها في عرفهم مبادئ هدامة .

يبتدىء اقصوصة "النوخذه" بالحديث عن موظف ابتلى بالنقل كل حين ، لانه صاحب مناعة اخلاقية . فهو لا يمارى ولا يتملق احدا ثم يسهب في الحديث عن المدينة التي نقل اليها مؤخرا ، وكان في احد الامسيات يستمع مع صديق له الى اسطوانة "لشيليايين" . وقد اعجب صديقه بحنجرة هذا المغني النابغة ، واعجب بالنغم رغم عدم فهمه مضمون الغناء . وكان صوت شيليايين يلعلع في هذا الجو الساكن ويذهب الى مدى بعيد وهو يغني نشيد نوتية الفولكا ، وهم يسحبون سفنهم المثقلة بالحبوب ، ويعادف ان يتعرف بالنوخذه نعيمور الذي يمتلئ سحب السفن . وتزداد علاقتهم وثوقا على مر الايام . ثم تهيب له الاقدار مشاهدة مصرع نعيمور واسرته غرقا في مياه النهر ، بعد ان اصطدمت بهم السفينة بالجسر العائم . بالرغم مما في هذه الاقصوصة من حسن انساني وواقع مرير فان السرد غالب عليها . وقد كان حديثه موزعا بين الموظف والنوخذه ، وعرج خلال ذلك الى بحث اجتماعي يتعلق برجال الدين ومدى سيطرتهم على هؤلاء العامة مما اكسب اقصوصته هذه صفة المقال .

اما الاقاصيص الثلاث : "النائر" و"المشقة" و"حلم المعيدى"

(١) تعني ملاح السفينة .

فكلها تتناول حياة رجل العشيرة ، وما ينتابها من ظلم وخضوع اعصى لأوامر الشيخ . وقد تطرق في "اقصوصة النائر" الى حب اجدء منافيا للواقع ، وهو اقرب الى الرومانس السينمائي منه الى حقيقة القبلى واحتشامه . قال : " وكان ابوه مشغولا عنه ، فقد كان ينتهب بنظراته قامة امه الهيفاء ، فقد بدت قامتها رشيقة مثيرة في ثوبها الخفيف " الشالة " فانطلق نجاة يغني " حدرج يا شاله ، حدرج يا شالة شمس او كمر وانجوم حدرج يا شاله " . (١) ثم لف ذراعه السمره حول خصرها الاهيف ، واعتصره حتى كاد يحطمه ، ولم تستطع الزوجة ان تتخلص من شر تلك النوبة الغرامية المفاجئة الا بعد ان هددته بانها ستعضه اذا لم يتركها فتركها بعد ان عض شفتها الموشومة .

ويقول في "حلم المعبدى" ان الامانة تدعوني الى التصريح بانها ، اى "حلم المعبدى" وضعت على نمط اقصوصة غريبة لكاتب كبير ولكن الشيطان قد انسا اسم .

— ٥ —

واصدر في سنة ١٩٤١ مجموعة "حيات" . يقول في مقدمتها "ان مثل من يتوهم ان الامراض الخلقية والنفسية اقل فتكا بالبشر من الامراض الجسمية واهون منها شرا ، كمثل رجل اطرش اعى وسط غرفة مسدودة النوافذ ، مقفلة الباب لا ينفذ اليها ^{هبة} نفضة من ريح او نفحة من نسيم ، قد حالت جدرانها بينه وبين عالم تكتسحه عواصف هوجاء وزوابع مدمرة ، اذ ليت شعري ، كيف يسوغ له العقل والمنطق ان يحسب وافدات التيفوئيد ، والملاريا ، والطاعون ، والكوليرا ، خطرا لا خطر بعده ، وهو يرى بام عينيه سيول الدماء الجارية ، ويسمع باذنيه هدير المدافع المصمة المهلكة ، ويشاهد الالوف والملايين من بني البشر اصحاء ، اقويا ، يدخلون

(١) حدرج : تعني تحت ، والقروى لا يلفظ "شاله" بل يجنح الى الاماله فيقول "شيله" .

ابواب الفناء زمرا ، كل ذلك بسبب نوبة جشع قد اصاب مجتمعا من المجتمعات او وافدة غرور قد انتابت عددا من الناس " (١) .
 وكانني هايوب يريد ان يشعر القارئ بانه لم ينحرف عن خطته التي سلكها في مجموعاته السابقة ، فهو ما زال يعتقد ان امراض الخلق والنفس اشد فتكا ، واعظم اثرا ، وان كان قد شط قليلا فكتب في امراض البدن .

وهو في " ملاريا " اشبه بمسؤول ذهب يتحرى فارسل تقارير الى دائرته ، كانوا اربعة في حملة لمكافحة الملاريا في اوساط الفلاحين . لقد كانت وجوه هؤلاء الفلاحين هزيلة ، لونها اصفر فاقع يسو الناضرين . للموت والفناء اثر يبدر في كل قسمة من قسما تلك الوجوه . وكانوا ينظرون اليهم ، كما ينظر انسان هالك الى اله قدير رحيم " وليست لهم من شكوى غير رجيفة " (٢) كان الجميع مصابين من غير استثناء .

ولست استطيع ان اصف " الملاريا " هذه الا بانها تقرير من تقارير مفتشي الصحة بعث به الى دائرته لتتخذ بحقه ما يستلزم الامر . اما في " مناعة " فيعود الكاتب الى موضوع سبق ان طرقه في اقصوصة سابقة عنوانها " انتقام " في " برج بابل " . وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة وبخاصة بعد الفراغ من قراءة " ملاريا " ان " مناعة " يقصد بها المناعة المرضية ولكن الامر غير ذلك . ان نفاجا باصدقا بنفسون على صديقهم الشاعر شهرته وذيوع اسمه ، بعد ان نشر ديوانه الثالث فيتعمدون ان يذكروا له ما يسيئه من ذم الناس ونقدهم لديوانه ويكتمون عنه مقالات الاطراء ، وعبارات الثناء التي قيلت في حقه ولا يكتفون بذلك بل يحكون النكات حول الشاعر مما يزيد في ايلامه . ولكن الشاعر يكشف انه اسى منهم . وصم تحت تأثير الغضب " ان يجرى قلمه في وصف اللثام ، تلك الحثالة

(١) ذو النون ايوب ، " حيات " ، الصفحة الاولى .

(٢) القشعريرة التي تصيب المريض بالملاريا .

البشرية التي تشبه قطرات العلقم تفسد مجارى العقل البشرى .
 لم يسعف الحظ ايوب في هذه الاقصوصة كما اسعفه في " انتقام "
 فجاءت مقالة ، دار فيها كثير من الحوار في اسلوب تقريرى خال من عنصر
 التشويق .

واقصوصة " التيفوئيد " تمثل مهندسا قعد به المرض عن العمل
 فحمله رفاقه الى مستشفى قريب ، وقد اضطلع المناسبات ليدخل في موضوعه
 المفضل " السياسة " كما فعل عند اشارته الى الملح الانكليزى .
 وفي " باسل " اخفق المؤلف في رسم صورته الحقيقية ، اذ لا
 يتفق ايمانه القوى بنفسه ، مع تردده في نشر مقاله . وكان يعتقد انه
 فيلسوف مجهول بين حلقى ، كما يصعب ان يتصور انقلاب الشخصية من
 النقيض الى النقيض بهذه السرعة ، ولمجرد ان قرأ مقالة في صحيفة ظن انها
 نسخة اصيلة من ارائه التي لم ينشرها .

ونجد في " عدا " قاتل " نتائج غير منطقية . وقد قعد خيال الكاتب
 القاصر عن تبرير وقائع الاقصوصة ، كما جاءت تلك الوقائع مبالغاً فيها كثيراً .
 وقد كان البطل مهملاً لا يهتم امر بقدر مظهره الخارجى ، وقد خلق زير
 نساء فاضطر الوزير على فصله جزاءً وفاقاً لاهماله . ولكن الموظف يقتل
 الوزير والحاجب ثم يعمد الى قتل من ساء القاص " غريما " ذلك الذى
 حل محله في الوظيفة . ويبدو لي ان الكاتب متأثر بفلام السينما التى
 تكثر من التقتيل لتوفر للمشاهد عنصر الانفعال والتشويق .
 وصفوة القول في هذه المجموعة انها ضعيفة كل الضعف لم يوفق
 القاص في واحدة من اقاصيصها .

- ٦ -

ومثلها في ذلك المجموعة العاشرة " عظمة فارغة " . حيث تناول
 " صاحب الفخامة " سارداً حدثاً وقع وشهدته شوارع بغداد وكتبت عنه
 الصحف ، وليس فيما سجله ايوب جديد او طريف .

وملخص الاقصوة ان صاحب الفخامة ذهب ليعقد معاهدة وقبل
المفاوض الصعب " اى صاحب الفخامة " بكل الشروط التي املاها عليه المفاوض
السهل . وابرم الاثنان لائحة استعباد شعب باكملة ، بقيود لم تخلق
الدبلوماسية اكثر منها نفاقا وخداعا . ولكن الشعب حطم المعاهدة وحطم
معها صاحب الفخامة .

ان موضوع هذه الاقصوة على جانب من الاهمية ، لو استطاع
الكاتب ان يتصرف به بما يلائم الفن ويسبغه عليه من الالوان ما يخفي تلك
الاسماء الصريحة لجاء بعمل يستحق الثناء . ولكن خيال الكاتب جمد عند
سرد الحقائق المعروفة المتداولة .

وفي " زعيم " يعطينا ايوب صورة لما يحدث في ملاهي بغداد
بين طلاب البطولة في تلك الساحات وبين من يقدر له سوء الحظ ان يجابه
امثالهم ممن يتمتعون بالجاه ويسمون فوق القوانين .

وفي " اوامر عسكرية " يسخر من عقلية الرجل العسكري الذى لا
يرى العظمة الا في " البصق والضرب والرفس " . كما يسهب في وصف جهله
بالمبادئ القائمة في العالم من نازية ، وفاشستية ، وديمقراطية . والاقصوة
اجمالا احاديث متناثرة اعتاد الناس حكايتها في المجالس والمقاهي ، لا يربط
بين اجزائها رابط .

وفي " مزارع عصرى " ترى الجشع كيف يسيطر على الانسان حتى
يعميه مرة واحدة عن جميع الاعتبارات الاخرى كالاخوة ، والجيرة ، والرحمة
بالضعيف .

وفي " عظمة السيد افضل " نجد شابا تثقف ثقافة عالية ، لكنه يجرى
مع التيار ، لا يؤمن بمبدأ ، بل دأبه اختيار اخر طراز من هذه المبادئ .
وان حدثته وجدته يريد " قومية ، مادية ، روحية ، اشتراكية ، ديمقراطية .
ومع ذلك نافضل يصل الى اعلى المراتب فقد صار وزيرا ثابتا ، يسودع
الذاهبين ويستقبل القادمين . واريد له ان يوقع على معاهدة تربط
وطنه بدولة اجنبية ، ففعل دون ان يقرأ المعاهدة . ولكن وزارة المعاهدة

سقطت سقوطاً مفاجئاً ، وتصدى له التلاميذ والرعاة الذين لا يفهمون حكمة التلون ولا فلسفة القلب فاضطر الى الهرب مع الهاربين .

يميز هذه الاقصوة صدقها في رسم شخصية افضل الذي هو مثل للكثير من الشباب والرجال ، يعيشون كما تعيش السائمة من غير هدف في الحياة او فلسفة معينة غير فلسفة المصلحة والمجد الشخصي الزائف . ولكن مما يوآخذ عليه القاص لهجته الصحفية وتلك الكلمة (رعاة) فان قوما لا يفهمون حكمة التلون ولا فلسفة القلب حرام ان تصفهم بما يزرى .

— ٧ —

وفي "قلوب ظمأى" يصحو ايوب بعد تلك الانتكاسة ، ليستعيد شيئاً من قواه التي فقدتها في مجموعتيه السابقتين ، وكان الاحداث التي ألمت به بعد خذلانه في معترك السياسة ، قد شحذت همته واورت زناده . نراه في "فتاة" يقول "انه سوف لا يخاف مخلوقاً بعد الان ، ولا يهتم بمحذور عندما يقذف براكين غضبه في وجه الظلمة المستبدين ، فليسجنوه ، وليعذبوه ، او فليقتلوه وليجربوا معه كل ما لديهم من شرور واثام ، انه لا يخشاهم ، لان هنالك من يبتسم له مشجعاً — هناك فتاة . ولكن مع الاسف لم تكن هذه الفتاة سوى دمية وشبح لا ظل له ، ما هو دورها ؟ ما هو اثرها ؟ اتخذ منها صماماً فتحة حتى يتحدث عن نفسه . فذكر مقابلته لصاحب السعادة ، احد كبار موظفي القلم السرى في الشرطة ومحاسبته له على لهجته فيما يكتب .

وهو في "سراب" ينشر على واقعيته غلالة شفافة من رومانتيكية لطيفة ساحرة يصف بها النسيم العليل ، والسماء الزرقاء ، وصفحة النهر ، الصقيلة ، وضحك الطبيعة والبدر كقرص من الشمع فوق حافة الافق ، يبعث في النفس رهبة الاجلال والاعجاب ، ثم يعود الى وصف القلب والذكريات وخفقات الحب العنيف وانهمار الدموع . ثم يصف آماله كأنها هيئة الوجه المنير كالبدور ، ركبت فيه عينان حالمتان كعيني طفله . تضع منها اريج

عبق كتسم الليل . ولكن ما كان امر اليقظة حين ادرك ان ذلك الاريح
 مما تحمله بنات الهوى . فانتفض لا يلوى على شي . وسار في طريقه وقد
 اشتدت لوعته وازداد ألمه . انه ليشمئز من نفسه لو قنع بسراب بقيعة
 يحسبه الظمان ما .

ان هذه الاقصوصة تمثل رد الفعل لما اصاب الكاتب من اخفاق
 وهي بمثابة العزاء لنفس قد خبرت مر الحياة ولم تر امامها غير الاشواك . .
 وما ذلك الاريح الا الحلم الذي بنى عليه ألمه في الظفر بكرسي النياحة .
 ولكن كان اريجا لا يستحق الاهتمام فهو اريح بنات الهوى . مما يستلفت
 النظر هنا هذه اللغة العذبة التي جرت صافية لا تكلف فيها كما لا تكلف
 في حوادثها ، والرمز فيها جميل بارع . ولعلها كانت ثمرة لتجربة
 عميقة مؤثرة .

وفي "مكر الله" ينقل الينا صورة اعتدنا ان نشهدها ، وان نسمعها
 كل حين ، صورة الانتخابات النيابية في العراق . يقول الكاتب : " وقعت
 حوادث القصة بحذائيرها دون زيادة او نقصان " . قال في مقدمة الكتاب
 " كنت من جملة من صدق آنذاك ان الحرية تخلع على الناس كما تخلع الخلع ،
 ودفعني الغرور الى تجربة جديدة من تلك التجارب التي اخرج منها
 فاشلا ، خسران ، أسفا . لقد اردت ان اكون نائبا عن الشعب بعد الاتكال
 على الله ، وعلى تلك الحرية الموهوبة للشعب خديثا " . وكان النجاح قاب
 قوسين منه او ادنى .

وقد ترك اخفاقه هذا اثرا عميقا في نفسه ، فنراه نهب عاملين ،
 عامل يدعو الى النكوص ونفض اليد ، وآخر يهيب به ان يتأبر ، ويجالد .
 لذا جاء الكتاب " قلوب ظمأى " نتيجة اضطراع تينك العاملين .

وفي الكتاب بعض الاقاصيص الغرامية جاء خيط الحب فيها ضعيفا
 جدا مثل " اسير وآسرة " . لانه لا يطبق ان يترك ميدانه المفضل " السياسة
 والاجتماع " مدة طويلة .

وفي "لماذا انتحر" (١) يصور الحيرة التي تستحوذ على مشاعر المثقفين من هذا الجيل الذي يعاصر عالما مضطرب الجوانب يبحث عن الراحة والاطمئنان ولكنه لا يجدهما ، لأنه ظلل الافكار السوداء تسد عليه منافذ النور ومسارب الامن الى النفس . وهو يأخذ على صديقه ما ظهر عليه من امارات الراحة والهناء حيث وجد في هذه الشمس والارض والاشجار والهواء ما يريح القلب ويبعث الشعور بالسعادة . ولكن القاص يسخر من هذا كله ^{بمعنى} انه مل هذه المناظر ، ويبحث عن اشياء اخرى اكثر لذة واوفر متعة ، ^{في} انه لم يجد في ذلك غير مظهر واحد لا يتجدد فسئم الحياة وطلقها .

نلاحظ في هذه الاقصوصة عمقا وتحليلا موفقين ، كما حفلت لغته بما يشوق ، وبرأت من التشعب وخلع عنها الثوب الفضفاض الذي اعتاد ايوب ان يخلعه على آفاسيصه واختفى الوعظ الذي ولح فيه وطبع اثره به .

— ٨ —

"صور شتى" اخر كتاب دفعه ايوب الى السوق . لقد سلك فيه منحى جديدا لم تكن نلحظه من قبل . فقد كان اللون المحلي طابع آثاره السابقة . ولكنه في "صور شتى" شق تلك الحواجز الاقليمية الضيقة وانطلق بطرق موضوعات تشغل بال الانسانية جمعاء ، وتستأثر باوقات الساسة وغير الساسة . قال "ان الاسياد هم اولئك النفر القليل الذين يسيطرون على شؤون العالم ، وفي ايديهم مفاتيح السلاسل التي تنتظم العبيد" . ثم يسوق مناظرة بين الجانبين المتنازعين يعرض فيها خلاصة المبادئ التي يتشبث بها الطرفان .

ولكن صوت العبيد يريد ان يفك القيود ، فتعم انتفاضاتهم العالم

(١) بين هذه الاقصوصة واقصوصة "لماذا انتحر" في "مزاج وما اشبه" شبه غريب يدل على استفادة ايوب من صديقه عبد الحق .

كله . وينتهي الامر بتفاهم الطرفين الكبيرين واتفاقهما على توجيه قواهما كلها الى اخضاع العبيد مع المحافظة على دعواهما الفارغة ، بالحريسة ، والاخاء ، والمساواة .

ما زال ولكن ايوب ما زلّل مصرًا على طريقته السابقة في تضمين الاقصوة كل ما يريد ان يقول ، ولهذا لم تصب هذه المجموعة تقدما يذكر في هذا الفن . بل انه قد يعمد الى "الخبر" يحشره في كيان اقصيصه كما فعل في التطرق الى مسألة هرب العلماء من معسكر الى معسكر . واغلب ظني انه عندما يكتب شيئاً ما ، لا يبعد عن ذهنه مفهوم المقالة الاجتماعية او السياسية بل ربما تعمدوا خدمة للفكرة التي يحملها واخلاصا لبسط كل ما يجيش في صدره .

ففي "همام" اراد ان يجعل من الغاء المعاهدة الانكليزية المصرية موضوعا لاقصوة تصور "هماما" جالسا الى مكتبه يفكر في كتابة مقال بهذه المناسبة . ولكن صاحبه في الغرفة افسدوا عليه صفاء تفكيره بضجيجهم . وكان موضوعه مهما يتناول البحث في الوسيلة المثلى لاثارة اهتمام الناس فيما يتعلق بشؤونهم ، وخلال ذلك يعلن مذيع القاهرة النبأ بالغاء المعاهدة الانكليزية المصرية ، فيثير هذا نقاشا محتدما بين الجميع ، وينبرى همام يسرد اخبارا عن ام نهضت وقاومت واستطاعت ان تفعل المعجزات من اجل حريتها .

لقد ضحى ايوب من اجل الفكرة التي سعى اليها في هذه الاقصوة بكل متطلبات الفن ، فالشخصيات ضعيفة كانت تنطق بمختلف المواعظ كما ان هذا السرد التاريخي حولها الى محاضرة تلقى في فصل . اضع الى ذلك ان الجو الخارجي لم يوفر له الوصف الكافي .

وفي "فتاة الجسر" كشف عن مدى مساهمة المرأة في تحطيم قيود معاهدة بورتسموث . وبالرغم من ان الاقصوة تبدو للقارئ العراقي الذي عرفها عن كتب وقرأ منها الشيء الكثير في الصحف ، لا فرق بينها

وبين المقالة ، الا ان القاص كان موقفا في احداث التأثير المطلوب الذي يهز النفس ويثير الحماس ، كما ان تلك العواطف النبيلة التي ابدتها "فاتكة" "فتاة الجسر" نحو العجوز التي اصيبت بطلق نارى ، فطلبت ان تعالج قبلها ، جديرة بالاعجاب في موقف اختلط فيه الناس وبلغ الحماس ذروته ولكن يؤخذ عليه انه عني بسرد الحوادث دون التغلغل في حنايا النفوس وتحليلها مما يسبغ على الاقصوصة عمقا هي بامس الحاجة اليه .

وشبيه بهذه الاقصوصة "صيد البشر" استهلها بمقدمة حشر فيها معلومات تاريخية وجغرافية ، وشرح فيها اساليب الشركات في السيطرة على كنوز الارض . يقول "ولكن هذه الاساليب امست مفضوحة ، فالراديو اللعين والجرائد الخبيثة ، وكل وسائل المدنية الحديثة ، تلك التي قدمت العبيد ، قد اتاحت للصغير والكبير ، والعالم والجاهل والسيد والمملوك معرفة ما يدور في الدنيا من احداث" . ويخلص من ذلك ليحدثنا عن مظاهرة عزم عمال الشركة على اقامتها ، مطالبين برفع اجورهم ، حتى تتناسب مع ارتفاع اسعار الحاجيات الجنونية . وتخرج المظاهرة ، الا انها تقابل بالقوة فتساقط الضحايا ، من بينهم صبي صغير ، خرج ليتطلع ، وتسلق شجرة مختبئا بين اغصانها ، لكن منظر الدماء افزعه فصرخ باكيا فالتفت شرطي الى مصدر الصوت وصوب نحوه رصاصة ، اظلمت عيناه على انسرهما وشعر بالحاد يكوى قلبه الصغير . ولم يبدر منه شيء الا ان صرخ "اماه" ثم سكنت جثته بين الاغصان .

لقد كان في مقدور ايوب ، لو اقتصر على مشهد واحد يتعلق بموضوع هذا الصبي ، ان يأتي باروع اقصوصة واعنفها اثرا واكثرها تقريبا وتأنيبا للطفاة ولكنه افسد الهدف الفني كله بذلك الخطاب المشتهر بالقساة والمعلن عن فضائحهم ، وبذلك المعلومات التي لا تنسجم في كيان الاقصوصة . ويعرض ايوب في "الرمس القائم" الى صورة قاتمة تحز في النفس اخاديد من الالام . تمثل تلميذا يشترك في مظاهرة فسقط مع من سقط بايدي الشرطة ، فاقنيد الى السجن ورمي في زنزانة مظلمة قاتمة ، شديدة

الرطوبة والبرودة . ولما اخذته سنة قليلة من النوم ، حلم حلما مربعا .
وقد سخر القاص من الدساتير الديمقراطية والمقدار الكبير الذي تمنحه
من الحرية لافرادها ، ولكن على الورق فقط . وقد عذب التلميذ دون
ذنب ، واطلق سراحه لسبب غير معلوم ، واراد الشكوى فوجد ان الجدران
لا تجيب ، والظلام والابواب لا تفهم .

ان ايوب في الطواره كلها مصر على ان يحتفظ بمهمة الناقد
الاجتماعي ، المسجل للظواهر الاجتماعية المتباينة التي يتعرض لها الوطن
بعد حين واخر . ولا يعنيه كثيرا من فن الاقصوصة ، ذلك الفن الذي
"يقوم على اركان اهمها حسن السياق ، وبراعة المؤلف في الاستغناء عما
يستغنى عنه ، كي تخرج القصة مرثرة حول غرضها الاساسي ، غير نفضاضة
الحواشي" والذبول " (١) ، بل يتخذ منها غرضا ذا هدف سام يكرسه
لحرب الظلم والاستغلال ونصرة الحق والدفاع عن العدل المهيض الجناح ،
وهذا الهدف يستحوذ على مشاعره كلها حتى ليخال الى القارئ ان
الرجل كاتب مقالة لا قصة . " وقد يقع الناقد فيها ، على نواح ضعيفة
من حيث الفن الجمالي للقصة ، ولكن الرسالة التي تحملها هذه القصة ،
الرسالة التحريرية الصاعدة جديرة بان تحجب تلك الهنات بما توجيه الى
النفوس من دعوة الى التأمل والتفكير ، كيلة بان تدفع الى العمل " . (٢)
يبرر ايوب عدم تسمية ما ينتجه بالقصص بقوله " لم يكن لي يد
من التأثير بما يجري في بلادى من احداث ، وكفرد اجتماعي يجب ان
يخدم مجتمعه ، لم اجد مناصا من تسجيل تأثير هذه الطوارئ والاحداث
في نفسي ، ولما كنت موظفا بعيدا عن السياسة ، لم اجعلها مقالات ترفع

(١) "قلم التحرير" " بنت الشيطان " ، المكشوف ، السنة العاشرة ، العدد

٣٦٤ ، ايار ١٩٤٤ .

(٢) سهيل ادريس ، " القصة العراقية الحديثة " ، الاداب ، العدد الثالث ،

السنة الاولى ، ١٩٥٣ .

الذنب عن عاتق فلان ، لتلقيه على عاتق فلان ، ولم اجعلها بحوثا تدافع
عن مبدأ معين ، او مذهب خاص ، فجاءت قصصا خيالية ، ابطالها من الخيال ،
وحوادثها من الخيال ، والدافع الى الكتابة هو الواقع الموهل بما فيسه
من مرارة لاذعة . (١)

ابطال ايوب

يخلق ايوب على ابطاله الذين يحبهم ويعجب بهم ، صفات تقربهم
الى القلوب ، وتحيطهم بهالة من الاحترام . وهم اجمالا اقرباء العضل ،
تزينهم ارادة قوية ، وعزيمة راسخة ، وصراحة في الحق لا حدود لها .
ومع ذلك فقد ركب في طباع البعض منهم شذوذ ، لانهم يتصرفون تصرفا
غير منطقي ، ويمتنقون اراءا قد لا يجاريهم عليها المجتمع .
ومع ذلك فهو "الابطال" دمي " صاغها الكاتب في صورة من
القوة والبأس ، ولكنها قليلة الحركة ، فان ما يؤمنون به من مبدأ راسخ ،
لا يعنون كثيرا في حمل الآخرين على اعتناقه ، فكان نظرتهم الى الحياة
خاصة بهم ، لذا تجد بعضهم يميل الى الانفراد ، يعتصم في قرية ، يعتزل
بها الناس ، او يركن الى بيته ، لا يحب ان يساكنه فيه احد ، وانت مرغم
على ان تحبهم لانهم قوم لا يداهنون ولا يعرفون للنفاق معنى ، وان
كان من يعاشرهم يضيق بتصرفهم ويبرم بملاحظاتهم .

ذلك جزء يسير من عالم ايوب ، ان عالمه الاكبر ينحصر في
فريق من رجال السياسة ، يحصى عليهم تصرفاتهم ويسجل مثالبهم ، ويحلل
نفسياتهم ويغوص احيانا الى اعق اعماق قلوبهم ليكتشف جذور الشر والجهل
والانانية التي تصطرع باستمرار ، وتطبع اعمالهم بطابع الشر والخداع وحب
الذات واغفال المصلحة العامة التي فرض فيهم ان يسهروا على رعايتها .

(١) ذو النون ايوب ، "برج بابل" ، ص ١١٥ .

وينجح ايوب في الغالب الاعم ان يثير القارئ ويملاً صدره حقدا على هؤلاء ، وكرها واحتقارا ، كما ينجح في ان يثير الرثاء المشوب بالازدراء لاصناف اخرى ، تجرى في اعقاب اولئك الساسة ، فتتكرر ما اصابست من مفاهيم جاءت نتيجة الدرس الطويل والتحصيل العالي ، وتتجاهل ما اكتسبت من مثل اخلاقية سامية ، فيغدو ههما في الحياة الحظوة برضا الرو"سا" لتتال من فتات الموائد ما يقيم اودها ويسبغ عليها جاها وعزة كاذبين .

والحق ، ان ايوب لا يريد ان ينسب الهلا الى فئة دون فئة ، وهو يسخر من هذه الفكرة ويستخف بقائلها قال "يو"لني جدا ، ان اسمع بان فلانا كان سبب تأخر العراق ، وان الحادثة الفلانية كانت الكسل نفسي الكل في هذا الوضع الفاسد ، وان الانكليز هم سبب الخراب ، وان رجالنا لا قدرة لهم على ادارة الوضع" (١) . ذلك انه لا يريد ان يسيء الى احد بقدر ما يريد ان يخدم فكرته في المساهمة لانقاذ الوطن من برائن الادواء الكثيرة .

وما عدا ذلك فليس لايوب طبقة معينة شملها بحبه واصطفاها بعنايته . كما خص طبقة الحاكمين بنقده وكرهه . ~~كلامه عرك في كل ناحية~~ .

ويظل الاثار كلها تزوع قوى نحو نقد الحياة السياسية العامة . ويلاحظ على ايوب انه يقحم نفسه بين شخصيات اقصيه ويفرض عليها اهدافا - بصرف النظر عن ماهية الاهداف - ومثلا قد لا تتفق مع الدوافع النفسية الحقيقية التي تقتضيها ملاهسات الحياة ، وبذلك تبدو هذه الشخصيات كأنها دمي مصنوعة لا تمت بهلة الى النماذج البشرية الحية" (٢) . ويغفل ايوب ، احيانا كثيرة ، ان يضع اسما لابطاله ، وربما قصد الى ذلك قصدا ، وهذا ما يدعو الى ان تكون الشخصيات مهمة غير مميزة

(١) ذو النون ايوب ، "برج بابل" ، من كلمة تحذير ، ص ح .

(٢) هذه العبارة مقتبسة من مقالة لمحمود تيمور ينصح بها القصاص ، اراها

تنطبق على معظم ما كتب ايوب . الاديب ، العدد الرابع ، سنة ١٩٤٤ .

المعالم . في حين ان الاسماء تضاف على مسمياتها بعض الضياء ، فتبدو نابضة بالحياة ، واذا اضفنا الى ذلك ان القاص قد يخطئه التوفيق في اعطاء الحركة الكافية للشخصية لتثبت وجودها وتدل على كيانها ادركنا مبلغ العتمة التي تحيط باهطاله .

اسلوب ايوب

لغة الكاتب — بصفة عامة — معبرة . وان كانت لا ترتفع الا قليلا عن مستوى الاسلوب الصحفي البسيط . وفي مقدورك ان تشعر على اغلاط من غير عنا . ولكن هذه الاغلاط ليست من الكثرة بحيث يستهجن معها اسلوب الكاتب . وهو بالقياس الى معاصريه من الكتاب المحليين من افضلهم اسلوبا . ولكنه لم يتخذ سمة خاصة تنم عليه شأن الكثير من الكتاب الكبار . ومرد ذلك — كما اعتقد — هو الرغبة في الظهور قبل استكمال العدة ، واهمال المطالعات الجدية في امهات كتب الادب .

وقد يعتمد ايوب الى الاستعانة بالعبارات الكلاسيكية ، يقتبسها من هنا وهناك ، كان يقول " ودقوا بيتهم عطر منشم " وكقوله " اجمعت القبيلة امرها عشا " ولما اصبحوا اصبحت لهم ضوا " . وقد لا نجد بأسا في ذلك ولكن ما فيه البأس ان يستعمل كلمات بحاجة الى الشرح وتكاد تكون حوشية غريبة عن افهام القارئ العادي مثل كلمة لهوة واقعا ووصيد والعثير . (١) وهذا كله يكشف عن حقيقة جديدة هي ان الكاتب بدأ يتزود من المطالعات المثمرة . لذا تجد اسلوبه قد مال نحو القوة ، وهذا واضح في " صور شتى " ان اصاب العبارة شيء من المتانة والعدوبة لم يكن لنا بهما عهد في مجموعاته السابقة ، باستثناء " قلوب ظمأى " حيث نجد بداية الاهتمام برشاقة الاسلوب والاحتفاء بانتقاء الالفاظ الموحية قال " واتسى الناول يحمل كأسا فيه قطرات صفر كدموع سكبتها اعين مقروحة " ومثل

(١) استعمل هذه الكلمات في مجموعته الاخيرة " صور شتى " .

"اما المفوض فتطلع في وجهي بنظرة ذكرتني بنظرات ارنب اليف". (١)
وتشيع في اسلوب ايوب السخرية ، يستعين بها للنيل من يضعه
هدفا لنقده وهجائه ، وله في ذلك طرق متباينة ، اكثرها ابتذالا هو استعمال
النصوت المختلفة كأن يقول " هو الدكتور العظيم " (٢) وكان يقول " وهل
قضيت ستة عشر عاماً في تحصيل العلم لاتملق هذا الشيخ الخرف الذي
يقول : ان الارض واقفة على قرن نور وان المطر يول الملائكة " (٣) وقد
يعمد الى السجع متندرا او ساخرا كقوله " والسيد افضل موظف في ديوان ،
له خادم ، وله اعوان ، وله عقل يتسم بالرجحان ، قد درس وتثقف ، وتهذب
طبعه وتلطف حتى اصبح مما يشار اليه بالبنان ، من ذوى الكلمة عــــند
الاقران " (٤)

ولكن اشد السخرية واكثرها ايلاما هي تلك الصور المفارقة التي
يوفق ايوب احيانا كثيرة في رسمها ، تستطيع هذه الصور ان تستلب من
القارئ ابتسامة ساخرة ، قد تكبر وتكبر حتى تصير قهقهة . مثال ذلك
قولة " وسهر الليالي مكبا على الكتب الصفراء حتى شحب وجهه وكل بصره ،
وضعفت بنيته فاصبح يشبه بقامته النحيفة ووجهه الصغير وعمامته البيضاء
وملابسه العصرية تحت الجبة السوداء قلما من الرصاص في رأسه محاة " (٥)
ومثل قوله " وانبرى عضو اشيب ، شيطاني الهيئة ، قاسي النظرات فقال
بصوت خشن كحجيج زحاف فائك . . . واعترض عضو اخر هو فور الشحم ،
مكتنز اللحم كخنزير معتنى بتربيته " (٦)

(١) " قلوب ظمأى " ، ص ١٢ ، ٥٧ .

(٢) " عظمة فارغة " ، ص ٢٨ .

(٣) " رسل الثقافة " ، ص ٣٠ .

(٤) " عظمة فارغة " ، ص ٢٩ .

(٥) " برج بابل " ، ص ١٦ .

(٦) " صور شتى " ، ص ٣٥ .

الفصل الثالث

عبد المجيد لطفي (١)

قبل نيف وعشرين سنة ، كتبت احدى الصحف المحلية مبدية اسفها لعدم استطاعتها نشر مادة بحث بها اليها لطفي ، لانها لازالت بحاجة الى الجهد لتستكمل بعض شروط النشر . وما يحمد للكاتب صلابه ايمانه بنفسه وتفاؤله بالمستقبل ، اذ كان يرى خلال الظلام الكثيف الذي احاطه في مستهل شبابه بصيها من نور ، جعل يغذ السير اليه من غير كلل ، حتى ادرك من الشهرة في الاوساط الادبية العراقية ما يغبطه عليه الكثيرون ، وامست الصحف ترحب بما يكتب ، بل تطلب اليه ان يزودها بنتاجه ويخصها بآثاره . كانت ايام شبابه كفاحا شاقا في سبيل لقمة العيش ، ارغمته على ان يضرب في الافاق ، فطوّف انحاء العراق وخاض مخاضات الوز ، فرأى مكابض التمور وعاملاتها يكدحون كل النهار وطرفا من الليل مقابل دريهمات لا تسد الرمي ، وحفئات من التمر يسرقونها ليجعلوها اداما لخبزهم . هذا في الجنوب ، اما في الشمال فقد رأى الوديان والجبال وسحر الطبيعة والغنى الفاحش الى جانب بيع الاطفال في سني الجذب والقحط . لقد تركت تلك الايام شديد الحزن في نفسه ، وشغف بالادب

-
- (١) ولد عام ١٩٠٨ في خانقين حيث تخرج ثقافة اربعة اقوام يتحدثون اربع لغات مختلفات : العربية والتركية والكردية والفارسية . تخرج في مدرسة الصناعة ، وتقلب في وظائف كتابية كثيرة ، حتى استقر به المطاف في الوقت الحاضر في وزارة المالية العراقية . ألف "اصداؤ الزمن" عام ١٩٣٨ و"قلب الام" عام ١٩٤٤ ، و"غيفة" عام ١٩٥٣ ، و"نظرات في الادب الكردي" بالاشتراك مع الاديب عبد السلام حلبي . كثير من نتاج لطفي مبثوثر في بطون الصحف والمجلات لا يجراً على ضمه بين دفتي كتاب خشية الخسارة البادية .

الرومانتيكي أدب الدموع الذي كانت تغذيه المدرسة الاميركية ، وتمده بتيار القوة والحياة كتب المنفلوطي وما ترجم احمد حسن الزيات .

- ١ -

يبدو هذا الاثر اوضح ما يكون في كتابه " اصداء الزمن " فسي شكل عاطفة متأججة ، ووصف للطبيعة جميل ، وحب ملتهب ترك اعماق الانار في نفسه فخلق فيها ثورة عارمة على تلك الفوارق الاجتماعية التي تحول بينه وبين من احب ، (١) فبكى الحبيب بكبد حرى ودمع غزير قال :

" فكري قليلا ، ايتها السارحة في اودية الوهم والغرور .

ان الايام تمضي وتسير ،

والجمال يذوى ويزول ،

والابتسامة تنطفئ وتموت . والشعر الكستنائي المتموج كريد البحر

المتوهج ، لن يدوم الى الابد .

فاتركي في القلوب الهذبة اثرا من الحب والتقدير ،

وضعي في الرؤوس المثلثة بالشوق والغرام بعض الخاطرات الحلوة للذكرى .

فالغد مظلم كجوف القبر والسنوات الاتية تتقدم اليك مبتسمة ، لتسلب

اجمل منح الطبيعة منك .

وانت في غرور جمالك زاهية . . . (٢)

وفي " سلمى " (٣) التي وصفها الكاتب بانها ملحمة نثرية ، نجد

روح الشاعر " للمنفلوطي - تسيطر عليها منذ البداية ، فهناك البطولة والرماس

والطبيعة بيدرها وسمائها وفيومها ، والاشجار والاعداء يترهبون به ،

(١) عبد المجيد لطفي ، " اصداء الزمن " ، ص ٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٠

والحبيبة تناجيه من النافذة . ما لا شك ان تلك صورة غريبة عن محيط لطفى ، ولكن اعجابه بها ، حدا به الى ان يعيد كتابتها على تلك الشكل الرومانتيكي .

تعرض في هذا الكتاب لصور البؤس في المحيط ، مسجلا اياها بطريقة عابر سبيل او آكلي السندويج ، كما في "تحت دواليب الحياة" (١) و"صور دقيقة" (٢) وقد عادت به الذاكرة في بعضها الى ايام البؤس حين كان يبحث عن الخبز منذ السادسة ، الا انه لا يدع للحزن ان ينشب اظفاره في نفسه ان يتأسى بمفكرى العالم الاحرار ، اولئك الذين لم يخافوا الجوع والتشريد ، فروسو كان ينام تحت القناطر في زمهرير الشتاء ، ولم يمنعه فقره ان يقول الحق ولا يحجم عنه ، والذين يعملون للشعب ، لا يريدون من الشعب جزاء او شكورا . (٣)

وفي "مذكرات متشرد" يعرض باقتضاب لمحات من حياة قست عليه ظروفها ، فقد القى في السجن ، لانه ثار لكرامته من المهندس المشرف على العمل بعد اهانة لحقته منه ، وضربا شابا كان يختال مع صويحبانه لكونه سخر من هيئة الفقر البادية عليه ، كما يشير الى اطيب غذاء تناوله في ظل "توته" قديمة مؤلف من لبن وتمر وخبز . شكرا لله فما اجل هذا الثالث المقدس ، لو اتيج لجميع الفقراء ان يلتمهوه في ظل الطبيعة الظليل ، بعد ساعات العناء والعرق .

في الكتاب حنين باك تلمس فيه فتات كبد مقروحة ، فقد بكى امه احمر بكا ، وبفقدتها فقد القلب الذى كان يحنو عليه ، وقد ر عليه التشرد . ويملك لطفى مقدرة فائقة على اثارة المواقف العاطفية والصور المغرقة في الاحساس الباكي ، في اطار من الطبيعة اخاذ كما في مناجاته

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥

(٢) " " " " ص ١١٢

(٣) " " " " ص ١١٥

لنهر الوند . (١)

وفي "خالدة" (٢) براعة في الوصف وخيال جميل وتدفق عاطفة ،
لا يملك الانسان لدموعه حبسا عند قراءتها .

يمكننا ان نعتبر "اصدا" الزمن " وسطا ذهبيا بين الشعر والاقصوصة ،
والكاتب شاعر تجلت شاعريته في جميع ما كتب - وان كان بأسلوب النثر -
وقد تضافر الاحساس المرهف وشيخ الماضي الحزين والاستجابة السريعة
لالام الناس وضعفهم على خلق صور عامرة بالعاطفة فياضة بالدموع . ولكن
ضآلة الحركة وعدم وضوح الشخصيات وجمودها اضعف فيها الناحية الفنية
من القصة .

- ٢ -

اقاصيص لطفي كثيرة ، لكنه لم يودعها كتابا غير عشر اقاصيص جمعت
في "قلب ام" ترجم اربعا منها عن التركية . مع العلم انه كتب حوالي
ثلاثمائة قطعة (٣) تنشرت في مختلف الصحف والمجلات داخل العراق
 وخارجه .

يغلب على نتاجه القصصي طابع السرعة وعدم المبالاة ، كأنه يخشى
ان يفلت منه ما كسب من شهرة ويحز في نفسه ان يخيب ظن صحفي طلب
اليه الكتابة في صحيفته ، (٤) وتسعفه في ذلك ذاكرة عجيبة تمدد بما يشاء من
حوادث الايام ونوائب الدهر ، ولا جرم ان يتأثر اسلوبه بتلك السرعة حتى
ينحط الى مستوى الاساليب الصحفية في بعض الاحيان .

وهو في كتابة الاقصصة يلتزم شروطها التقليدية "من عقدة plot
وذروة climax وحل denouement" . (٥)

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٦

(٢) " " " " ص ١٨٢

(٣) جميل سعيد ، " نظرات في التيارات الادبية في العراق " ، ص ٤٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٥) الدكتور صفاء خلوصي ، " فن القصة في العراق " ، الاديب ، يناير ١٩٥٤ .

في "قلب ام" يتزوج رجل امرأة ثانية دون علم زوجته الاولى ، وقد فعل ذلك مضطرا حتى يحى مزارعة من عبث عشيرة الزوجة الثانية واعتداً انهم . وتظل الزوجة الاولى تجهل ذلك حتى حانت ساعة وفاتها فيعتذر اليها ، ويرجوها ان تبرئ ذمته فتفعل .

خلا اسلوب هذه الاقصوصة من القوة فجا ساذجا بسيطا كما ان الكاتب يباغتنا بمرض الزوجة ووفاتها ، وكان حديث الصبي الذي حشا به الاقصوصة مقحما ان لم يجد كثيرا في فنيتهما او في اضافة اثر جديد له وقع حسن في نفس القارئ .

وفي "رائحة الدم" يستوقفه رجل يستجدي درهما ليتبلغ به ويقص عليه قصة خروجه من السجن واسباب سجنه ، ان قتل اخته غسلا للعار ، واتضح بعد ذلك انها بريئة طاهرة الذيل . اخفق الكاتب في تصوير شخصية السجين حتى غدا دمية لها عيزة النطق فقط ، ولم يستطع ان ينقل الى نفس القارئ من الاثر ما يتناسب مع جسامه الحادثة التي بنى عليها كيان الاقصوصة وهي شبيهة بباب الجرائم في الصحف المحلية .

وفي "نهاية الذئب" يعلمنا ان شخصا انقلبت شخصيته من الهدوء والدعة الى الثورة والوحشية على اثر لومة اصابته عقله بعد موت زوجته ، فيفتك بابنته ثم يفر الى البراري ، ويدأب على مهاجمة قريته كل ليلة يحثا عن فريسة جديدة . حتى يتمكن اهل القرية من القضاء عليه .

نجد "روح السالفة" ماثلة في هذه الاقصوصة لما تضمنها من حوادث غريبة ومفاجآت عنيفة قد يصعب تصديقها وبخاصة تلك المصادفة العجيبة التي اوقعت الوحش من اعلى السطح الى فناء الدار حيث حواء ماء مغلي في قدر كبير .

اما "طبيب الطبقة الدنيا" ففيها حس انساني نبيل وتضحية بالغة ان يطلق الطبيب زوجته لانها كانت تعارض في ان يكرس زوجها اوقاته كلها في سبيل مرضاه من الفقراء .

وفي "ظل السعادة" يصور لنا لطفي مبلغ التضحية والتفاني اللذين

لا يقابلان بغير التنكر والجحود .

ولعل مما يواخذ عليه الكاتب انه يتناول حوادث الحياة ببساطتها الثامة دون ان يشبعها بالفنية المطلوبة وذلك مفهوم مغلوط ان يقربنا كثيرا من "الخبر" واشباه الخبر بسرد على السنة الناس او تحوية اعمدة الصحف اليومية ، فينبغي علينا ان نصب تلك الحقائق البسيطة التي شوهتها الغريزة في قوالب فنية تأخذ بمجامع القلب وتترك في النفس اقوى الاثر. (١) والامثلة على ذلك كثيرة ففي "باسم الستر" (٢) نجد القاص يقع ضحية لمحنة تدعي حاجتها الى عناية على ان تردها في اليوم الثاني يعلق عليها المحرر انها حادثة واقعية. ولكنها جاءت من غير تحمل ، تشوكت اشتياق النادرة الحلوة ، والطرفة الغريبة الا انها لا تترك في النفس اى اثر .

ومثل ذلك ينطبق على اقصوصة "الانتظار" (٣) حيث نجد حمدان يهجر قريته الى المدينة فتقلب به الاحوال حتى يصبح شخصا اخر قد تبدلت حياته وانبسط عيشه . ويعود بعد عشر سنوات الى قريته ليجد "شئونه" ما زالت تنتظره ويدفع اليها عشرة دنانير ثمن ذلك الانتظار الطويل ويقفل راجعا تملأ الثقة نفسه .

يبدع لطفي كثيرا في رسم الصور الريفية ومظاهر الفقر ويخلع عليها من الحياة ما يحملك على الاحساس بها بقوة ، يقول في اقصوصته السابقة : "عندما بلغ القرية كان النهار قد انحدر نحو المساء وكانت الاكوخ كما عهدتها قبل عشر سنوات نائمة في ظلال البردى ، والكلاب تهز ذيلها وتعوى هنا وهناك ، والقوارب السوداء النحيلة تمرق تحت صبية نحاف يضحكون ، وصعدت للماء الراكدة رائحة مقبضة ، رائحة تعافها النفس حتى

(١) عبد الحميد جودة السحار، "هزات الشياطين"، ص ٢٢ .

(٢) عبد المجيد لطفي، "باسم الستر"، نشرت بالمهاتف بالعدد ٣٧٥، آذار ١٩٤٥ .

(٣) عبد المجيد لطفي، "الانتظار"، مجلة اهل النفط، العدد ٢٠، السنة

الثانية، آذار ١٩٥٣ .

شعر ان الهواء يتكتف بين يديه وبلوثة وبصاف وجهه بنداوة ذات دبق ..
 وقال من اقصوصة اخرى " نامت المريضة ملتحفة فراشها الرسخ
 المندى وكانت الغرفة تضيق الانفاس ، وتبعث برائحة خافقة ، وكانت الزجاجة
 الوحيدة المحطمة من النصف تبعث بين حين واخر بمقدار من الهواء الجديد
 يلتف تائها فيداعب الضوء الخافت ثم يتلاشى من الشقوق " . (١)
 ولعل من اجمل اقاصيص لطفي " هزيمة الحنين " (٢) حيث يسكب
 ذكرياته عن مدينته التي تركها منذ الصبا ، بأسلوب جميل طبيعي يشعرك
 بالاطمئنان ، كما ان النهاية غير متكلفة ، خلاصتها ان " حمه^(١) سور " لم يحتمل
 ان يرى الفارق الكبير بينه وبين عبد الكريم رفيق صباه فقد انطفأ نور
 عينيه ولم يعد يعرف اولاده الا من اسمائهم في حين ظل عبد الكريم
 يتمتع بنعمة البصر .

- ٣ -

وللكاتب كتيب دعاء " عفيفة " ضمنه خواطره عن الراقصة البغدادية
 المعروفة عفيفة اسكندر راسا الخطوط البارزة في حياتها .

- ٤ -

هنالك ما يلفت النظر في كتابات لطفي ، هو خلوها من السخرية
 والروح الفكاهة كالتي نجدها في آثار ايوب ، ومع ذلك فلا تجد في نتاجه
 تلك السوداوية الجاثمة على كتابات عبد الملك التي تحيط الحياة بعتمة
 تضيق معها النفس ، الا ان الاثر الذي تتركه اقاصيص لطفي في القارئ
 لا يعدو السطح ولا يكتب له الدوام طويلا . ولا ريب عندي ان تلك
 من نتائج السرعة التي اعتاد عليها القاص .

(١) عبد المجيد لطفي ، " قلب الام " ، ص ٦٢ .

(٢) اذيعت هذه الاقصوصة من محطة الاذاعة البغدادية ونشرت في " هنا
 بغداد " في عددها ١٢٩ الصادر في كانون الثاني ١٩٥٥ .

ان اكثر الاثار الفنية جودة، تلك التي تترك اعمق الاثار واطولها دواما ، ولقد قيل ان غوته Goethe لم يكتب " آلام فرتر " الا بعد ولادة عسيرة ، دامت بضعة اسابيع ظل خلالها في شبه غيبوبة، ولذلك تترك قراءة هذا الكتاب ابلغ الاثر وادومه .

قال الكاتب : " ان اكثر ما نشرنا في الماضي ضيق الافق ومحلي جدا واحيانا خيالي محض ، ولكننا وقد وعينا الحياة وهضمنا تجارب كثيرة عسيرة الهضم صارت لنا رسالة وفكرة ، وعن تلك الفكرة الاصلاحية نذود في حدود بعيدة عن مثاليات الاخلاقيين القديمة ، ذلك ان الحياة فسي نسوتها ومرارتها لم تعد ساحة مضاة بالاحلام الكاذبة ، ولم يعد الاديب ثورا في جرن ، ، يدور ليهز الاجراس التي في عنقه . . وقد تكون اجراسا ذهبية او نحاسية ليطرب السامعين والسامرين وهم شذاز المتبطرين " . (١)

تلك رسالة الاديب العراقي لم يحد عنها لطفي . كما ان الرجل ما زال كعهده الاول ذا امل وثقة بالمستقبل ، قال : " وبالنسبة لي فانا لم اكتب افضل قصصي بعد ، ولكني في الطريق الى ذلك " . (٢)

حقا ، ان لطفي بدأ يجفو تلك السطحية التي لازمت كتاباته ليبدأ صفحة لامعة من نتاجه القصصي .

(١) من رسالة بحث بها القاص الى الكاتب .

(٢) المرجع السابق .

الفصل الرابع

قصاصون آخرون

١٠ سليم بطي

في الوقت الذي كان السيد يخرج الى السوق انضج آثاره ، وتستطيل شهرته في كل مكان ، كان هنالك نفر من كتاب آخرين استهوتهم الكتابة في الصحف وشفغهم فن الاقصوصة اكثر من سواء ، هم : سليم بطي ، انور شاوول ، جعفر الخليلي ، يوسف رجب ، خلف شوقي الداودي ، لطفي بكر صدقي ، عبد الوهاب الامين ، ضياء سعيد ، عبد الحق فاضل ، سعيد عبد الله الشهابي .

اما سليم بطي فقد كتب عددا من الاقاصيص نشرها في الصحف المحلية ، كان ينهيها في الغالب بفاجعة ، كما يبتدئ البعض منها بقوله : " حدثني فلان " على غرار ما يفعل الكثير من قصاصي هذه المرحلة " وهو منهج قديم شرع يتخلى منذ زمن عن مكانه للمناهج الحديثة وطفق يقل عدد الكتاب الذين يقولون طلب صديقي قهوة مرة ثم استدار الي وروي القصة التالية . . وهذا فن كان شائعا في اوربا في بداية هذا القرن " . (١)

يميل بطي في اقاصيصه الى وصف الظلم الاجتماعي . ففي " ضحية " (٢) يصور لنا منظر البؤس البالغ والقساوة التي انطوت عليها قلوب المترفين واندفاعهم نحو شهواتهم . " نعيم " صبي في الثالثة عشرة من عمره يعيش مع امه واخيه الصغير في غرفة حقيرة زرية الح عليهم الجوع فخرجت الام تستجدي المارة ولكن احدا لم يمد اليها يد العون ، ثم طرقت بابا تطلب

(١) ديفز ، " الاقصوصة المصرية " ، نشر بالاديب ، الجزء الحادي عشر ، السنة

الرابعة ، ١٩٤٨ ، ترجمة حسين نصار .

(٢) سليم بطي ، " ضحية " ، نشرت بالبلاد في العدد ٢٠٠ ، ١٩٣٠ .

صدقة فخرج اليها رجل ضخم الجثة عريض الكف بشع الخلقه قد استأثر بطعام العشرات ، فتنه جمالها فجرها الى الداخل وحاول ان ينال منها بنغيته ولكنها امتنعت ، فنادى اربعة اوسعوها ضربا ، فلم تجد بدا من الاستسلام له ثم طردها دون ان يعطيها شيئا ، ذهبت ورقدت الى جانب طفلها رقدتها الابدية ، ولحق بها ابنها الكبير وظل الصغير وحيد الشقاء في هذه الحياة .

حشيت الاقصوصة هذه بالشيء الكثير من وصف الحرب وما سفكت فيها من دماء وتركت من ارامل ، كما ان الكاتب يحاول بأسلوب الوعظ ان يؤثر في عواطف القارئ كأن يقول "واى قلب لا يعطف على هؤلاء المساكين ولو كان اقسى من الصخر واى مخلوق لا يتألم لمنظر هؤلاء البؤساء والمساكين .. ما ذنب هؤلاء المساكين ؟ ما ذنب هؤلاء الصغار فقد حكمت عليهم الحرب بهذا العذاب فرمتهم بمجاعة هائلة جعلتهم يتنازعون سكرات الموت " . ويكاد اسلوب الوعظ هذا يلزمه في جميع اقصيصه .

ونجد في اقصوصة "تقريع الضمير"^(١) اعتمادا على المفاجآت الغريبة فقد وقف الكاهن يستمع الى المريضة في ساعاتها الاخيرة تعترف بخطاياها ، فقد خانت زوجها مع عشيقها "جوزيف" الذى اصر اهله على ان يتزوج فتاة غنية ، واثمرت الخيانة ابنتها فكتوريا ، وكانت فكتوريا تحب كمالا بن جوزيف ، فطلبت من الكاهن الا يسمح بزواجها منه لانهما اخوان . وكانت فكتوريا خلال اعتراف امها تسترق السمع فها لها الامر ودخلت الغرفة بينما كانت امها تلفظ انفاسها الاخيرة ، ولما رآها الكاهن اصدر امره اليها قائلا "ايتها الفتاة الى الدير" فصرخت فكتوريا : امي .. امي لقد جنيت علي .

اصطنع القاص - لهوايته التمثيل - بعض المواقف المسرحية كما في منظر الكاهن يأمر الفتاة بالذهاب الى الدير ومنظرها وهي تذكر جناية

(١) سليم هبطي ، "تقريع الضمير" ، نشرت بالبلاد ، العدد ١٣٣ ،

امها عليها . كما تكلف بعض حوادث الاقصوة في موت الاب خلال رحيله في شأن من شؤون تجارته واسلوبها بسيط غير مؤثر . يبلغ اسفاف بطي اشده في اقصوة " الاثر الغرامي " ^(١) تمثل شابا " داخلته فكرة شيطانية " هي ان يوقع فتاة في شباك غرامه ، فكان كلما رجع من عمله عند الظهيرة التهم غداءه بسرعة ثم صعد الى غرفته يطل منها على نافذة الفتاة التي ازمع ان يوقعها في غرامه ويطيل النظر اليها قال : " وكانت كلما يقع نظرها علي ابتسم لها ابتسامة رقيقة فتخجل وتنزل ستارة النافذة فينتهي المشهد فاقوم الى محل عملي واعدود في اليوم التالي " . واستمر في خطته هذه حتى اوقعها في حبه وترك في قلبها اثرا داميا وانصرف عنها الى غير رجعه .

لاحظ لهذه الاقصوة من النجاح ففكرتها سخيطة وسردها مضطرب واسلوبها في غاية الضعف ، ولن يبلغ بانسان الغرور هذه الدرجة حتى يجرب في فتاة تلك التجربة النافذة .

ولعل خير اناصيص بطي اقصوة " ضحية رأس السنة " ^(٢) ، تمثل شقاء ام وكدها وراء كسب القوت لها ولابنها الطفل الذي تأمل ان يغدو رجلا بين الرجال ، وكانت تضطر ان تتركه النهار بطوله وطرقا من الليل تضيقه بالخدمة والعمل المضني لتعود بعدها ببعض القوت لوحيدها . وفي ليلة رأس السنة اشتد البرد وتأخرت الام على غير عادتها ، فملّ الطفل الانتظار وسار ليدفئ رجله المقرورتين فشاهد مناظر العيد المبهجة ، حتى وصل الجسر فازاد عبور الشارع الا انه سقط تحت عجلات سيارة . وعلمت الام بمصير ابنها بعد بحث مضن ، ولم تكذ تراه حتى فاضت روحها . ما في هذه الاقصوة من حسن انساني يرفعها على سواها مسا

(١) سليم بطي ، " الاثر الغرامي " ، نشرت بالبلاذ ، العدد ١٢٣ ، سنة ١٩٣٠ .

(٢) سليم بطي ، " ضحية رأس السنة " ، نشرت بالبلاذ ، العدد ٤٥ ، سنة

كتب بطي ولكنه - كعادته - انهاها بفاجعة مؤلمة ، الا ان اسلوب الوعظ غير ظاهر فيها . ويجيد القاص بعض الاجادة حينما يعقد مقارنة بين الطفل وواحد من لداته المترفين ، يرفل في حلال العيد ويحدثه بما هيا له والده من هدايا جميلة وما نضد على مائدتهم من صنوف الطعام .
 "وكتب سليم بطي مسرحيات ، احسنها مسرحيته "طعنة في القلب" ، وهو يهدف بها الى العبرة والعظة ويعرض على القارئ حوادث غابسة في الروعة وغاية في حث النفس على ترك الامور غير القويمة ومسرحياته تدور على مكافحة الهباء والقمار وشرب المخدر والمسكر . . . ولغة الرواية طعنة في القلب مزيج من العامية والفصحى ، وهو امعن في الفن واكثر اثاره حين يتحدث في العامية ، وتراه املك لزماتها من الفصحى " . (١)

٢ . انور شاوول

كان انور من اولئك الذين مهدوا السبيل للنهوض بالقصة العراقية . وكانت مجلته "الحاصد" من افضل المجلات التي عنيت بالقصة عناية فائقة ، فقد كان يعلن على صفحاتها تشجيعه لكتابتها بعقد المسابقات بينهم مخصصا مبلغا من المال للمجلي منهم .

يرى انور ان التجارب التي قام بها - في هذا الميدان - ما هي الا خطوة اولى ، ويبدى اعتذاره عن بعض الصعاب التي لاقاها في انتقاء الحوادث لقصصه لان المجتمع - على حد تعبيره - ما زال في حدود ضيقة ، وان الحرية الفكرية ما زالت في افق اعم . (٢) وقد لا يكون صحيحا ما ذهب اليه في مسألة "انتقاء الحوادث" ، لان القاص القدير يستطيع ان يستخرج من "الافق الاعم" روائع من الفن تخلد مع الزمن ، ولا غرو ان تجد امتع

(١) جميل سعيد ، "نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق" ،

ص ٥٦ .

(٢) انور شاوول ، "الحصاد الاول" ، ص ٥٥ .

القصر العالمية ، تلك التي خرجت من الافاق العتمة في قرية صغيرة يحتضنها جبل او فريضة تغسل اقدامها مياه البحر .

من هنا ، نستطيع القول ان انور لم يكن له الصبر الكافي في معاناة الاقصوة الفنية ، اذ انه يلتقط الحوادث ويسجلها على طريقة التقرير ، ولست اكتشف ذلك اكشافا وانما يصرح به الكاتب جهارا ، قال " فهذه بنفسجة ما هي الا فتاة يعرف حكايتها الواقعة كثيرون رغم تحريفنا اسمها للضرورة القصصية ، وحسب القراء ان يعلموا ان بنفسجة لدى اطلاقها على قصتها مكتوبة صفت لي استحسانا . وتلك " ص " بطلقة قصة " ضياع الاثنتين " ، ومثلها بطلقة " الحب المبتور " . (١) وهناك " الزهاوى يقاوم الاستبداد " و " الزهاوى وراحيل اليهودية " التقطهما الكاتب من طرائف الشاعر العراقي وقد استأذنه في اثباتهما ، لانه - على حد قوله - لا يريد ان يحرم مجموعته منهما وان لم تجر حوادثهما في العراق . ولعل لانور بعض العذر في ذلك فان مشاغله الصحفية والتجارية والتعليمية على عادة اليهود في الاحتياج لجمع المال وعدم الاقتصاد على مهنة واحدة ، كانت تصرفه عن بذل الجهد اللائق في كتابة الاقصوة . وهناك اناصيص مثل " عاكف بك " لم يهدف من سردها غير اثارة الالم بعبارات ^{المتألم} اعتدلت النساء الثواكل ان يرددها في تلك المناسبات مثل " يا امين انت عيني ، يا امين انت روحي ، ويسترسل مستعينا بشاعريته على الامعان في الوصف يقول : " وای منظر اشد هولاً من ان ترى الام جثة ابنها معلقة هامة شاحبة يعبل بها الهواء انى اراد وشفته اللتين رضعتا من ثدييها زمنا قد اصبحتا زرقاوين بعد ان قرصتهما اصابع الموت القاسية . .

يوفق انور توفيقا حسنا في حمل القارئ على الاحساس بالالم والتوجع لفظاعة تلك الصور التي يرسمها بوضوح ، لكن هذا اللون من الادب قد يكون غير مستساغ ، فليس من مهمة الادب ورسالته ان يقف عند

(١) المرجع السابق ، ص ٦ .

استدرار الدموع وبعث الاحزان الا اذا اتخذ ذلك وسيلة في الايحاء وبث روح المقاومة . كما اغفل الكاتب الاشارة مرة واحدة الى الاهداف السامية التي مات الكثير من اهل الحلة في سبيلها ، واضطهد اخرون وشردوا في آفاق الارض ، ولا شك في سمو اهداف الحليين في انتفاضتهم على الاضطهاد والظلم والجهل الذي اتصف به العهد العثماني .

اما "اقصوصة الدرويش" فهي غير محتملة الوقوع ، ويخيل الي ان انور متأثر "بحكايات وسوالف" المعجائز ، وهي تصور متيما قد تزيا بزي درویش وقف على باب حبيبته يضرب "الدف" ويغنى اغاني عذبة لم تسمع في تلك المدينة جاء يستجدي ، وقد طلب اليه الدخول الى البيت ففعل وجالس الاسرة وفيهم حبيبة القلب ، ثم القى نبوءته وهي "اذا خطبك الى ابيك شاب من الشبان وكان ذلك في يوم هطلت امطاره وقصفت رعوده فلتترهن عائلتك بهذه الخطبة عن طيبة خاطر ، فان وراءها حياة احلى من العسل ، حياة ملوؤها السعادة والثروة والجاه" . وقد عرفت الحبيبة بعد ثلاث سنوات ونصف هذا الامر بعد ان تم الزواج .

بالرغم مما في هذه الاقصوصة من خيال جميل خصب الا انها تجاني الواقع ان لم يألفها المحيط ولكن حظها من طلاوة الاسلوب غير قليل . اما اقصوصة "اللقيط" ففيها كثير من الاضطراب والمبالغات ويخيل لمن يطالعها اول وهلة ان الزواج قد تم بين الشقيقين التوأمين . يطلع داود بعد ان يقرأ وصية ابيه انه لقيط ، وقد آلمته تلك الحقيقة ، وحز في نفسه ان يكون ابن زنا وان يقع في حب اخته "صبيحة" ثم يدخر القاص لداود مفاجأة اخرى ان يكشف ان "سعيدة" الخادم التي كانت تعنى به عناية فائقة وتحذب عليه حدها على ابنها ، ما هي في الحقيقة الامه ، وقد صرحت له بذلك في موقف مسرحي مؤثر قالت : "فاعلم يا داود ان المرأة الجائبة على قدميك هي امك ، انى اتوسل اليك فارأف بي ناظرا الى دموعي المنسكبة ، رحمتك يا داود رحمتك ، لقد دخلت خادمة في هذا البيت ، بعد ان علمت ان حشاشة كبدي هنا ، ارحم امك يا داود .. ولكن داود ضرب توسلات

اسمه عرض الحائط وغادر الى اميركا .

وتلك خاتمة غير منطقية فتورة داود على ابيه الذي احتضنه صغيرا حتى بلغ مبلغ الرجال وهذه "سعيدة" الام بذلك دمعها وتوسلت اليه ان يظل الى جانبها كان يمكن ان تؤثر في تصميم داود على البقاء والتصرف في الثروة الطائلة التي خلفها له من تبنائه ولكن القاصر لا تهمة النتائج المنطقية بقدر ما يهمه رسم المواقف الخطائية المؤثرة .

ولعل هذا الفيض من العواطف الزاخرة الذي يولع انور نسي ابرازه صدى "لرومانتيكين ولفيض الادب الفرنسي العاطفي خلال الاعوام الاولى من هذا القرن" . (١)

وفي "الحصاد الاول" اقاصيص اشبه بالخطاب او المحاضرة مثل "انبياء ام شحادة" ، صور فيها شيخا يستجدي النيابة من صاحب الفخامة ، قال انور : "او ليست هذه يا صاحب مهزلة من مهازل الانتخاب ، انه يستعطي النيابة كما يستعطي المتسول الخبز على الابواب" ويضيف "اريد رجلا عراقيا ابي النفس ، قوى العزم ، مقدس الرغبات ، يضحى في سبيل المنفعة والراحة ويحرق نفسه لا ستضيء نبوره الرباني في هذه الظلمات الحالكة ، اريد رجلا كهذا يتسنى لي ان ما ضمته الى ثراي ان اضمه بحب وعطف وتخليد" .

واما احسن اقاصيص الكتاب فهي "آمال ممزقة" ، تصور صراعا نفسيا عنيفا يعتل في صدر شاب ، قد ظفر يقسط محمود من الثقافة وبنى على ذلك امالا جساما ، فاذا بالوضع السيء يقف حائلا بينه وبين التقدم واذا مقياس الدوائر لا تعتمد على الكفاءة والعلم بقدر اعتمادها على اعتبارات الوساطة والمصالح الشخصية وتقديم الخدمات الخاصة وحرق البخور عند

(١) ديفز ، "الاقصوصة المصرية" ، الاديب ، الجزء الحادى عشر ، السنة

الرابعة ١٩٤٨ ، ترجمة حسين نصار .

اقدام الرؤساء ، اما الاخلاص والتفاني في الخدمة العامة فهما آخر متطلبات الوضع السي .

وجملة القول في " الحصاد الاول " انه خطوة حسنة لم يعقبها خطوات وفضل صاحبه على الصحافة الادبية والقصة العراقية بما وضع وترجم لا يمكن ان يغفل اطلاقا ، ولا يضع من اهميته ما بدا في آثاره من ضعف فني اذ لا بد للبداية من كبوات وهنات .

٠٣ عبد الوهاب الامين

يكاد يكون عبد الوهاب الامين ابرز العقليين شهرة ادبية ، فقد كتب غير قليل من المقالات في الصحف المحلية وفي صحف البلاد العربية ، وكانت مجلة الرسالة تستهويه اكثر من غيرها من المجلات العربية ، وقد استغل معرفته باللغة الاجنبية فترجم كثيرا من الاقاصيص تضمنت " مجموعة قصص من الادب الحديث " الكثير منها وقد اختارها من آثار كبار الكتاب في العالم امثال تشيكوف وبيرانديلو وويلز وموباسان . وضم اليها تسع اقاصيص موضوعية . . كان يحاول فيها ان يرسم شخصيات مريضة في جو من التحليل النفسي الا ان القاص سرعان ما يرهقه الغوص الى الاعماق فيظل على السطح وبالرغم من قوة الصور في مخيلة الكاتب الا انه يخفق في عرضها قوية على القرطاس . (١) وهي تمثل مع ذلك مرحلة من حياة الكاتب يعتر بها وان كان يعتقد ان بعضها لا يأتلف والناحية الفنية الا انها كانت ذات وسيلة فذة في الترفيه عن النفس بواسطة الكتابة .

وبرينا الامين في " حيرة " من " مجموعة قصص من الادب الحديث " شابا يرم بحياته التافهة فاراد ان يقوم بعمل يلفت اليه الانظار كان ينتحر

(١) ميس ، " مجموعة قصص من الادب الحديث " ، الرسالة ، ص ١٥٩ ،

او يهرب من اقاربه او يمارس الكتابة ونظم الشعر ، لكنه لم يستطع ان يعمل شيئا من ذلك .

واخص ما تحتاجه هذه الاقصوصة هو التركيز ، كما ان هذا الاضطراب المسيطر على الفتى من التفاهة بمكان كبير . بحيث لا يصلح ان يخلع على الاقصوصة مناخا نفسيا .

وفي " ترنيمة الوداع " نجد امرأة تندب اباها بحرقة ولوعة ولكن الحبيب الولهان لا يشاركها الحزن ولا يأسى لاساها بل وقف يتطلع الى مفاتن جسمها يقول " كم كنت جميلة وانت تبكين وكم ثقل علي ان افق حائرا انا الاخر اُتلقى الانباء السيئة وكأنها لا تعنيني بشيء " . ويسرف في وصف اقسام جسمها الاخرى . وينتهي الامر بان يقدم لها رقعة ، وهي في طريقها الى الحياة بين ذراعي زوج كريم .

عاطفة الرجل هذه في منتهى الغرابة ولست بحاجة الى القول انها غير صادقة ووقوع مثل هذه الحوادث - دخول رجل غريب في مأتم ليتغزل بمحاسن امرأة - مستبعد جدا في بيئة مثل بيتنا ، كما انها لا تحمل اى هدف جل أو صغر .

هنالك اقاصيص اخرى لم يجمعها كتاب نشرها باوقات مختلفة في مجلة الحاصد والرسالة وصحائف السياسة ونداء الشعب والبلاد مثل " من ليالي النعيم " (١) اراد ان يبرهن على ان الانسان باستطاعته ان يكون سعيدا " وقد يكون توهما فاذا توهم الانسان السعادة فهو سعيد " وهو يضرب المثل بهدقيق له يرتاح الى مجالسته لانه صاحب فلسفة في الحياة قوامها التفاؤل المشوب بالفرح والاطمئنان .

لست اشبه هذه الاقصوصة الا بالخاطرة السريعة ذات الاثر القليل ، كما لم يستطع ان يسبغ على صديقه شيئا من الحياة بل تركه دمية بلهاء لا تعي ذات حس متبلد .

(١) نشرتها جريدة السياسة ، العدد ٣٢٥ ، ١٩٣١ .

وفي "قلبان" (١) يصور كيف انه كان وصديقا له ضحية حبيبة مخادعة ، قد ضحكت على الاثنين وكانت توهم كل واحد منهما انها له دون سواء حتى اتضح خداعها وانكشفت حيلتها وهي اقصوصة واهيصة سطحية تخلو من عنصر التشويق كتبت بأسلوب فاتر يسيطر عليه الغموض ، وهناك اقصوصة "حب مفاجئ" (٢) تصور أفلاس الزواج القائم على الحب ، وفي "المخمور" (٣) يجسم اثر الخمرة في مدمنها حتى ينتهي به الامر الى الانتحار .

تلك نماذج من اقاصيص الامين ^{تتسم} بالسطحية والمبالاة وقد يورد صورا يهدف منها للعظة والعبرة ولكن بأسلوب التلميح لا التصريح كما يعيب البعض منها قصرها الفاضح في حين انه قد يسرف في تفاصيل لا لزوم لها ، ويعوز أسلوبه الايحاء وقد يلتوى عليه الانصاح الا انه في الجملة قليل الاخطاء . والكاتب نفسه يكره اثره القصصي هذا ولا يقيم له وزنا ، (٤) ولكن ذلك لا يمنعنا ان نشير الى فضل الامين على بروز هذا الفن في العراق وان نكبر فيه اثره في اقتحام ميدانه منذ سنة ١٩٢٨ بما وضع وترجم وكتب من اقاصيص ومقالات .

٥٤ . خلف شوقي الداودي (٥)

كان الداودي مولعا بالادب التركي عامة وبالقصة خاصة ، وكانت

(١) نشرتها جريدة السياسة ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٣١ .

(٢) نشرت بصحيفة البلاد ، العدد ٤١٤ ، ٢٩ آذار ١٩٣١ .

(٣) نشرت بصحيفة السياسة ، العدد ٣٨٧ ، ١٩٣١ .

(٤) من مخطوطة بقلم الكاتب محفوظة لدى الدكتور محمد يوسف نجم .

(٥) لم يقتصر نشاط الداودي على ترجمة القصص التركي بل ألف وترجم كتباً في موضوعات مختلفة مثل "وساوس السلطان عبد الحميد" و"قضية فلسطين" و"نقدات صلا نصر الدين" و"زاد المسافرين ولهفة المقيم

تتيح له ثقافته التركية الاتصال الدائم بانوار مشاهير الكتاب الروائيين امثال رشاد نوري ، وارجمند اكرم ، ووالا نور الدين وغيرهم .
قال : "كنت اجد فيما اقرأ من قصص لذة لا اجدها في غيرها ،
واشعر معها بعمرة وعظه عظيمتين ونقد ونكتة مستلحتين ، لا اشعر بهما
عند قرائتي القصص الفرنجية " . (١)

"كما حاكمي اسلوب ارجمند اكرم الساخر في كتاباته الصحفية فانخذ
شخصية رمزية لموظف هندي ، وراح يدير على لسانه احاديث هزلية بالعربية
التي يرطن بها موظفو الاحتلال تعرض فيها لمشاكل البلد واضعا لها حلولا
عقيمة مضحكة تكشف الستار عن مستوى عقلية اولئك الموظفين " . (٢)

والحاضر " .

"كما اشتغل بالصحافة زمنا ليس بالقصير فتولى تحرير جريدة الاوقات
البغدادية في بغداد والاقوات العراقية في البصرة ، ثم اصدر مجلة
شهرية بحجم صغير في كانون الثاني سنة ١٩٢٣ باسم شط العرب ،
اوقفتها السلطات بعد العدد الاول ، استأنف نشرها في آذار سنة
١٩٢٤ بصورة مجلة اسبوعية ، لم يكن نصيبها خيرا من الاولى حيث
ضاعت ~~بها~~ السلطات ذرعا ^{بالحملة} للحملة الصحفية التي تزعمتها شط العرب
لاخراج الموظفين الاجانب ، فعطلتها " .

من مقالة للاستاذ خبري العمري في ذكرى الداودي نشرتها
صحيفة الطريق بعددها الاربعين ، السنة الاولى ، ٢ شباط ١٩٥٤ .

(١) خلف شوقي الداودي ، "قصص مختارة" ، ص ٣ .

(٢) خبري العمري ، "خلف شوقي الداودي" ، جريدة الطريق ، العدد

وقد سرى تأثره بالادب التركي الى ما وضع من اقاصيص مترفة تصد بها الى الدعاية واللاهوت واعرض فيها عن الجدل المرير الذي كان يتناوله في مقالاته الصحفية .

نجد في اقصوصته "المخابر المحلي" (١) مراسلا كسولا لم يأت باى نبأ لصحيفته منذ زمن ، وقد عاتبه رئيس التحرير على ذلك قائلا : ان البلد ملئوا باخبار هامة تعج فيه قضايا الانتحار والانفلاس والقتل . وغادر المخابر ادارة الجريدة يدعو الله ان يمن عليه بخبر ، وذهب الى مقهى وجلس الى جانب رجل كهل غارق في تفكير عيق فخيل اليه ان الرجل في مشكلة خطيرة وانه لا بد مضم على الانتحار واخذ يشجعه على تنفيذ فكرته ، فظهر بعدئذ انه مثله صحفي يبحث عن نبأ مثير فوجد في فكرة زميله - الانتحار - خبر موضوع يرضى به رئيس التحرير . يصعب ان تتصور ان مثل هذه الحوادث قد تقع في بيئة الداودي ، ولكنه بفتيس المثل من قراءاته الكثيرة في التركيبة نسج على منوالها بعض اقاصيصه الموضوعة ، لذا جاءت لا تصور احاسيسه وافكاره - في ميدانه الصحفي - الذي كرسه لنقد الاوضاع الاجتماعية والدعوة الى الاصلاح . ومع ذلك فلا ينكر ما فيها من حسن فكاكي يشجع على القراءة . ومثل ذلك "حسيبة" (٢) تمثل شأبا قد اولح بقراءة الروايات الغرامية وكتابتها وامتاز بقدرة على اختلاق الوقائع الغريبة ونسبتها الى نفسه ، وقد حدث رفاقه بوحدة من تلك الوقائع : يقول فيها انه رأى فتاة حسناء في السينما اشعلت نار الحب بين جوانحه فراح يتخاطب معها بلغة العيون ، ثم تبعها وقدم لها بطاقته فتقبلتها ووعدته بالمراسلة . وجاء منها كتاب يفيض حبا وهياما وفيه موعد باللقاء "بباب المعظم" . وفي الوقت المعين كان هناك ينتظر فرأى رفاقه من بعيد يراقبون حركاته ، فهاله الاخفاق امامهم ، وتغنى على الله ان يرسل اليه من يشاء ، وكان الله استجاب دعاء فجاءت فتاة تسأل

(١) نشرت بصحيفة السياسة العراقية ، عدد ٣٨٠ ، ١٣ شباط ١٩٣١ .

(٢) نشرت بجريدة البلاد ، العدد ٦٩ ، كانون الثاني ١٩٣٠ .

عن شخص اسمه حسين فريد، فسرعان ما ادعى انه هو بعينه ، فانها ^{عليه}لست شتما وسبا وبهتت بهوجهه لانه كتب لمن لا يعرف من بنات الناس ، ولما التفت ناحية اصدقائه ، ابصر البشر وامارات الفوز طافحة على وجوههم .
وهذه الاقصوة لا تختلف عن سابقتها من حيث الروح الفكاهية والعناية بالمفاجأة المنطوية على السخرية ، كما انها لم تسلم من بعض التأثيرات الغربية كاستعمال البطاقات وهي عادة لم تنتشر كثيرا في ايام الكاتب .

لم يضع الداودي كثيرا من الاقاصيص ، اذ كما اسلفت كان منصرفا الهمة الى الترجمة والانهماك في العمل الصحفي لهذا يتعذر ان يصدر عليه حكم صحيح في هذا المجال .

٥٥ يوسف رجب

يوسف رجب من المع كتاب العراق قوة اسلوب ، وتدقق حيوية واثقاد حماس ، "لم يكن محترفا بأدبه ولم يستخدمه للرياء والنفاق والغش والخيانة ، انما اتخذ قلمه الحديدى سلاحا ماضيا لنجدة الضعفاء المساكين والبهوئاء المنكوبين " . (١)

"ولقد واكب الحركة الوطنية ورافقها في مختلف ادوارها ، وساهم فيها بنصيب وفير ، ولم يهجن عليها حتى بنفسه وحياته فضلا عن قلمه ولسانه ، ولاقى في سبيلها ما يلاقيه المجاهدون الابرار ، والمخلصون الاحرار من عنت وارهاق ، وجفاء وحرمان " . (٢)
"ولقد اصدر رجب عقيب ايام الثورة العراقية جريدة النجف ،

(١) توفيق الفكيكي ، "الاديب الشهيد " ، مجلة الغرى النجفية ، العددان

٢٢ و ٢٣ ، السنة الثامنة ، ١٩٤٧ ، ص ٦ .

(٢) محمد مهدي كبه ، "الفقيد العزيز " ، مجلة الغرى النجفية ، العددان

٢٢ و ٢٣ ، السنة الثامنة ، ١٩٤٧ ، ص ١٠ .

ناوأت السلطات المحتلة باعنف اسلوب ، وحدث رجة في الاوساط الادبية بما كانت تنادى به من الدعوة الى الحديث الطريف ، مما يستجد في عالمي الفكر والادب . . . ولقد اكتشف الاديب العراقي المعروف ابراهيم صالح شكر في رجب القدرة على تسجيل الظواهر الشائنة في حياة كثير من الساسة والادباء ، فحثه على المضي في السبيل التي كان يسلكها .^(١) وفي جريدة النجف هذه تجلت النزعة الاصلاحية الكامنة في نفس يوسف ، وظهرت بوادر الاراء الاصلية القارة في اغوار روحه وتكشفت نفسه عن مشاعر جديدة مترعة بكل خاطرة اصلاحية يفتقر اليها العراق .^(٢)

وعلى الرغم مما كان يملكه رجب من مقدرة بيانية فذة ، اذا قيست بكتاب القصة العراقيين ، فانه جعل من كتابة الاقصوصة وسيلة للانفصاح عما يريد من آراء ، وينشر من مبادئ ، ويحقق من ثورة ، ولو انه كان يعي فنية القصة لانتج اعلى الانوار واخلد لها ، لما كان يجيش في نفسه من حسن وطني صارخ ، وما كان يتميز به من احاطه باغوار النفوس وثورة على التقاليد والعقبات التي تقف في سبيل هذا الوطن نحو الحياة المثلى .

في "نجم البقال"^(٣) ، نجد مثال النائر السحط لقيود الاستعمار ، لم يمنعه كبر سنه من المشلكة بالواجب الوطني . يصف رجب هذا النائر قائلاً : "والحاج نجم رجل قد تكيف على الستين ، وقد اسرع اليه الهرم اسراعاً وهو ضعيف الجسم هزيله متوسط القامة ، اسمر الوجه ، وخطه الشيب واشتعل به رأسه ، وكان يخضب لحيته "بالوسه" ومظهره ومخبره كله ورع وتقوى . وكان الحاج نجم قد اتخذ حانوتاً له في رأس السوق الكبيرة في النجف ، يبيع فيه الرطب واللبن وبعض الخضراوات . وانظر الى الحاج نجم

(١) عبد القادر البراك ، "اعلام الشرق" ، ص ٧٢ .

(٢) مسعود المعجلي ، "يوسف رجب ، فقيه الادب والعرب" ، ص ٢٨ .

(٣) يوسف رجب ، "نجم البقال" ، نشرت بجريدة الانباء البغدادية ، العدد

الثاني ، ١٠ / ٧ / ١٩٥٤ ، السنة السادسة عشرة تحت عنوان "ثورة شعب" .

الهادئ الوادع كيف ينقلب في ليلة زعيم ثورة وقائد انصار ، ليغزو السراى المحصن احسن تحصين والمدجج باقوى عدة وسلاح ، وكيف السبيل الى اقتحام السراى وعيون الحراس يقظى ، فلا بد من استخدام الحيلة . . . وعند منتصف الليل حين يغلب الكرى عيون الخلبين من الناس يرتدى الحاج نجم وبضعة عشر كنيا من افراد جمعيته ثيابا رسمية حكومية ، ثم انكبوا على اصلاح بنادقهم وهي محشوة بالرصاص ، وامتحان خناجرهم وهي قريبة عهد بالعقل والشحذ ، وبدأوا في دخول السراى بعد ان اعلّموا الحراس انهم جاؤا برسالة مستعجلة من الحاكم السياسى ، ففتحت له الباب ، وانقضوا على الحراس واقتحموا غرفة القائد فقتلوه برصاص البنادق ، ثم انسحبوا بعد ان سحبوا معهم قتيلا سقط من بينهم وجريحا .

اما الحاج نجم فانه اسرع الى دكانه ، ثابت الجأش ، صلب الحزم ففتح كعادته ، وابتهامته هي هي ، لم تفارق حياه ، كان الاهوال صناعته ، لا التمر والفاكهة حرفته ، وامسك بيده جريدة نخل يذود بها الذباب المجتمع على تمره ، وكان كانه احد الغافلين ، جاهلا بما اهاج الناس وانزعهم ، سائلا مثل غيره اسباب الطلقات النارية ومن الفاعل ؟ ولم هذا الارجاف في المدينة وما بال الحكومة تطلق المدافع ؟

لا يكتفى الكاتب بذلك بل يضى ليربط بقصة نجم ثورة النجف كلها حيث يمتشق الناس اسلح ليقفوا في وجه الانكليز ، يذودون عن مدينتهم العزلاء وعن كرامتهم المهدورة ضد من يريد الاعتداء عليها . فيضيع على نفسه وحدة الاثر ويجعل من اسلوبه تقريريا همه سرد الحقائق الكثيرة المزدحة في مخيلة الكاتب ولكن اثر ما يكتب رجيب بليغ في النفس يحمل القارئ على الحماس والثورة .

وهو في نتاجه الاخر قريب من هذا المنوال . ففي " ينتقم لشرفه " (١) نجد الشيخ يهيب بابتته ان توظف اخاها لياخذ دوره في الحراسة ، ولكنه

(١) نشرت بمجلة الاعتدال النجفية في عددها السابع ، آب ١٩٣٣ .

لم يجد احدا يلبي نداءه وقام يتحسس فراش الفتاة فلم يعثر لها على اثر .
نهض هو وابنه يقفوان الاثر حتى وجداها بين احضان عشيقتها ، يتغازلان
فاجهزا على الفتاة وتمكن العاشق من الهرب ، لكن الشرطة استطاعت ان
تقبض عليه .

ولا شك ان تلك صورة من الواقع لم يدخل عليها تحريفا ، كما
اسرف في التفاصيل وبذلك حرم اسلوبه النشاط والتأجج المطلوبين فسي
الاقصوة .

ومثلها " ذبيحة " (١) يحدد لها الوقت فيقول انه اصيل يوم ٢٨
من آذار ، والمكان وهو شارع ابي نواس ، ويصف الناس الذين كانوا كعادتهم
في نزواتهم ومرحهم على هذا الشاطئ المختلط بالجنسين المتصارعين :
لطيفة وخشنة ، واذا بالمارة السادرة الذاهلة تلتفت قسرا الى الامر الواقع
والحدث المفاجئ ، والضحية المضرجة بدماؤها ، فراعها ما رأت . . راع الجمع
شبح جثة في النهر المصطخب تراقص الامواج الهادرة ، ويلتفت اليها الكاتب
ليخاطب الغانيات المستهترات ويقول " فلا تفرنكن اقوال الشعراء وبيان
الادباء ، فان للحرية حدودا " .

ذلك روح المقالة واسلوبه ، واغلب الظن ان الكاتب لم يرد بها
الا هذا اللون من الفن لذا تجده ختمها بالوعظ والتحذير . وحين يحدثك
رجيب ، حديث " الشيخ قادر " (٢) ، انما يريد ان يذكر اي ظلم كان يظلل
العراق في العهد العثماني ، وكيف كان دستور الدولة خاضعا للرشوات ،
وانظمتها نهب المحسوبية والاثرة والطمع . وقادر هذا يدبر مقهى صغيرة
يرتادها صيادو السمك العمازيون ، كان في العهد العثماني " جاویشا " على
رأس اربعين من فوارس الجندرمه ، ارسله القائد ليراقب حركات الشيخ ،
ولكن الشيخ هذا عرف كيف يستميل القائد بما قدم اليه من مال ، فامر القائد

(١) نشرت بمجلة الاعتدال النجفية في عددها العاشر ، السنة الرابعة ،

مايس ١٩٣٨ .

(٢) نشرت بمجلة الاعتدال النجفية ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، آذار ١٩٣٥ .

"قادرا" ان يكتب عنه تقريراً لامعاً ليثبتته في مشيخته ، ولكن منافس الشيخ ادرك الامر فقدم مبالغ اكثر مما قدم منافسه ، وتقع الطامة على رأس قادر ان يرسل اليه القائد يطلب حضوره ولما مثل بين يديه انهال عليه شتماً وتقريماً لانه كتب تقريراً جيداً في حق الشيخ وهو قاطع طريق مع العلم انه لم يكتبه الا بامر . وليس في هذه الحكاية جديد ، انما هي كسابقاتها مبنى ومعنى .

كان رقيب يكتب باعصابه المرهقة ويذيب روحه في ثنايا سطور ، لذا كانت اثاره تهز النفس هزاً ويتتبعها المراقبون بشغف لا مزيد عليه ، الا انه - كما اسلفت - لم يكن له الصبر الكافي على كتابة الاقصوصة والترام قواعد الفنية ، فكان ذهنه المفتق يتجه الى كل جانب بما يزخر من صور ومرئيات تتراحم على قلمه البارح فلا يجد بداً من ان يسجل كل شيء ، يستهل الاقصوصة كاحسن ما تكون ، فيوحي الى نفسك ما يشاء ، ولكنه سرعان ما ينجذب الى الواقع الحرفي ليسرد عليك الحوادث بأسلوب تقريرى فيتلاشى الهدف الفني بين المقالة والاقصوصة .

٥٦ . لطفي بكر صدقي

مارس لطفي الخدمة العامة عن طريق الصحافة ، ولكن الحظ كان يقف له بالمرصاد معاكساً ، فلم يصب اى نجاح فيها ، كما تقلد مناصب مختلفة في وزارة المعارف العراقية . وكان بحكم صداقته لعمود السيد وملازمته له ان تأثر بيله الى كتابة الاقصوصة ، الا انه لم يستطع ان يصل الى ما وصل السيد اليه من غزارة ^{النتاج} ^{النتائج} وبعد الصيت وانهماك في خدمة الادب . ونتاجه القصصي على قلته ضيق الانق معنى الخطوط باهت الالوان يكاد يدور حول موضوع واحد هو الحب والخمرة . في "جنون الحب" (١) يصور صديقاً افراط في الشراب ، وبدأ يتحدث الى نفسه قائلاً "لا ادري

(١) نشرت بصحيفة الاخاء الوطني ، العدد ١٨ ، ٢١ آب ١٩٣١ .

ما بي ، انما اريد ان القاها والا جننت حقا .. لقد اشعرتني نظراتها
الطافحة بعناء الحياه وهناءة العمر ، وقد تبعتها وانا مذهب اللب زائغ
النظرات ولولا بقية من امل ، لكنت اليوم من سكان الابد المظلم .
وهكذا يمضي ذلك السكران يجتر ذكرياته عن حب ، ملك عليه
اعصابه الا ان الكاتب لا يستطيع ان ينقل الينا صورة واضحة المعالم عن
ذلك الحب كما يخفق في رسم الاشخاص وتعوزه القدرة على تعميق التحليل
واطالته فلا يقدم لنا غير صورة مبتورة ما تزال بحاجة الى الكثير من الجهد
والالوان لتستكمل عناصر الحياة .

وتلك طريقته في هذا القليل الذي كتب .

"نهاية حب" (١) اقصوصة اخرى تصور كيف انتهى حب بين اثنين
بانتحار الحبيب . وقد يبدو هذا الانتحار مستغربا اذ لم يتم بينهما نزاع
وكل ما طلبته الحبيبة ان يتركها لانها بحاجة الى الراحة ، وعلى اثر
خروجه سمعت صوت اقدام تسرع الخطى اعقبها تدهور جسم ولما اطلت
من النافذة رأت "كمالا" تغمره الظلمات ، فسقطت على الارض ، واحست لأول
مرة بفراغ في قلبها .

اما "سكران" (٢) فتمثل الحياة الحائرة التي يحياها اولئك المدمنون
على الخمرة ، يصرفون كل نشاطهم في السهر والعبت دون ان يعرفوا
للحياة العائلية معنى .

وفي "صوت الحب" (٣) يصور لنا كيف نما الحب حتى اصبحت
الحبيبة قطعة من نفس الحبيب ، وامترجت روحهما فاسلمته نفسها وجسدها ،
واسلمها نفسه وجسدها ، وافاق ذات يوم فاذا هو وحيد بروحه وجسمه .
ذلك هو الموضوع المفضل الذي كان لطفي بكر صدقي يجنح الى

(١) نشرت بصحيفة الاخبار ، العدد ٤٣٥ ، سنة ١٩٣١ .

(٢) نشرت بصحيفة البلاد ، العدد ٤١٦ ، سنة ١٩٣١ .

(٣) نشرت بصحيفة السياسة البغدادية ، العدد ٣٨٨ ، ١٩٣١ .

الكتابة فيه ، لم يوفق ان يخلق على ابطاله الحياة التامة التي تعج بالحركة والنشاط بل تركها اشبه بالدمى الخشبية لما ران عليها من جمود ، قدمها امثولة وعبرة للمعتبرين ، ولكن الحق اقول ان اسلوب الوعظ غير ظاهر تماما كظهوره في اساليب بعض معاصريه .

٥٧ عبد الحق فاضل

زميل ايوب في تحرير مجلة "المجلة" الموصلية ، كتب فيها جملة غير قليلة من الاقاصيص والمقالات . وقد توج نتاجه الادبي بمجهود فذ وقي فيه ايما توفيق هو ترجمته "لرباعيات الخيام" (١) "كشف فيهما النقاب عن افكار الخيام وثوراته الصاخبة على السماء والدهر والمجتمع والوجود بدراسة رصينة وبترجمة دقيقة للرباعيات ، ترجمة حافظ فيها على الاصل وتقيد فيها بالنص" (٢) "تظاهر كل ذلك طاقة شعرية ، وجدت في الخيام منفذا للتعبير عن القوة الكامنة" (٣) .

اما في فنه القصصي فهو يبتعد عن منحى ايوب ويختط لنفسه خطة مستقلة ينعلم فيها التطرق الى الامور العامة ، ويتلاشى فيها الظل الشخصي ، ويتقلص الثوب النفضاض الذي يخلعه ايوب على اقاصيصه .

نجد في "مزاح" محمودا يحب زوجته سهاد كثيرا ، كان لا يسح لها ان تخرج لانه لا يريد ان يستأثر بها احد غيره او ان يحرم من التمتع بالنظر اليها لحظات . . وقد سح لها مرة ان تعود صديقة لها مريضة ، واذن لها بالمبيت اذا شاءت ، ولكن الهواجس تأخذ عليه سبيل النوم ،

(١) يقع الكتاب "ثورة الخيام" في ٣٦٤ صحيفة ، اخرجته لجنة التأليف

والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٢) قلم التحرير ، "ثورة الخيام" ، مجلة الكتاب ، ص ١٩٩ ، سنة ١٩٥٢ ،

الجزء الثامن .

(٣) محمد عبد الغني حسن ، "ثورة الخيام" مجلة الثقافة بالعدد ٦٧٧ ، سنة ١٩٥١ .

فيظل مؤرقا حتى يبلغ به التعب اشدّه ويفرق في نوم عميق ، يحلم خلاله بان سهاد قد هجرته وصاحبت شابا اخر ، مكثت عنده ستة ايام ، ثم يتصور انه يلتقي بها مصادفة في الشارع مع عشيقها الجديد ويدور بينهما عتاب طويل تتوسل اليه ان يصنع عنها حتى تستطيع العودة اليه .

وفق المؤلف في رسم الغيرة رسما دقيقا وحللها تحليلا بارعا علمنا معه ان غيرة الرجل لا تقل عن غيرة النساء ابدا . بل قد تزيد احيانا ، ولكن يؤخذ عليه استطراده الى وصف النجوم واسرافه في تلك المحاضرة الطويلة عن الاعتراف بالاختفاء وطلب المغفرة . اما " ايللا " طفلة في الخامسة من عمرها ، وصفها الكاتب وصفا عاطفيا سرده على لسان امها المفجوعة . . لم تحتل الطفلة ان تجد الى جانبها اخاها الصغير فقتلتها الغيرة . ويختم الكاتب اقصوصته بقوله " وهكذا انتحرت تلك الكرامة البريئة المؤداة " . وتلك صورة ، افاض عليها الشيء الكثير من العواطف المتأججة ، وليست هنالك نفس بشرية لا تخفق محبة وعطفا على الطفل وجميل تصرفاته في البيت ولكنه كموضوع لا قصوة قليل الصلاح وبخاصة اذا صب في السياق نفسه الذي عمد اليه المؤلف دون ان يستهدف من وراء ذلك غاية كان يحل عاطفة ليستكشف خباياها ، او يروى لنا كيف يمكن ان تهدد وتروض عاطفة من هذا النوع .

ويلاحظ ان القاص كان مسرنا في وصف الطفلة خلق عليها صفات الكبار فكان في ذلك مفتعلا وغير صادق اذ كيف يتصور ان طفلة في الخامسة من عمرها لا تبخل على احد بنصيحة ^{على حصة} كما ان مناقشاتهما في مستوى ارفع من مستواها العقلي ، وما بدا من عاطفة الام نحو طفلها الصغير مستغرب وغير واقع اذ خلا حديثها عنه من لهجة الحنان .

وفي " اله الحكمة " نجد جانيس شابا ذمت الطباع ، وكان ايضا ذكي الفؤاد ، غزير المعرفة ، عالما باسرار الحياة والموت ، خبيرا باسرار النفوس ، نفوس البشر والالهة على حد سواء ، ولكنه كان دميم الخلقة جدا

وجهما جدا ، وكانت تقاطيع وجهه بذئنة وسخيفة حتى ان قبح صورته الخارق
تخطى كل مزايا قلبه وعقله الخارقة ، وكان مكروها من الناس وبخاصة النساء . .
وقد وقع في حب الصبية "سوسو" ، ولكنها كانت تقابل حبه بازدراء . ولم
يكن يعرف جانيس سر اسئزاز الناس منه حتى رأى وجهه في الماء ، فعلم
شدة قبحه . وذهب الى الالهة في اجتماعهم السنوي وشكى لهم امره ، فرقوا
له وخلقوا منه شابا جميلا ، وقد خلّد آله الفن شكله الاول في تمثال من
المرمر ، كما ان آلهة الحب وقعت في غرامه بعد ان سوّته في تلك الصورة
الجميلة بمعونة اله الفن ، وقد فقد من جراه ذلك نصف حكيمته . وامضى العام
كله يغازل اجمل فتيات المدينة حتى ابعد منها خوفا من سحره وفتنته . وعاد
في العام القابل وطلب من الالهة ان تصيره حمارا ففعلت ، وكان اثناء ذلك
قد ملّ اله الحكمة حياة الالهية لانهم يخلقون البشر ويجهلون حكمة القلب
البشري واسراره ، وذهب ولم يعد الى حضيرة الالهة ابدا .
اما جانيس فقد جاء في العام المقبل وطلب ان يكون الها فاجيب
الى طلبه ورفع الى مرتبة اله الحكمة الشاغرة .
لا ريب عندي في جمال تلك الاسطورة (١) التي اجاد الكاتب سردها

(١) قال الدكتور محمد مندور "في الميزان الجديد" ، ص ٨ ، ما يلي :
"استطاع الكتاب الاوربيون ان يبدعوا اروع الآثار الادبية مستقنين مادتها
من التراث القديم ، فاليونان اتخذوا من الاساطير الشعبية التي كانت
شائعة في القبائل الاندو اوروبية الاولى مادة لاجل واعمق ما خلق البشر
من ادب وتفكير ، وخلفهم في ذلك اللاتين ثم الفرنسيون في ادبهم
الكلاسيكي . والامر لا يقف عند الادب ، بل يمتد الى كافة الفنون . . وفي
متاحف العالم اجمع لوحات لاعداد لها وتماثيل نحتت في كل الازمنة وفي
مختلف البلاد بوحى من تلك الاساطير ، وموضع العبرة فيما فعل الكتاب
الاوربيون هو نفث الحياة في اساطير الاولين وتقريبها من حياتنا
وتسخيرها لفهم الانسان ."

باسلوب طبيعي متدفق يشيع فيه الظرف وتتخلل سطورہ الدعابة ، وجميل ان يلتفت عبد الحق الى هذا اللون من الادب فكم من حقائق مؤلفة حجبته ظروف قاسية ، ولكن الاسطورة استطاعت ان تظهرها كاحسن ما يكون الظهور وان تتناولها من جوانبها المختلفة لتشبعها بحثا وتحببها والكاتب بمنجاة من يد الطفلة والمعارضين مطمئن الى حريره وأمنه ، ولكن مما يؤخذ على الكاتب ان مراميه يشوبها بعض الغموض "مختفية في ضباب الاسطورة وخلف رموزها ، ومن الواجب تقريبها كمن مفهوم القراء" .^(١) لستم الفائدة منها ، واما الركض وراء المتعة الفنية المجردة فارى انه تعب لا طائل تحته .

اما " لماذا انتحر " فتصور شخصا ينتحر لشذون طبعه و غرابة اطواره ، فهو يعتقد انه غير شريف - وان كان من اشرف الناس - وان كرة الارض لم تحمل شريفا بالمعنى الصحيح حتى وبالمعنى الذى يفهمه الناس ، فالعالم اراذل وانذال ، لقد كانت اعماله شاذة بالقياس الى تقاليدنا ونمط تفكيرنا ، أما هو فكان يرى من الحياة ما تعودنا الا نراه ويحس فيها ما لا نحسه ، كان كالنسر المخلق يرى الحياة يجمعوها وسعتها ونحن كالخلد لا نرى غير التراب وغير انفسنا .

لقد اخفق القاص في تصوير شخصية المنتحر فجاءت تخيم عليها ظلال كثيرة ، ومثل ذلك الدوافع التي كانت تصطرع في نفسه حتى ساقته الى الانتحار ، فقد تشابهت مع بعضها لدرجة صعب معها اكتشاف الدافع الاكبر الذى كان يجره الى الهاوية . ولا يحمل الموضوع اى مغزى ، وقد جرى سياق الاقصوة على شكل محاوراة سريعة بين اثنين ، كاني بالمؤلف اراد ان يعرض مشهدا مسرحيا ، لكن هذا المشهد جاء خاليا من الحركة حائل اللون يشكو انعدام العمق .

(١) محمد مندور ، " في الميزان الجديد " ، ص ٨ .

ومما يؤسف له ان واجبات الوظيفة قد استأثرت باوقات عبد الحق كلها حتى تضاعف نتاجه ان لم اقل قد تلاشى .

٨ . سعيد عبد الله الشهابي

كتب الشهابي مجموعتين من الاقاصيص سقى الاولى "مجموعة اقاصيص موضوعة" وسقى الثانية "زهر البنفسج" . وزهر البنفسج هذا لم يكـد يرى النور حتى ذوى ، فقد قدر لصاحب المطبعة التي قام بطبعها ان تخترمه المنية غداة الانتهاء منها ، فتنازع الورثة وكان الضحية الاولى زهر البنفسج .

يكتب الشهابي اقاصيصه على طريقة "السالف" مستمدا مادتها من حوادث الزمان ووقائع الحدثن دون ان يخضعها لقواعد الفن القصصي وبهذا حرمت من كل اثر .

في "كن جنديا" يرينا اما تحت ايها على الاشتراك في الحرب والذود عن الوطن اسوة بابيه الذي سقط في ميدان الجهاد شهيدا . ويذهب الابن ملبيا رغبة امه الى جنـاق قلعة ليقتل هنالك ومن ثم تتطوع الام ممرضة في الجيش ولكن قنبلة تقتلها هي الاخرى . لست ادري ما الذي حدا بالوالف ان يجعل ميدان الحرب جنـاق قلعة وما شأن العراقي بجنـاق قلعة وغيرها ، واغلب الظن ان القاص سمع هذه الحكاية فلم يستطع خياله القاصر ان يخرجها الا في هذه الصورة المشوهة ، اما الدرس الوعظي الذي اراد ان يلقيه بقوله "كن جنديا" فلم يوفق اليه ، اذ ان موت الانسان دفاعا عن امبراطورية هرمة فاسدة لا يعتبر تضحية ، واذا اضفت الى ذلك ضعف الاسلوب وفتوره تجلى لك مبلغ اخفاق الاقصوصة .

اما "الغريب" فتتناول حكاية اسرة بكاملها ، كبر اولادها يتزوج الابن البكر ثم يموت الوالد ، وتستدعي الحكومة العثمانية الابن المتزوج الى الخدمة العسكرية ، وتنقطع اخباره وتطول غيبته ، فلم يجد الابن الثاني

بدا من الاقتران بزوجة اخيه ، وتمضى سنوات واذا بالابن الاكبر يعود حيا ليجد زوجته بين احضان اخيه .

وهكذا يعرض القاص لنا سلسلة حوادث كانه يضع تاريخا لهذه

الاسرة دون ان يقف عند امر واحد ليستطيع ابرازه بصورة فنية تهمز النفس ، فهذه الرقعة الواسعة التي جال فيها الكاتب وصال تخرج اقصوصته هذه من ميدانها الضيق الى ميدان اوسع وارحب هو ميدان القصة القصيرة Novelette ولست اعنى انه اصاب توفيقا في هذه الناحية فاسلوبه التقريرى القاتر لا يتيح له المجال ان يخرج اثرا فنيا ذا بال .

وهو في "ساكن ذلك القصر" يصور رجلا لثيما يسرق اتعاب الفقراء فلا يدفع اجور مستخدميه . ويكشف في "نهاية شقي" عن فوضى الامن في العهد العثماني . وفي "انقلاب" يصور شابا كان متدينا ولكنه ينقلب فيستحل ما استحرم بالامس .

ولن تجد للشهابي تبديلا في جميع نتاجه من "مجموعة اقاصيص موضوعة" .

٩ . جعفر الخليلي

للخليلي ماض صحافي حافل ، فقد سلخ من عمره نحو ربع قرن في خدمة صاحبة الجلالة ، اصدر اول ما اصدر جريدة الفجر الصادق ثم جريدة الراعي ، وكان كلما انطوت واحدة فتح الاخرى ، وهو ما فتى مشرقا على اصدار جريدة الهاتف منذ عشرين عاما ، ولم يكتب لصحيفة عراقية سياسية وغير سياسية مثل هذا العمر الطويل .

كتب الخليلي في القصة والافصوصة ، وهو في منحاء قريب الشبه بأيوب ، اذ يتخذ من حوادث البلد ورجالها مضمونا لقصصه ، بفارق واحد : هو ان الخليلي لا تهمة السياسة بقدر ما يهمه معتقدات العامة ، تلك المعتقدات التي رسخت في الازدهان كنتيجة لتغريب الدجالين او لسوء فهم شرائع الدين وللجهل المسيطر على العقول منذ عهد بعيد ، فغدا الايمان بالسحر

والجن عقيدة ملازمة ، خلفت اسوأ الانار في حياة الناس .

لا يعنى الخليلي العناية اللازمة بفنية القصة ، لذا كان نتاجه في الغالب الاعم خلوا من شروطها ، تغلب عليه البساطة والسهولة الصحفية ، وقد تعثر بين حين واخر على ضعف في الاسلوب والتواء في التعبير مردهما السرعة التي يقتضيها عمل الصحيفة واخراجها في مواعيدها . وخير ما نستطيع ان نطلق على مجموعته الاخيرة " اولاد الخليلي " انها حكايات "سوالف" تستهدف غاية تعليمية يستمد منها العبرة والعظة .

في " البركة " يعلمنا كيف ان الدنيا ضاقت برب العائلة الكبيرة حتى برمت زوجته بالبركة التي يطيل الزوج التحدث عنها وهي تؤمن ان الحيلة هي اساس الحصول على لقمة العيش . . آمن الزوج - بعد لاي - بهذا الرأي فادعى ان " الخضر " طاف عليه في المنام يدعوهُ ان يبني في بيته " دكة " للزيارة . فتقاطر اليه السذج من الناس يطلبون البركة ويقدمون اليه الواجبات المعتادة في امثال تلك الزيارات .

يتحدث ابناء العراق بهذه الحكاية يسوقونها كدليل على استغلال مدعي التدين للطبقات الجاهلة . يدخل القاص في تفاصيل كثيرة فينتقل متكلماً عن عمل الزوج كصحام وعن كيفية صناعة الفحم وعن مجي " الحرب " وارتفاع الاسعار فارتفع بذلك سعر الفحم الى غير ذلك من تفاصيل . وليس فسي الاسلوب التأجج المطلوب الذي يرفعه الى مرتبة الاساليب الموحية المؤثرة وفي " ابن وام " يصور مآسي الطلاق ودور امرأة العم في احداث الشقاق والنفرة بين الزوج وزوجه .

وفي " ابن نوكل الكسف " يستغل موسى اعتقاد ذويه بالجن فيحدث في البيت اضطراباً ينسبه الى الجن حتى يفتى احد الخبراء باخراج موسى من العائلة ليستقل بمفرده في بيت مع زوجته وهذا ما كان يريد . ويورد حكاية " اهي الثقافة ام البيئة " ليبين ابهما اكثر اثراً ، يستمدها من عم الزوج وخونها من ان يتزوج بعلمها باخرى فتلجأ الى السحرة وطب العجائز - وهي المثقفة - بعد ان اعيا الاطباء امرها حتى يودي ذلك بحياتها .

وفي "لقمة الحوض" يكشف عن مدى كره بعض الناس للبنات إذ كان الرجل يشد بناته بعد أيام من ولادتهن برميهن في حوض ماء داخل داره . .
 أما "المنذور" فتحكي قصة اسرة "تبتيه" تنذر اذا جاءها صبي ان تسببه في ازقة النجف اذا ما بلغ الخامسة من عمره . .
 وهكذا الخليلي في جميع اقايص الكتاب اطالة واسراف قد تكون في بعض الاحيان ملة الا انها في الغالب ذات طرافة لانها ترسم بصدق وامانة تلك الحوادث الغريبة الآخذة بخناق العامة والتي تؤثر اسوأ الاثر في تطورها وتقدمها نحو الحياة الصحيحة . وهو وان كان ذا اسلوب تقريرى الا ان القارئ تشغفه تلك العقدة البسيطة التي اعتاد الكاتب ان ينهى بها مروياته .

١٠ . ضياء سعيد

اصدر ضياء سعيد كتابا اسماه "صور الحياة" ١٩٣٨ ، كتبها كما يقول في ساعات الفراغ ونشرتها له جريدة الهاتف وكان دافعه الى ذلك تلك الاثار النفسية التي تركتها مطالعته "للقصص المقيدة والروايات الاجتماعية" (١) وهي في الحقيقة خطوط Sketch وملاح وحكايات عبر بها عن صور المجتمع الذي يعيش فيه .
 ففي "صورة صديق" يرسم ملاح غامضة لصديق مبتورة غير مستوفاة . .

وفي "النجف كما اراها" وصف لعادات ومزايا النجف والنجفي .
 "ومن ايام المدرسة" وصف لا يخلو من امتاع للروح الدينية التي يتحلى بها الزميل محمود الذى اطلق عليه الملا محمود لتدينه . واما على "شاطى بغداد" فهي اشبه بالمقالة الادبية ان بعد مقدمة وخواطر يعرج

(١) ضياء سعيد ، "صور الحياة" ، ص ٩ .

ليحكى لنا كيف انقذ فتاة من المبنى .

وفي "ماتت جدتي" يصف ذكريات طفل عن وفاة جدته وبكاء امه عليها، واغرب ما فيها اعتقاده بان وفاة الجد والجدة لا يستحقان الذكر على صحيفة جريدة او كتاب وهو ينهى حديثه هذا بقوله : «اما اليوم فلو اتيج لجدتي الرجوع الى الدنيا ثم موتها ثانيا فلا اظن انها تترك علي بعض الاثر الذي تركته في نفسي وانا طفل» وهو لذلك يعجب من غرابة الانسان ونحن نعجب بدورنا من غرابة عاطفته .

وفي "كيف تزوج الفلاح" نجد حكاية قد خلع فيها على البطل ضروب الشجاعة وملاها بالمصادفات التي تتيج له اظهار شجاعته امام من يحس ويهيئ له لقاء في السوق ينتحيان جانبا يأكلان ما ابتاعته الحبيبة . . وينتهي الاثر بزواجهما .

وهكذا نجد محاولة ضياء سعيد تقف عند مزيج من الصور والحكايات والذكريات والملاح . . يختفى فيها ظل الاقصوصة تماما . . .

الباب الثاني

الاقصوة العراقية بعد الحرب العالمية الثانية

الفصل الاول

عبد الملك نوري

اختلف الكثير في عبد الملك ، كل يرى فيه رأيا معيناً ، ففريق يعتقد ان عبد الملك مسخ مشوه متشابك المعالم ، يستمد اجزاء المتناثرة مما يقرأ لا من تجاربه الشخصية . (١) وفريق اخر يرى ان النتاج العراقي القصصي كله ما خلا نتاج عبد الملك اطحها ، يجب ان يرمى بعياه دجلة او يهمل اهمالاً شنيعاً ، لان منتجها ليس بادباً مطلقاً . (٢)

ولا ريب عندي ان الفريقين قد اسرفا على انفسهما كثيراً ، فبالرغم من ان دعوى الاولين فيها بعض الحق ، الا ان التأثير بكبار الكتاب امر غير محرم ، على ان يضع الكاتب في الاعتبار عوامل البيئة ومقتضيات المجتمع وما يتجاوب مع نفوس القراء وانفعالاتهم .

واما القول باهمال ما سبق من اثار الرواد ومن جاء بعدهم ندعوة ظالمة لا تخلو من سطحية وتعصب .

- ١ -

اقتفى عبد الملك في " رسل الانسانية " اثار ذو نون ايوب فانلقى موضوعاته من البيئة المحيطة وجعلها قطب الرحى في اقاصيصه .

بدأ المجموعة بمسرحية صغيرة اجرى فيها الحوار بسرعة غريبة

(١) محي الدين اسماعيل ، " حول نشيد الارض " ، جريدة لواء الاستقلال ، العدد ١٩٥٤ ، السنة التاسعة ، سنة ١٩٥٤ - ٢٢ آب ، وانظر عامر رشيد ، " شخصيات من نشيد الارض " نشرت بلواء الاستقلال ، العدد ١٩٥٠ ، السنة التاسعة ، سنة ١٩٥٤ .

(٢) فؤاد التكرلي ، " القصة العراقية والدكتور سهيل ادريس " ، مجلة الاسبوع ، العدد ٢٠ ، السنة الاولى ، ١٥ مايس ١٩٥٣ .

وهجمل قصيرة لا يمكن ان يتحدث بهما انسانان في عالم الواقع والا لحسبا في عداد المجانين . يسخر في هذه المسرحية سخرية لاذعة من سلوك بعض الاطباء ناعيا عليهم علاقاتهم المريية بالمرضات والمرضى واعتداهم على عفاف الكثيرات واستهتارهم بواجبهم الانساني .

ولم تكن "مأساة الفن" اقصوصة بل قصة قصيرة Novelette

انتقل فيها بكثرة من مشهد الى مشهد ومن اثر لاخر . صور فيها كاتبها مسرحيا يلح عليه مدير الفرقة ان ينجز كتابة الرواية . ولكن الوحي يستعصي عليه ، فلا يستطيع ان يتمها في موعدها . ويجيء صديقه رسام الفرقة يستنجزه الامر ، لئلا ينفذ صبر المدير وينفذ وعيده في البحث عن كاتب اخر . ثم يلخص لنا القاص الرواية التي يقوم المؤلف بوضعها ، وقد سماها "انهيار رجل" تدور حول شاب موسيقي ، كان يحب فتاة لا تقدر فيه عبقريته ولا فنه بقدر ما يهمها منه جسمه ، فاراد ان ينبذها "لئلا ترسل العقم في نتاجه ، ولكنه يشعر بالجوع الغريزي ويعود اليها صاغرا ويقرر الانتحار امامها لعلها تقدره في مماته اكثر مما قدرته في حياته .

وينتقل القاص الى مشهد اخر هو استعداد الفرقة للسفر الى احدى المدن لتمثيل الرواية التي سبق وان اعلن عنها ولكن الفرقة تفاجأ برفض بطل الرواية السفر ، فيضطر المدير للبحث في المواخير عن بديل لها . ثم تسافر الفرقة وتقوم بدعاية كبيرة ، ولكن عدم كفاءة الممثلة الجديدة يسبب اخفاق الفرقة في مهمتها .

ولا جدال في ان العراق حتى اليوم لم يحظ بفرقة تمثيلية لها

كاتب ومدير ، وتجوب المدن تمثل فيها . . وما جاء به الكاتب يشبه كثيرا تلك الفرق المتنقلة في اوربا التي كانت تتجول هنا وهناك ممثلة ومهرجة في اول نشوء المسرح .

وفي "عمر بك" نجد كهلا مبتلى بازدياد الشخصيه فهو مع الناس وادع لطيف المعشر ، يتحمل تندرهم به وسخريتهم منه ، ولكنه مع اسرته شديد الوطأة كثير الغضب . ويخص ابنة زوجته بالكثير من التعذيب والضرب

يقتنص الفرص لذلك اقتناصا ويشعر بنشوة غريبة ان هو آلمها . وقد كان يتخيل دائما مشانق تحمل فتيات وببده السوط يلهب اجسادها لتسيل الدماء منها غزيرة .

لقد اراد الكاتب ان يحلل نفسية مريض مصاب بشذون جنسي يطلق عليه في علم النفس بالسادية sadism ولا يجد له لهذا الشذون متنفسا الا في تعذيب الاخرين . ويخفف منظر الدماء كثيرا مما يعاني المريض من ضغط عصبي ، ولكي ارجح ان التوفيق قد اخطأ الكاتب حين جعل بطله شيخا طاعنا في السن ، لان الشيخوخة تطفئ غرائز الانسان المنحرفة وغير المنحرفة .

وفي "نهاية الدكتور عزمي" يتهمكم من احد محترفي السياسة الذي يتصل بجهة اجنبية يستمد منها العون ، ويسخر من محاولاته في تقليد هتلر ، والكاتب في ذلك واضح التأثير في منحى ايوب القصصي .

- ٢ -

يبدأ عبد الملك في "نشيد الارض" طورا جديدا ، في الصورة والمضمون ، فبعد ان كان يكثر من الازدواج ويستعير العبارات ، التسي رسخت في ذهنه من مطالعته الادبية اذا به هنا يتجه نحو اسلوب جديد ، يقل فيه ترادف الجمل ، وتنقلص الاخطاء ، وتشيع العامية ، يتكلفها تكلفا وهو يهدف الى تلوين الاقصوصة بلون المحيط الذي يعايشه البطل . وهذا الاسلوب وان طفق يأخذ سمة معينة دالة عليه الا ان القارئ يجد عسرا في متابعة ما يكتب القاص لانعدام السلاسة ولاعتماده ايضا على حديث النفس وتداهي المعاني ، اذ قد يعدى هذا اللون من الاسلوب القارئ فيجد نفسه مدفوعا هو الآخر الى فيض من الشعور بالرغم من ارادته .

وعبد الملك مقل في نتاجه ، فنحن لا نعرف له - خلال عشر سنوات - اكثر من عشرين اقصوصة . الا ان احد اصدقائه المقربين اليه يقول : "ان صداقتي بالمؤلف مكنتني من الاطلاع على اغلب اثاره الادبية ، ويسرت علي

الكتابة عن أدبه القصصي ، ولا سيما ان آثاره كلها ليست متبصرة لمن يريد الاطلاع عليها ، دون الاتصال به ، اضافة الى ان قصصه المنتجة التي لم تنشر ، ومشروعاته القصصية التي يريد تحقيقها خافية على الكثيرين ، لاسباب تتعلق باتجاهات المؤلف واهدافه في الحياة " . (١) ويذكر هذا الصديق نفسه جملة من اقايص عبد الملك كتبها في ظروف مختلفة ومعلقا عليها بقوله : " ان افتتار قصص عبد الملك في بدء المرحلة الى الجو الفني والابداع يبدو امرا طبيعيا ، اوجده عدم اطلاعه على الانتاج الغربي " . (٢)

ولكن هذا النتاج الغربي وان بلغ الذروة كما يقول صديق عبد الملك ، لا يبرر اطلاقا ان نجرى بمهورى الانفاس وراءه ، دون ان نلتفت الى واقع بيئتنا ومقتضياتها ، فينبغي لنا ان نلائم بين تجاربنا المستمدة من صميم واقعنا وبين ثقافتنا واطلاعنا لنخرج ادبا ذا طابع عربي ، نقرأ فنجد آمالنا وآلامنا قد انعكست على صفحاته .

أترانا لو مضينا في خطتنا تلك مقلدين الغرب ، حذوك النعل بالنعل ، كما يقول المثل العربي ، أنكون اكثر من تابع يجرى وراء متبوع يلتقط ما يتساقط هنا وهناك ؟ أم يمكن ان نوصم بشي " آخر غير التقليد وغير الوقوف موقف التلميذ الفجيب من استاذ الكبير ؟ انني لست ادعو الى تحريم الاخذ عن الآخرين بل على العكس يسعدني ان تنفتح ابواب المعرفة الغربية ، ليغدو في مقدور كل فرد عربي ان ينال نصيبه من ثقافات الامم الحية . ولكن حذار ثم حذار ان نمسخ شخصيتنا ونطمس آثار طابعنا العربي ، بل الواجب يدعونا ان نسعى جادين في استكمال عناصر شخصيتنا الادبية ودعم كيائها حتى تسوقمة عالية بين قمم الادب العالمي . وعبد الملك اول كاتب

(١) فريد السعدى ، " مؤلف فطومة " ، الاديب ، الجزء الاول ، السنة

الثامنة ، كانون الثاني ١٩٤٩ ، ص ٥٣ .

(٢) المرجع السابق .

عربي تتلمذ على جويس(*) وقد شغفه بنوع خاص كتابه "يوليسيس"، (٢) از
اعاد قراءته مرات ، وخرج منه بطريقة جديدة نسج بها اقايصيه في "نشيد
الارض".

يعدم القارئ - في "نشيد الارض" - لاول وهلة قلة الحركة ،
فالاھتال فيه جامدون ، يعيشون في عالم اللاوعي ، يطلقون لخيالهم العنان
يسبح في عوالم بعيدة او قريبة ، تتوالى الصور في اذهانهم متكاملة وغير

(١) عبد الله شاشه ، "الكيان الفني لجيف معطرة" ، الاديب ، الجزء السادس ،
السنة الثامنة ، سنة ١٩٤٩ ، ص ٦٦ .

(٢) ولد جيمس جويس في دبلن سنة ١٨٨٢ . وقد خلقت ايرلندا
بوضعها المتقلقل آنذاك اعق الاثار في نفس الفتى جيمس ، عاش معظم
حياته متنقلا في اوربا بين ايطاليا وسويسرا وفرنسا والنمسا ، قاسى الفقر
معظم دهره . درس في مدارس الكاثوليك ونشأ على ايديهم ولكنه تحول
رويدا رويدا - كما تقول دائرة المعارف البريطانية - من كاثوليكي متدين
الى متعصب بشدة ضد الكتلكة ، كان ذا معرفة واسعة باللغات والموسيقى ،
اشتغل بالتدريس زمنا وبالرغم من تعنت الناشرين معه وما اوقع من
حجز على مؤلفاته فانه نال شهرة كبيرة . وكتبه جميعا تمثل مظاهر وطنه
الدينية والسياسية المختلفة هذا مع العلم انه قضى معظم حياته في اوربا .
مات سنة ١٩٤١ .

(٢) المونولوج الداخلي

شرع بعض كتاب العراق - على رأسهم - عبد الملك نوري في تقليد
الكاتب الايرلندى جيمس جويس باستعمال اسلوب الحوار الداخلي -

. Interior Monologue

استوحى جويس هذه الطريقة من كتاب ايدورد جوردين Edward

Dujardin المسمى بالفرنسية Les Lauriers sont Coupés

ظهر سنة ١٨٨٨ . وما استوحاه منه كان فكرة ليست طريفة ناضجة

متكاملة ، وتتداعى الكلمات يجرى بعضها وراء بعض من غير نظام ولا اتساق ولا ربط ، ومن هنا هذا الاتهام الذي نجده في كتابات عبد الملك .
كما انه يعتمد وصف الصور البائسة يتكلفها تكلفا ليتخذ من ذلك وسيلة الى التأثير واللعب بمواقف القارئ : فأضاع الكاتب "عباسا ، الرجل الصغير" وقد آدلهم الليل وانتصف ، كما يوحي اليك نوم الناس وعودة السكران الى بيوتهم ، ثم يجعل الديك يفر من حضن "خضيرة" في "ريح الجنوب" مع ان العائلة كلها شددت في المحافظة عليه لان بئنه يرد الشيخ محي الدين البصر الى عيني الطفلة "خاجية" .

كما صارت الى ذلك بفضل جويس نفسه .
وهناك جذور لهذا الاسلوب نجدها في هامليت وفيما يسميه الفلاسفة بسيل التجارب The flow of experience ^(١) كما ان اثر الاوديسا جلي في "بوليسيس" .
وقد عمد بركسون Bergson الى الكشف عن المطلق Absolute باستعمال طريقة Psychological duration وهو الفيض نفسه تحت اسم اخر . (ب)

وفي سنة ١٨٩٠ وصف وليم جيمس هذه الطريقة واطلق عليها الاسم الذي عرفت به فيما بعد وهو فيض الشعور The Stream of Consciousness
اصدر جويس سنة ١٩١٤ خمس عشرة اقصوصة باسم دبلنرز Dubliners صور فيها مراحل نموه من الطفولة حتى الصبا متدرجا الى النضوج عرض فيها الى مشاركاته في الحياة العامة وانطباعاته عن الاشخاص الذين لازمهم مدة من الزمن .

وفي سنة ١٩١٦ اصدر كتابه "صورة الفنان في عهد الشباب"

...

(١) Tindall, James Joyce, His Way of Interpreting the Modern World, p. 41.

Ibid., p. 42. (ب)

واسلوب عبد الملك هو الاساس الاول في كيان اقايميته وهو تحليلي يستمد مادته من اللاوعي يعتمد تطعيمه بكلمات عامية وباصوات مختلفة ليجسر القارئ جرا الى واقع ابطاله . " كما ان اعتماده على ذاكرته اللغوية كبير وهو ينبشها نبشا مثيرا فيبدو ذلك على صورته جليا فتتلطح وتهم وتحمى

The Portrait of the Artist as a Young Man

وهي ترجمة حياة جيمس يشير فيها الى انحرافه عن الدين الى الفن (أ) وتحرره من تقاليد اللغة والوطنية . اما " يوليسيس " فقد صدرت سنة ١٩٢٢ وهي سجل يوم واحد هو اليوم السادس عشر من حزيران سنة ١٩٠٤ . وليس في هذا اليوم شيء جديد يلفت النظر فهو كسائر الايام ، دفن في صباح ذلك اليوم احد المواطنين ورأى فيه طفل نور الحياة قبيل منتصف الليل (ب) . . . مر ذلك اليوم على ثلاثة اشخاص هم من سكان دبلن : هم ستيفن ديدلوس وليوبولد بلوم وزوجته مولي . ولكل واحد من هؤلاء الثلاثة طريقته في التفكير كما ان لمنولوجه الداخلي لونا خاصا ، ويكاد يكون فيض مستر بلوم غفلا من الشكل والتنقيط لا يرتبط بقاعدة نحوية . . . ويتغير اسلوب المنولوج كلما تقدم النهار وانقلب الوقت .

وكتاب جويس Finnegans Wake استغرق في كتابته سبع عشرة سنة نشر سنة ١٩٣٩ وقد اقتبس اسمه من اغنية ايرلندية . (ج) ولغة هذا الكتاب اضمح صعوبة تواجه القارئ فهي من الغرابة والتعقيد بحيث توقع جيمس نفسه ان القارئ المثالي سوف يعاني الارق في سبيل حل رموز اللغة . . . وهو مبني على نظرية الاحلام لفرويد التي تقول ان هنالك طبقتين من الاحلام : ظاهرة تحدث كنتيجة لما نفكر به قبل النوم وباطنه Latent وهذه ذات صلة بالمسائل الجنسية التي يضطر

...

(أ) دائرة المعارف البريطانية ، مادة جويس ١٧ / ٦٨ .

(ب) Knopf, Alfred A., James Joyce's Ulysses, p. 3.

(ج) Tindall, James Joyce, His Way of Interpreting The Modern World, p. 51.

أحيانا ، وهذا في اعتقادي يرجع الى محاولاته المتكررة كي يصوغ عبارات لها جمالها اللغوي الخاص ويأتي بكلمات ذات صفة صادمة لا تعطي القارئ إلا صورة غير مباشرة وبعبدة وتعطيه مرات تفاصيل ممتة لا تثير المخيلة ،

الانسان الى كبتها لظروف خاصة او لتقاليد المجتمع ، وبين تلك الطبقتين يقف الرقيب Censor ملاحظا اننا ما زلنا نجهل ما كبتناه .. ولكن ذلك المكبوت من القوة بحيث يند الى السطح مبظنا بضباب يخفيه . ان سياق هذا الحلم لا يخضع للمنطق ويعمل الرقيب في احاطته بهالة من الابهام والتعقيد كما ان الصور تتداخل مع بعضها فيزداد الحلم غموضا .. وهكذا كان كتاب جويس معقدا كتعقد الحلم ..

ويظهر ان جيمس شعر بمقدار ما اثارت طريقته من ضجة فقال محدثا احد اصدقائه : لقد كان من السهولة بمكان ان اكتب هذه القصة (يقصد يوليسيس) بالطريقة التقليدية فالكتاب كلهم يعرفون " الوصفة " ويحسنون السير عليها ومن اليسير ان تقفوا اثار غيرك وبذلك تكون اقرب الى فهم النقاد ولكنني حاولت ان اروي قصتي هذه بطريقة جديدة فكان الزمن والنهر والجهل ابطلا فيها .. ومع ذلك فان العناصر التي يعتمد الى الاستعانة بها كل روائي : الرجل والمرأة والولادة والطفولة والليل والنوم والزواج والصلاة والموت متوفرة قريبا وليس هنالك شيء خلاف المؤلف . (١)

وقد تباينت اراء النقاد في اسلوب جيمس فمنهم من نعى عليه هذا الامر ووصف يوليسيس ؛ انها مثل القي الذي يقذفه الطفل بعد ان تثقل معدته الحلوى . (ب)

...

Givens-sson, Two Decades of Criticism, p. 11. (أ)

Ibid., p. XII.

(ب)

هل تقضي على مجال ثمين يمر هباءاً . (١).

فائق في أولى أقاصيص "نشيد الأرض" يعمل مصلحاً لاختطأ الجريدة المطبعية يفصل من عمله . تضرّب في نفسه أحاسيس وأفكار كثيرة سواء في المقهى مع الساقى سلمان ، أو في البيت مع خديجة . يحلم في عالم سكانه يرتدون الملابس البيضاء ، يعيشون في حقول خضراء ، ورياض زاهرة . يختم الاقصومة بأن يشيع في نفس فائق حبا الهيا صوفيا يفيض على العالم كله . ثم يقول بأسلوب خطابي :

"يا احبائي ، يا احبائي المساكين اتحدوا في عائلة واحدة ، واحبوا بعضهم بعضاً . (٢).

ولكن ايليوت وصفه بأنه سيد اللغة الانكليزية منذ ملتون صاحب "الفردوس المفقود" .

ولم ينفرد جويس بهذه الطريقة بل عمد اليها كتاب اخرون مثل لورنس وفرجينيا وولف ودوروثي ريجاردسون . (١)

...

(١) Allen-Walter, The English Novel, p. 329.

(١) فؤاد التكرلي ، "نشيد الأرض لعبد الملك نوري" ، الاديب ، الجزء العاشر ، السنة ١٣ ، اكتوبر ١٩٥٤ .

(٢) بيدوان الكاتب استفاد كثيراً من اقصومة دستوفسكي "حلم رجل هزأة" فهناك رجل هزأة يراه الناس مجنوناً او في بعض الاحيان يرى نفسه مجنوناً . . وهناك حلم جميل ودعوة الى حب عالمي واحساس بمحبة الناس والحدب عليهم ولكن الفرق ان اقصومة دستوفسكي موجهة تستطيع ان تخرج منها بفكره واضحة وتجربة كبيرة .

انظر علي ادهم في "قبرانا او الهارب من الخطيئة" ، ص ١٦٠ . وانظر محي الدين اسماعيل ، "حول نشيد الأرض" في لواء الاستقلال ، العدد ١٩٥٤ ، السنة التاسعة ، عام ١٩٥٤ .

تنقل الكاتب في هذه الاقصوة "وفي سواها من نشيد الارض" من فكرة لفكرة ومن تجربة لاخرى حتى صعب على القارئ ان يجد الفكرة الرئيسية بغير كثير من العناء ، ولكنها لها حوت صوراً بارعة ونقداً لاذعاً وسخرية موجهة وتحليلاً عميقاً ، يجعلها جديرة بان تقف في مصاف الاقاصيص العربية الناجحة . وكما كنت اتنى ان يزداد وضوح الكاتب وتعمق فكرته اسوة بمن اعجب بهم من كتاب الروس "لان طريقتهم اسلم واهدى من اصحاب الابنية الفلسفية والمذاهب الفكرية المجردة لانها تؤكد العلاقة الصحيحة بين الفلسفة والحياة" . (١)

ونرى في الجدار الاصم شيئاً من الحركة والفكرة وان كانتا محاطتين بغضاب من الغموض وبهذيان "ستار" واصواته : حا ، حا ، حا ، حا يعيدها دوماً كأنها اللازمة في نشيد مدرسي .
و"ستار" هذا كسائر ابطال "نشيد الارض" ، من الطبقة الفقيرة لا عمل له ، يعيش على الكفاف ويشرب الخمرة على حساب احد اصدقائه مقابل اضحاكه ، وامتاعه بما يسرد من نكت ويقرأ له من اشعار . وقد ذهب يطوف حول السجن ليرى آخر ما بقي له في الدنيا فعلم ان مظاهره قد قامت داخل السجن ، واستعمل الرصاص في اخمادها . وظل يومه تقتله الحيرة وتنهشه الوسواس ، يود لو يعلم مصير ابنه "قدورى" المسجون . لقد ابدع الكاتب في رسم شخصية ستار ، وقد احاطها بجو غريب يوحي بالبوهم وهو مثل من كثير من ابنا هذا الشعب ، قعد بهم الفقر عن اكتساب عيشهم بطريقة شريفة تصون للانسان كرامته وقد استبد بهم داء الخمرة حتى عاشوا ايامهم بعيون مقلنة واعصاب مخدرة .

✓ "وفي معظم قصص الكاتب يظل القارئ على ظمأ وجوع من حيث الخاتمة وقد يكون طبيعياً الا يعنى عبد الملك بالخاتمة ما دام لا يعنى اصلاً بالعقدة على اننا لا نستطيع ان نجد في ذلك الا نقيضه في قصص هذا

(١) علي ادهم ، "فيراثا او الهارب من الخطيئة" ، ص ١٦١ .

الكاتب العراقي الممتاز الذي يحملنا حرصه على انها قصصه دون ان ينهيها على الاعتقاد بأنه يتكلف هذا الامر تكلفا وفي ذلك ما فيه من مخالفة لطبيعة الحياة وتلقائية الفن الذي يصورها . (١)

واري ان عدم عناية عبد الملك بالعقدة والنهاية مرده الى ايمانه لما يقول " تشيكوف " في الاقصوة : " من انها لا نهاية لها ولا بداية " (٢) وبعض كتاب الروس الذين لا يرون فائدة ما بوحدة الاثر . (٣)

وجملة القول في عبد الملك انه قاص قد استطاع ان يقدم نماذج جيدة من فنه القصصي . ولكن ما نعرف من آثاره قليل جدا ، اذا قيس بانثار قصاصي العرب ، كما يستحسن كثيرا ان يرخي بعض الشيء من هذا الارهاص النفسي والشد العصبي ليحل مكانه شيئا من الحركة والتوجيه . وبذلك ينقشع كثير من ضباب الغموض الذي يغلف آثاره . فيستطيع القارئ العادي ان يجد فيها غذاءه العقلي .

(١) سهيل ادريس ، " القصة العراقية الحديثة " ، الاداب ، العدد الرابع ، السنة الاولى ، نيسان ١٩٥٣ .

(٢) عبد الحميد جودة السحار ، " همزات الشياطين " ، ص ٢٢ .

(٣) انظر دائرة المعارف البريطانية ، مادة Short-story .

الفصل الثاني

فؤاد التكرلي

شاب بدأ بداية حسنة ، يجرى في اعقاب عبد الملك نوري مقلدا
اياءه ، معجبا به كل الاعجاب ، يستمد مادة اقاصيمه من منطقة اللاوعي فيسردها
على هيئة ذكريات يوءلف بين اجزائها بهيوط من واقع البطل . الا انه لا
يسرف اسراف عبد الملك في التداعي الحر والمنولوج الداخلي ، لذا كان
فنه القصصي اقل غموضا واكثر اشراقا ، وقد يطلق العنان لخياله وانكاره
ان يمتدا ويمتدا حتى تبدو بعض اقاصيمه اكثر طولا مما ينبغي ، ومرد ذلك -
كما اعتقد - حرص الكاتب على ان تتكامل لديه صورة البطل ليستوى امام القارئ
بلحمه ودمه انسانا لا تنكر من انسانيته شيئا .

وهو ايضا على خلاف عبد الملك لا يظلم الحركة ، بل يرعاها رعاية
حسنة ويهبها الشيء الكثير من اهتمامه ، وبراعته في رسم الصور فائقة ، تحس
معها ان الكاتب ينقل اليك جوانب الحياة المختلفة بأمانة مدهشة يضمنها سخريته
او اعجابه وغضبه او رضاه .

عني فؤاد بادئ ذي بدء ، بالطبقة المترفة فوصف العائلة المتفسخة
والزوج ذا العواطف المضطربة ، والمرأة الجريئة في غير حياء ، العائكة في
غير هواة .

ففي " همس مبهم " (١) نجد الكاتب يلجأ الى " طريقة موباسانية حيث
رويت الحوادث على لسان بعض الاشخاص " (٢) ولكنها لم تخل من براعة
حيث جعلها على هيئة مذكرات دونها طالب انقل الالم صدره ، وحز في
نفسه ما رأى من انحلال امه وعجز ابيه واستهتاره ، وقد شقي كثيرا بذلك

(١) نشرت بالاديب ، جزء ١٢ ، السنة العاشرة ، ديسمبر ١٩٥١ ، ص ٣٩ .

(٢) نهاد التكرلي ، " العيون الخضروفن الاقصوة " الاسبوع البغدادي ،

العدد ٢٠ ، السنة الاولى ، ١٩٥٣ ، ص ١٦ .

الشجار المتواصل بين الزوجين كلما تقابلا حتى وقع الطلاق ، وغادرت الام المدينة مع زوج جديد دون ان تودع ابنها بكلمة .

هذه المرأة التي وثق الكاتب في وصفها صورة حية لبعض نساء

الطبقة المترفة يحبين حياة الفجور وهن يتصورن انهن لم يرتكبن منكرا ولم يقتربن انما انما الامر نزولا على شريعة المدنية الوافدة بعرفهن .

وقد جاء السرد مشوقا حافلا بالحياة والحركة . كما ان الابطال

يألفهم القارئ بسرعة ويفهمهم جيدا ، ولكن هذه الفتاة التي استطل من النافذة بين حين وآخر تحدث الفتى دون ان تظهر منه بجواب كانت النشاز الذي عثر على الاقصوة صفاءها واوهن تماسكها .

اما " اسمية خريف " (١) فهي على النقيض من " همس مبهم " حوت الكثير

من الاضطراب والغموض ، انها تجربة في نفس الكاتب لم يكتب لها النضوج فجاءت متكلفة الاسلوب ، متشابكة الموضوعات .

يبدأها بوصف للطبيعة يتحول بعدها الى ذكرياته المظلمة عن زوجته

فيصورها بصورة مومس ، يصف لحمها البض وقوامها وعريها وشفتيها الطريبتين

ومبلغ اشتهاؤه لجسدها ، ثم يتذكر فجأة انه مدعو لحضور حفلة ابنة اخيه ويصف ابنة اخيه هذه وصفا يخيل اليك معه انها كانت حبيبته ، وان زوجها الدكتور هو الغريم الذي ينبغي ان يوجه اليه التحقير والتعنيف ، وقد حمل معه كتابا

يزعم تقديمه هدية لابنة اخيه لانه مصمم على احداث انقلاب في تفكيرها ، ولم

يفعل ذلك ؟ الا ان الدكتور يأبى عليه هذا الامر وينشب بينهما شجار يثير

اعصاب الزوجة فتند منها صرخة قوية . ومن ثم يندفع الدكتور يعلن رايه

صراحة في هذا " العم " : انه يريد ان يحطم الزيجات السعيدة الهانئة

لانه اخفق في زواجه .

لقد اطلال القاص واسرف على نفسه كثيرا واغرق في الوصف الخارجي

حتى بدت ثورة الدكتور الاخيرة معدومة الصلة تقريبا بالقسم الاول وما اورد

(١) نشرت بالاديب ، مارس ١٩٥٢ ، ص ١٢ .

من الصور يبدو غريبا عن محيطنا كل الغرابة ويندر ان تجد زوجة تحدث زوجها بهذا الحديث: "اني احترمك كزوج لكنني اعتبر نفسي حرة بمواطني لهذا اتصلت بعبد السلام" والانكى ان الزوج لم يجيبها بغير الهدوء التام ولم يزد على ان تمنى بينه وبين نفسه لما رآها تقطب بين حاجبيها الاسودين ان يقبل بينهما .

لقد خلط القاص بين تجاربه مع المرأة الحرة وتجاربه مع المومس حتى لم يستطع التفريق بين عواطف الاثنين ، وتلك مشكلة ستظل قائمة ما دامت المرأة في منأى عن حياة الرجل .

تجد في "المجرى" (١) احساسا عميقا بالاثار النفسية الذي يحس به القارئ في الاقصوتين الآتيتي الذكر : عائلة مترفة لا تقيم وزنا لرابطة الزواج ، يطلب الزوج الحب عند زوجات الاخرين في حين يستسلم الطرف الاخر استسلاما غريبا مبعثه - كما اعتقد - مفهوم خاطئ في ذهن القاص لا سند له من واقع المرأة العراقية . لقد اراد الزوج ان يهجر زوجته لانه هام بامرأة اخيها الألمانية ، وقد كاشفها بالامر كانه يسعى لانها معاملة تجارية ، وظلت الزوجة المعتدى عليها في هدوء الخشب وجموده وتحجرت عاطفتها حتى كان الامر لا يعنيتها واستقبلت قراره الاخير : "سأتركك اذا قبلت هي ان تترك زوجها انها تحبني" باعصاب اقل ما توصف به انها لم ترزق بها امرأة في الوجود حتى الان . وقد كان النجاح قريبا من هذه الاقصوة لو لم يسرف القاص في التحديق الى عالم الخيال والذكريات ومجافاته لعالم الحس ، فالادراك الحسي بالنظر لكونه يحدث في العالم ويستمد موضوعاته من العالم الخارجي ، ويجري في المكان والزمان اقوى اثرا في النفس من الانطباعات الذهنية والصور الخيالية التي تثيرها الذاكرة والخيال ، لان الصور الخيالية مهما يكن من قوتها لا بد ان تكون غامضة باهتة لا سند

(١) نشرت بالاديب ، عدد يناير ١٩٥٣ ، السنة الثانية عشرة ، ص ٤٨ .

لها من العالم الواقعي وهي لا يمكن ان ترقى الى مرتبة الادراك الحسي". (١)

بدأ التكرلي، في "العيون الخضراء" (٢) اتجاهها آخر، اذ هجر القصور واجواء العطور وبرم بحفلات الرقص، الى الطبقات التي تواجه ضغط الحياة وتنوء تحت اوزار الايام وظلم المجتمع. كما ودّع حرصه على استعمال اللغة الفصيحة فجنح الى تطعيم اسلوبه بالعابية. يستهل اقصوصته هذه بلوحة مشرقة صادقة تفيض بالحياة والحركة وتحملك على ان تندمج بها كل الاندماج لانها تذكرك بعالم ما فتئت تعايشه وتعهده.

وقد جاءت الصور واضحة المعالم غير متشابكة الخطوط، انثالت من ذاكرة ذات العيون الخضراء وتدفت تدفق العين الثرة في الارض السهلة وهذا ما احاط شخصية "سليمة" بأطار من القوة والحياة، كما صور القاص "شخصية الشاب الذي كان يتردد على بيت سليمة من خلال ذكريات البطلة، لذلك بدت صورته ملونة بالعواطف والتصورات التي كانت تشعر بها البطلة نحوه" (٣). وقد ادركنا حب الشاب لها، اذ كان يكثر التردد عليها مع جماعة من اصحابه دون ان يأتي ما يأتيه المترددون على امثال تلك البيوت. وقد خاب ظننا فيه ان كانت تتوقع منه حبا ووصالا واذا به لا يسعى لغايته او يدل على حبه. قال لها مرة "فديوم، فديوم بعيد من تشوفين نفسي وحيدة، محد يسأل عني، ولا احد يباع في وجهي، تعالي لبعكوبه، سئلي عني" سرها هذا الكلام الجميل، ولكنه ما زال امامها شخصا غامضا شديد الغموض، حتى برمت بأمره وثار بوجهه لما رآته كعادته يطيل النظر

(١) نهاد التكرلي، من رسالة مخطوطة وجهها الكاتب الى اخيه فؤاد

معلقا على اقصوصة المجري.

(٢) نشرت بمجلة الاسبوع، العدد ١٩، السنة الاولى، ٥ نيسان ١٩٥٣.

(٣) نهاد التكرلي، "العيون الخضراء" و"الاقصوصة"، الاسبوع، العدد ٢٠،

السنة الاولى، ١٥ مايس ١٩٥٣، ص ١٦.

اليها ، فطرده وهي تجهش بالبكاء وتقول "خوش جماعات دجيب لي ، يعني تستاهل بعني تستاهل ، تريد فلوس علي ٠٠٠ اطلع بره شكو عندك هنا ١١؟ شعليك مني ٠٠١؟ فخرج ولم يعد".

ومن اقاصيص فؤاد "الطريق الى المدينة" (١) تمثل رجلا هزأة ضعيف الارادة . (٢)

ونجد في "القنديل المنطفى" (٣) مفهوما جديدا للشرف لا نقره عليه وليس في الامكان وجوده في المحيط العراقي ، خلاصته ان ابا يعتدى على عفاف امرأة ابنه ، لانه لم يستطع ان يلامسها ملامسة الرجال فلم يجد بدا من دفع هذا العار ، فاقدم على فعلته النكراء .
وجملة القول في التكرلي : انه دخل ميدان هذا الفن بقدم ثابتة ، مما يحمل على الاعتقاد بان سيكون له مستقبل ادبي حافل .

(١) نشرت بالاديب ، الجزء الاول ، يناير ١٩٥٤ .

(٢) يخيل الي ان القاص قد استفاد في هذه الاقصوصة من "نشيد الارض" لعبد الملك فنسج على فكرتها ، كما استفاد عبد الملك بدوره من دستوفسكي "رجل هزأة" .

(٣) نشرت بالاديب ، عدد مارس ١٩٥٤ .

الفصل الثالث

شالوم درويش^(١)

لشالوم نمط خاص في كتابة الاقصصة . فهو يتناول الافراد بصفة عامة دون ان يخوض في مشاكل اجتماعية ، يهدف من ورائها اصلاحا او نقدا كما هو الحال في اقصيص انور شاول . وهو ذو لون محلي قصره على مدينة بغداد . يمتاز بقدرته على تحليل النفوس وسبر غور العواطف ، يعرض ذلك كله في اطار من الفكاهة ، يغري بالقراءة ويخرج منه القارئ بمتعة جميلة ، يحمد معها للكاتب حسن براعته في نسج الاقصصة ولطيف سرده .

كما ان موضوعاته فريدة في بابها ، قلما تناولها قاص عراقي ، يعني بانارة جوانب ، ربما لا يلتفت اليها غيره . ففي اقصصة " الشحاذ " تجد الشحاذة هواية ، استعصمت في نفس البطل لا يستطيع منها خلاصا وذهبت جهود الاقارب في صرفه عن هذه الهواية المنحطة ادراج الرياح ، في حين ان الشحاذة لدى انور شاول مشكلة اجتماعية عامة يهيب بالآخرين ان يجدوا لها حلا .

ويبدو لي ان درويش مدرك لمهمة الادب اذراكا تاما ، فهو عندما يتطرق الى مشكلة اجتماعية كال فقر او مشكلة اللون ، لا يحاول اطلاقا ان يثير احزان القارئ واشجائه وان يدفعه الى التشاؤم والنظر الى الحياة بمنظار

(١) ولد سنة ١٩١٢ في قرية "علي الغربي" وهي قرية صغيرة بين العمارة والكوت ، وعلى اثر وفاة والده نزحت الاسرة الى بغداد بعد ان اتم دراسته الثانوية . دخل كلية الحقوق وتخرج فيها محاميا . وهو معجب بالقصة الروسية ، قرأ كثيرا لتولستوى ودستوفسكي وقرأ ايضا لموباسان وانا تول فرانس .

(من مخطوط يحتفظ به الدكتور محمد يوسف نجم) .

اسود بل يمزج كل تلك الظروف العصبية والملابس القائمة بروح التفاؤل
والمزاج اللطيف الهادي .

- ١ -

ففي "ابو شوارب" من مجموعة "احرار وعبيد" يصور لنا شرطيا
يعتز بشاريه وقد جعلهما مصدر فخره ، احب فتاة واراد ان يتزوجها
فاشترطت ان يخلق شاريه وقد هم ان يفعل ، لولا انه قرر اخيرا الاحتفاظ
بهما والاقلاع عن فكرة الزواج .
يبدو التكلف على حوادث الانعوسة كما ان السرد غير طبيعي ولكن
تحمل حسا فكاها جيلا .
ومثلها في التكلف والتفاهة "ياقوته" ، و"في سنة ٢٥٤١" و"جبان"
و"ثرثار" و"قل لي ما اسمك اقل لك من انت" .

- ٢ -

وفي مجموعة "بعض الناس" افايص احبطت شخصياتها بشي من
الغموض ، وجاء التحليل فيها قصيرا سطحيا . "فاكسبر العبقريّة" تصور
ابرهيم في دور المراهقة ، ويخيل للقارئ انه ما زال تلميذا ، قد سيطرت
عليه اوهام مبعثها مطالعته الكثيرة ، رسخ في نفسه : ان العبقريّة لا تتم
الا لمن اصيب بمركب النقص ، فمّول ان يخلق النقص هذا بان يعطل عضوا
من اعضائه ، فيرمي بنفسه من السطح ويلاقى حتفه . وتنشر الجريدة خبر
وفاته فتعلم انه موظف وليس تلميذا .
وفي "لصوص" تجد فتى مراهقا تعرف على فتاة في السينما فتواعدا
على اللقاء في اليوم التالي في حديقة عامة . وهناك يضبطهما الخفير وهما
يتبادلان القبل ، فلا ينجوان منه الا بعد ان يسلم الفتى ما سرق من امه .
وعنى القاص بكلمة لصوص "الخفير" في حين ان مدار الاقصوة
كلها عن السرقات التي تحدث في البيت ، فالام تسرق من زوجها وتخفى

الامر عنه ، والخادم في البيت تسرق عند الحاجة من هذا المال الذي تخبئه الزوجة ، وثالثة الاثافي ان الابن امتدت يده الى هذا "المصرف" وسحبت منه ثلاثة دنانير ليشتري بها هدية لفتاته الجديدة . وهكذا جاءت هذه الشخصيات الكثيرة مضطربة قد تشابكت حوادثها الكثيرة وضاع الاثر الرئيسي فيها ، اضيف الى ذلك ضعف اسلوبها وانعدام العامل المشوق في حوادثها . ولكن اروع اقصيصه "قافلة من الريف" وهي تحكي قصة الطفل سليم والعنزة التي وقفت الاسرة كلها تنتظر ولادتها ، فلما رأت النور كان ذلك اليوم عيداً لدى اطفال الاسرة كلهم . ونما حب والفة بين سليم والعنزة ولما مات رب الاسرة لم تجد الام بدا من الرحيل الى بغداد ، يعمر قلبها الامل في ادخال اطفالها المدرسة ، ونزلوا ضيوفاً في بغداد على اسرة صديقة ، ولما ألح على العنزة الجوع ذهبت الى المطبخ وقلبت قدور الطعام ، واكلت منها ما شاءت ، وقد آلم الاسرة المضيقة عمل العنزة لانها حرمتهم العشاء ، فانها لولا عليها ضرباً ، وهم يتنادون : اين الراعي الاعرج . وقد حزن ذلك في نفس الضيوف فهبوا لتخليص العنزة من ايديهم . وكان اشدّهم تأثراً وتألماً الطفل سليم ، وقد انطبع في ذهنه صورة العنزة المسكيننة والراعي الاعرج ، فحلم احلاماً مزعجة ، تصور الراعي بيده السكين يهجم بذبح العنزة ولذبح سليم . وفي الصباح يأتي الراعي الاعرج ويدفع ثمناً بخساً لها ويضطرون الى قبوله والا رموا جميعاً خارج البيت . هذه الاقصوة تمثل واقع اسرة القاص لما مات معيلها واضطرت على الهجرة من قريتها الى بغداد فعاشت حياة ضنك . لهذا جاء التصوير صادقاً كل الصدق ، تناول دقائق الموضوع ببراعة كبيرة ، ورسم الطفل سليم بصورة حية جعل القارئ يؤخذ بتصرفاته ويتألم لآلامه ويهفو الى ذلك القلب الصغير قد حوى حب العنزة وحناء عليها حتى لم يعد يطيق لها فراقاً . وقد خلت الاقصوة من روح سوداوية معتمة برغم ظروف الفقر القاسية التي حفت بالاسرة بل تجد خلالها روح التفاؤل والاطمئنان الى المستقبل بتصميم الام على تعليم اولادها . وهذا امر مستحسن للغاية ، ان يكافح الانسان مشاق الحياة

المراعاة ليظفر بمستقبل هنيء .

أما اللغة فجاءت معبرة مؤثرة على بساطتها . وقد استطاعت بعض العبارات العامية التي استعان بها الكاتب أن تزيد في دقة الصورة وجمالها ، مع العلم أنني لا أحبذ استعمال العامية بنطاق واسع . . . فهذه القصة البسيطة الانسانية المؤثرة تذكرنا باروع الاقاصيص الروسية . (١)

(١) سهيل ادريس ، "القصة العراقية الحديثة" ، الاداب ، العدد الرابع ،

السنة الاولى ، ١٩٥٣ ، ص ٣٤ .

الفصل الرابع

نزار سليم

يجرى حب الفن في عروق عائلة سليم ، وقد برز افراد منها في ميدان الرسم ، لذا نشأ نزار فنانا يحسن مزج الالوان ويجيد التقاط الصور الجميلة ، وهو في فنه القصصي يقدم اليك لوحات يلائم بين الوانها ويتأمل في دقائقها لا تفلت من بين انامله شاردة ولا واردة . ويلاحظ في آفاسيه خفوت الحوادث الكبيرة لا يجسمها ولا يلقي عليها من الضوء ما يبعد عنها تشويش الامور الصغيرة فقد دأب على النظر الى " الكل " نظرة سواء ، يعنى بجذوة السيكرة في يد المدخن كما يعنى بعاطفة الحب تتأجج في صدر المحب ويبرز الاثنين بجهد متعادل ، لذلك كانت العقدة لديه ضعيفة الربط واهية الخطوط . ولست اريد التاكيد على اهمية العقدة في كيان الاقصوصة ولكني اريد ان اقول ان صاحبنا يعتبرها جزءا متساوى الاهمية في السياق كله . وهذا هو شأن الرسام يصور اللوحة متكاملة من جميع اطرافها .

- ١ -

في مجموعة نزار الاولى " اشياء تافهة " موضوعات فريدة في بابها تدل على براعة في اختيارها .
تمثل اقصوصة " الفأر " هشاما وهو يطالع في غرفته ، قد استرعى نظره فأر صغير دقيق الجسم ذكره بفتاة دقيقة الجسم ايضا كان يعطيها دروسا خاصة ، وقد نشأت بينهما عاطفة تتدرج في سبيلها الى حب متبادل . ولما جلس اليها ليبدأ درسه معها قال لها : انك تذكريني بفأر رأيت اليوم . فانار في نفسها هذا القول اشمزازا ومقتا فتركته محترقة له .

لا ريب في غرابة هذه العاطفة التي زاوجت بين الفأر وقوام الفتاة
بجامع الدقة ، واذا كانت عين الفنان لا ترى في ذلك امر مستغربا ، فالكثير
من الناس لا يتذوقون ما يتذوقه ولا يرون الجمال فيما يراه ، وقد وثق
الكاتب في الوصف الخارجي وخاصة فيما يتعلق بصناعة بادئ الامر مع الفأر .
اما " اشباح وظلال " فتمثل فريقا من اللاجئين يبثون رسائلهم الى
ذويهم المشتتين في انحاء البلاد العربية عن طريق المذياع وخلال ذلك
يعرض القاص صورا قاتمة من حياة اولئك البائسين ، ويسخر سخريه خفيفة
من موقف الدول العربية لاعتمادها على المذكرات الاجتجاجية ويهزأ من
هذا العالم الذي يسخره الذهب لخدمة بعض الاغراض الدنيئة ، فيعميه عن
الحق ويغم اذنيه عن نداء الضمير والعدل .

ان موضوع هذه الاقصوصة بالغ الاهمية وهو جدير بان يحظى
بعناية الكتاب التامة ليخرجوا لنا اديبا يصور تلك النكبة احسن تصوير حتى
يكون حافزا لنا على العمل وباعثا النشاط في النفوس الخوارة لاعداد العدة
للمستقبل ، والقصة هي السلاح الاول الذي ينبغي لنا ان نعمل اليه في تعبئة
الرأى العام قبل تعبئة القوى المادية . وما يؤلم ان بلادة الكثير من كتابنا
واعتمادهم ببعض المبادئ التي فرضت عليهم ان يحيوا لها ويستمدوا الوحي
منها جعلتهم يجتروا افكارا تلقوها من خارج وطنهم فمرت الكارثة بفظاعتها
وهول ما ارتكب فيها مرور النسيم على تلك الوجوه الصفيقة التي تعيش
بين ظهراي العرب ، ولكنها تتنكر لآلامهم ولا تفهم آلامهم .

هذه الاقصوصة ، وان كانت - كما اسلفت - صورا مقتبسة من واقع
مؤلم قد ضم بعضها الى بعض حتى بدا كيانها مضطربا وحبكتها واهية ،
الا ان ما فيها من احساس بالآلام الظلم والاعتداء يرفعها فوق مستوى الكثير
مما يكتب الاخرون .

في " اشياء تافهة " نجد صديقين قد جلسا يحتسيان الخمر وانبرى
احدهما يحدث صاحبه عن " الحاجة الى الحب " واستطرد من ذلك الى
الحديث عن حبه لقطه ، قد وضعت صغارها في قاعة الاجتماعات في الدائرة
التي كان يعمل فيها ، شاركه في حبها هواب الدائرة . وقد اراد الهران

يفترس الصغار لكن دفاع القطة وصراخها اثار انتباهه فرمى الهر بهذائه
 فابتعد قليلا وما لبث ان عاد ووقف بالباب متربعا فرماه بالآخرى ، الا ان
 الرمية اخطأت الهر واصابت السكرتير العام مما ادى الى فصله عن عمله .
 كشف الكاتب في هذه الاقصوصة عن نظرته الى الحياة ، كما انه
 حشاها ببحث التفاصيل عن الاسباب التي تدفع الهر الى اكل صغاره . وحديثه
 عن الحب لم يخل من سمة الوعظ والارشاد ، لذلك جاءت سطحية يغلب عليها
 الوصف الخارجي دون الافاضة في تحليل احساس الانسان في مواقف كالتى
 تطرق اليها الكاتب .

اما " نصيب " ففيها دعوة جميلة الى العمل المجدى وتطبيق الاوهام
 والتضافر على كفاح مصاعب الحياة .
 وتمثل "عقب سيجارة " انيسة رقيقة النصب تشعل سيجارة للبطل
 فيثير هذا العمل في نفسه احساس حب كامن يلهب عواطفه فيطير به الى عالم
 الاحلام والروى . ويتضح له آخر الامر ، ان الامر لم يكن غير تجربة ، ارادت
 انيسة ان تستفز بها عواطف ابن عمها المهندس وحببها في الوقت نفسه .
 ما في الاقصوصة من حديث عن فلسفة التدخين - كما يسميها القاص -
 وتحيزه له يقلل من قيمتها الفنية لانه جاء بلهجة تقريرية .

- ٢ -

لا يحقق نزار تقدما كبيرا في " مجموعة فيض " فلم يحد عن منحاه
 في تناول الحوادث ، الا انه غدا يكثر من استعمال العامية ذات الطابع
 البغدادي الاصيل .
 في اقصوصة " فيض " يصور لنا فيضان دجله الذى يصب كوارثه
 بصفة خاصة على الفقراء والفلاحين .
 كانت عائلة ابي حسن قد حملت على حمار لها كل ما تستطيع جملة
 من متاعها القليل واركبت الطفل الصغير " حسن " فوق ذلك كله ، واندفعت
 مع الرتل الهارب من وجه السيل تبغى النجاة ، ثم يكر ابو حسن راجعا
 ليعود بزوجته التي اهت ان تدع شيئا طعمة للماء فلا يوفق في انقاذها بعد

ان دهمها السيل العرم . ويعود ادراجه بألم خائق مكثوم .
 ابداع الكاتب في رسم المشهد الذي طالما ألفه العراقيون وتوجعوا
 له كثيرا ، الا انه بالغ في تصوير سوء الحال وضعف تلك الفئة البائسة حتى
 ان كلبها مسعود الذي اربع الكلاب جميعا ، جبن امام هاتيك الكلاب الصغيرة
 المدللة .

وقد جنح نزار في هذه الاقصوصة الى تقليد الكاتب الايرلندي
 جيمس جويس في تداعي الذكريات في مثل قوله : " وتمثلت صور السنين
 امام ناظره خلال الظلام فاعترت ارتجافة ، أحس بالخور يدب في عروقه ؛
 البحث عن المأوى ، صوت صاحب الارض يصرخ فيهم كما يصرخ بقلب جرب ،
 والايام المضنية الكليلة في البحث عن الزاد ، وأمه التي ماتت في السنة
 الماضية ، وابنه الاول وهو يتلوى تحت عجلة السيارة " .

وأرى في استسلام ابي حسن وعدم اسرعه لانقاذ زوجته واستغاثته
 بالآخرين أمرا مستغربا ليس من طبائع هذا الصنف من الناس . يقول القاص
 في " البيت على اليمين " : " كنت في طريقي الى ذلك البيت عصرا ، عندما
 رأيته فجأة يسير امامي " ، فألحت عليه وسأوسه بانه يريد به شرا وانه لا محالة
 قاتله ، اذ كان يعتقد انه مجنون هادي من النوع الذي لا تدري متى يشور ،
 وتستبد به الهواجس حتى ينتهي بهما المطاف الى حافة النهر فيقذف به
 الى الماء ، عند ذاك يشعر بهدوء اعصابه وانتهاء هواجسه .

لقد تكلف القاص الحوادث ليصطنع جوا نفسيا مضطربا ، ولكنني اعتقد ان
 التوفيق قد اخطأ الكاتب حينما جعل الهواجس تشتاب الرجل الذي يقفسو
 آثار من امامه ، فالمألوف في مثل هذا الامر ان الانسان يوجس خيفة من
 وراءه .

في " اربعة فلوس " يسخر القاص سخريه لاذعة من " مصلحة نقل
 الركاب " لانها فعلت جاييا عن عمله لكونه نسي ان يرجع اربعة فلوس الى
 صاحبها .

اما " دجاجة المسعدة " فصورة ظريفة لموظف جعل من لفسط

الدجاجة منبها له في الصباح كي يدرك الوقت المعين لبدء العمل فسي
دائرته ، فلما أكل الدجاجة ذهب متأخرا في اليوم التالي ، فنال توبيخ
رئيسه فعوضها بديك ودجاجة .

وجملة القول في نزار : انه كاتب مقل وفي وسعه ان يمتلك
ناصية هذا الفن كما امتلك هو واشقاؤه القدرة على الرسم والنحت ، ولا
غرو في ذلك فانه يجيد الحك والسرد وانتقاء الموضوعات الغذة ومزج
الحوادث على غرار مزجه الالوان فيخرج من ذلك كله اثارا جديرة
بالقراءة .

الفصل الخامس

شاكر خصباك (١)

لخصباك مجموعتان من الاقاصيص هما : "صراع" و"عهد جديد" .
طبعهما في مصر قبل ان يتم دراسته الجامعية . لذا كان للجو المصري اثر
شديد فيما كتب ، واقصوصاته "الدخيل" و"قلب كبير" مستمدتان من محيط
مصري ، وهو في "قلب كبير" لا ينفك يردد لازمة المصريين : "يا سلام" ،
والاسماء عنده فيني وميني .
كما يلاحظ في ابطاله صغر سنهم وكونهم في عهد التلمذة ، مما يحمل
على الاعتقاد انه يستعين بالصور والذكريات المدرسية ، ينسج منها اقاصيص
تفاوت قوة وضعفا .

- ١ -

"صراع" ، الاقصوصة الاولى التي بدأ بها المجموعة المسماة بهذا
الاسم ، يغلب عليها السرد ، يجريه تارة على لسان نهاد وطورا على
لسان فاطمة ، وقد افاض في وصف الجسد وابرز مفاته . ويخيل لمن يقرأ
الاقصوصة ان فاطمة لما تزل طفلة تركض وراء نهاد في الشارع لتعطيه
مندبلا جميلا الا اننا ما نعثر ان نفهم بعدئذ انها امرأة في عفتوان شهابها
قد تزوج رجلا طاعنا في السن . وارجح ان القاص لم يوفق حينما جعل
فاطمة تبحث عن متنفس لغرائزها الجائعة في طفل صغير لا يتجاوز الثامنة

(١) شاب تخرج في جامعة فؤاد الاول ، حائزا على الليسانس في العلوم
الاجتماعية ، وهو الان يزاوول مهنة التدريس في العراق ويواصل نشاطه
الادبي وقد اصدر اخيرا كتابا عن انطون تشيخوف بمناسبة الذكرى
الخمسينية ، ضمنه دراسة وترجمة لبعض آثار تشيخوف .

من عمره .

اما اقصوصتنا "عجيب" و"دكتور القرية" فصورتان لا تخلو الاولى من جمال وبراعة في الوصف ، وان كان التكلف باديا في الثانية . في "بداية النهاية" يصور الكاتب غرائز جامحة حبيسة تعقب صراعا عنيفا بين الضمير الذى يتمسك بالطهارة والعفة وبين الجسد الذى تعوى غرائزه كالذئاب الجائعة . وتنتهى الاقصوصة بسقوط البطلة الى الحضيض بانتصار غرائزها .

تذكرني هذه الاقصوصة باخرى لمحمود البدوى^(١) بعنوان "قلب عذراء" حيث تحس البطلة بفيض عنيف ولكها لا تجد لهذا الفيض منصرا . فتطوعت للتمريض كي تريق هذا الفيض المذخور عطفًا على المرضى البائسين ثم تلتقي بالشاب حسن خلال زيارته لاخته الصبي المريض وتجمع كل اشواق الانثى وكل حنان المرأة فتتوجه بهما جميعا لا الى الشاب فالخجل الغريزي يمنعها ولكن الى هذا الصبي المريض شقيق الشاب الحبيب .

والانكى ، ان خصبك يطالعنا في اقصوصة "سبيل العيش" بشرية جديدة ومنطق غريب خلاصته ان سلمى المريضة لم تكف بان تسلم نفسها لرغبات الطبيب بعد ان هدها بالطرد ، بل رضيت ان تنعقد او اصر الصداقة بينها وبين شاب اخر . تقول الام "اننا ارتأينا بيع العفة خيرا من ارسال خمسة اشخاص الى القبر شهداء الجوع ، وهذا ما حمل العاشق الذى هام حبا بسلمى وكان يعتبرها اطهر مخلوق ان ينكس على عقبه . وينفض يديه من الامر مرة واحدة . هذا الاستسلام الغريب لا يحسن بالكاتب تصويره كما يصعب ان تجد اما تؤمن بفلسفة في الحياة كهذه الفلسفة ، وموقفها هو النشاز في نعم الاقصوصة كلها ، فالجوع لا يبرر ان يضع الانسان سلاحه ويترك الكفاح من اجل العيش الشريف ، لان الحرية تجوع ولا تأكل بثديها ، فالاقصوصة فاشلة اسلوبا ومادة . وفي "الاحلام الضائعة" نجد طلابا في دور

(١) البدوى قاص مصرى يمتاز بطريقته التحليلية البارعة . له عدة مؤلفات

منها : فندق الدانوب ، والذئاب الجائعة .

المراهقة يبحثون في عالم الاحلام عن مغامرات تافهة .

وتمثل "عذاب" الشعور بالجريمة يخز ضمير البطل الى جانب

الاحساس القوى بتفاهة الحياة .

وتصور "ضحية" قروية يعتدى على عفافها ملاك مترف فتقتل الفتاة

غسلا للعار ، ويظل المجرم الاثيم طليقا يمارس هوايته . ذلك - في اعتقادي -

الخطأ الاكبر الذى يقع فيه خصبك احيانا ان يعتمد الى نقل الواقع الحرفي

دون ان يدع لهوتقة الفن ان تصهر ذلك الواقع الذى زيغته حواسنا حتى

تحيله الى لوحة اخاذة ترضى الاحساس وتستكين اليه النفس بعد قلقها واضطرابها

بان ترى جريمة من غير عقاب .

وقد استعمل القاص في "احلام الشباب" الاسلوب الخطابي ليتحدث

عن شاب يلاحق بنظرائه فتاة في السيارة وفي الشارع ، حتى تصرفه عنها بالتي

هي احسن ، فجاء حديثه صورة باهتة ذات شخصيات كانها احجار الشطرنج .

لقد حاول القاص ان يسبغ على اقاصيصه صفة تحليلية ، الا انه لم

يتعمقه فجاء سطحيا قد تناول توافه الامور . "وهو في الحقيقة الجانب

الفتى الذى يعطى هذه القصص قيمتها مثال ذلك نفسية الابوين تجاه وحيدتهما

وخادمها وكلبها في قصة بوهي " . (١)

- ٢ -

احرز خصبك ، في مجموعته الثانية "عهد جديد" تقدما ملحوظا في

نضوج الفكرة ، وعمق التحليل ، ورسم الشخصيات .

وتستوقف القارئ اقصوصتان بهما بدى الكتاب وختم : ففي "عهد

جديد" تجد اسرة يعمل ربها جزارا ، اكتسب صفات الخشونة والجفاف

يحكم البيئة التي يعيش فيها والمهنة التي يمتنها ، لذا كان يعامل اسرته

بغلظة وصرامة ويتدفق السباب من فيه بسبب وبغير سبب ، يوجه القسط

(١) عبد اللطيف شرارة ، "صراع" ، الاديب ، العدد السابع ، سنة ١٩٤٩ ،

الأوفر من هذا السبب لزوجته .

برم الابن الأكبر نجم بهذه الحال ولم يطق صبرا عليها ، فطلب الى والده ان يكف عن ذلك ، لكن الوالد قابل احتجاج ابنه بالعنف ، مما اضطر نجم ان يترك البيت الى جهة لم يخبر احدا عنها ، وبعد ان تحرّى الوالد الامر وجدده قد النجا الى جزار صديق في كربلاء . كان يعلم الوالد انه وحيد في البيت ليس في الأسرة من يرضى عما فعل . فالام في احتجاجها الصامت وحزنها الدائم وامتناعها عن الطعام ، وزينب الاخت في دموعها التي لا تنقطع حزنا على فراق اخيها الذي كان برا بها وباختها ، وتالما لامها التي تقضي نهارها واجمة مطرقة تفكر في المصير الذي صار اليه نجم . وقد أثر الحزن في الوالد ، فقلت شهيته للطعام وانخفض صوته ، وغاض سيل آسباب من لسانه ، وعكف على الصلاة يومئذها باوقاتها . ثم لم يجد الجزار بدا من الرضوخ لحكم الدنيا التي آلت الى مصيرها ونهايتها ، وآية ذلك ان صار الابن يعلم والده الادب .

لقد نجح خصبك نجاحا طيبا في تصوير شخصية الجزار فابرز لنا شخصية من لحم ودم في صفاته واحواله . غضبه ورضاه وفي تشبئه بان يحتفظ بسلطته الابوية على زوجته وابنائها ، تلك السلطة التي كان ينظر اليها الجيل الماضي نظرا تقديس واحترام . . وقد استطعنا ان نحس احساسا قويا ^{عميقا} بأثر تلك المعارضة القوية في صحتها ، البليغة في تعبيرها ، حتى لم يجد مناصا من الاستسلام ، آخر الامر ، لمشية الزمان الغادر الذي قلب المقاييس واضاع من سلطان الابهاء الشهيء الكبير . ولا يقل توفيق خصبك في رسم الأم الحنون عنه في رسم الوالد ، وان كانت كثيرة الصمت ، ففي كلماتها الموجزة المعبرة ما يحمل القارئ على ان يدرك مدى الحزن الدفين المتغلغل في قلبها . كما ان الجو الخارجي الذي افاض في وصفه الكاتب ساعد كثيرا على ادراك مظاهر الصراع النفسي الذي مر على الأسرة . .

والاقصوصة الاخيرة هي "اعوام الرعب" تأتي في المرتبة الثانية

بعد "عهد جديد" . تمثل القسوة الشديدة التي تلجأ اليها الشرطة في

القضاء على اية مظاهره ، وتصور الاساليب غير الانسانية التي تستعملها ، فهي تضطر الناس بالضرب والاهانات ، الى اغلاق حوانيتهم . ومن ثم تمضي مستقصية اولئك الذين ساهموا في المظاهرة ، واذا اعيابها الحصول على بغيتها التجأت الى الاب تأخذه بديلا عن ابنه والاخ تحمله وزر اخيه . وتظل الاسرة تعاني اياما حالكة السواد من الرعب والارهاب في التفتيش والتحرى خلال ساعات الليل او النهار .

نحا القاص "في ايام الرعب" منحى جديدا ، استهدف فيه ابراز روح المقاومة ، يبيدها الشباب احتجاجا على سوء الوضع وفساده ، ولكننا نجد تقصيره فاضحا لعدم وضوح الاهداف التي يسعى اليها المتظاهرون ، كما انه حصر جهوده في الوصف الخارجي واهمل سبر غور النفوس ، ولا معنى لذلك الفزع الذي اصاب الوالد فانه غير مجد في صالح الرسالة الاجتماعية التي ينبغي ان تنطوي عليها الاقصوصة ، فكم كان جميلا لو ملك الوالد شيئا من الشجاعة والايمان فرفع يده في القضاء مهددا متوعدا بالويل والثبور في اطار من الاصرار والعزم على استخلاص حقوق الشعب .

وهناك اقصوصة تلفت النظر لانها صورة صحيحة للعراقي الذي كانت عوامل الحقد ومراجل الغضب تغلي في نفسه ، ولا يستطيع لها توجيها وهي : "صديقي عبد علي" . كان العراقي يعتقد ان سبب ما يحل بالبلد من بلاء هو "ابو ناجي" ، فاي عدو لابي ناجي هو صديق حميم للفرد العراقي ، لذا كانت انتصارات الالمان تهز عامة الناس هذا ، بنى عليها "عبد علي" واضرا به امالا جساما ، واعتقدوا ان الالمان وشبكة التحقيق على ايديهم . كما ان عبد علي رفض ان يصدق ان هتلر قد مات ، وان الحرب انتهت بغير صالح الالمان . (١)

"وقد يعمد خصباك الى قواعد قصصية مضت ينسج عليها نسيجاً

(١) اعتاد العراقيون ان يكسوا الانكليز بأبي ناجي . كما كنى الكاتب

الالمان بأبي جاسم ، وتلك كنية غير مستعملة كثيرا .

لا بد ان ينتهى بمفاجأة صاعقة تنفض على رأس القارئ دون استناد او مبرر من واقع حياتنا ، وكان انهيار المنزل رقم ٥/٤ اشبه بمفاجآت الافلام المصرية الفاشلة ، هذا مع اعترافنا بروعة الجو الانساني المحيط بالقصة . (١)

وقد حمل القاص في " قلب كبير " فلورا " الصغيرة ذات الاربعة عشر ربيعا من العواطف ما لا يتسع لها قلبها الصغير ، حتى لم تجد بدا للتخلص من هوى شخص ، يتزاحم الفتيات على حبه ، الا بان تلقى نفسها تحت عجلات الترام .

وتلك مبالغة لا شك في امرها . ولا تقف هذه المبالغة عند الاقصوتين السابقتي الذكر بل نجد في " الخاتم الماسي " حوادث عجيبة ومفاجآت غريبة شبيهة بحوادث ومفاجآت الروايات البوليسية .

اننا لم نعرف من خصبك في كتابيه " صراع " و " عهد جديد " غير عالم الصغار الذى عايشه في الحلقة وتوجه بدراسته الجامعية في القاهرة . ولا جدال في ان عالم الصغار مليء بالعواطف الجياشة غير المستقرة . لذا تجد المرأة كانت المحور الذى شاد عليه اغلب اقاصيصه ، ولست ارى في ذلك نقصا ، لان المرأة عماد الفن والملمح الاكبر ، ولكن اخشى ان يكون خصبك قد شد نفسه بوئاق متين الى ذلك العالم فلا يستطيع له براحا . وقد مضى على اخر كتاب اصدره اربع سنوات ، لم يصف اليهما ثالثا ، وآمل الا يكون معين الفن ، ومستودع الذكريات قد نضب من نفسه .

وخلاصة القول في خصبك انه كتب محاولات قصصية ، حاله التوفيق في بعضها واخفق في البعض الآخر ، كما ان تأثره باقاصيص الصحف المصرية كان واضحا في تلك المفاجآت والنهايات الصاعقة غير المنطقية . وليس بعيدا ان يخلق الجد والاناة من خصبك قصاصا يشار اليه

(١) محمد ابراهيم دكروب ، " عهد جديد " ، الاديب ، ح ١ السنة العاشرة ،

بالبنان . " وله كل الاستعدادات الطبية التي يمكن ان تجعل منه يوماً
 القصاص الاول في العراق فيما اذا استطاع ان يبرز ~~بعض~~ بعض معاصريه
 بخزارة الانتاج . " (١)

(١) الدكتور صفاء خلوصي ، " القصة العراقية " ، الاديب ، كانون الثاني ،

الفصل السادس

١٠١ صلاح الدين الناهي

دكتور في القانون وأستاذ في كلية الحقوق يهوى القصة " ويلهو بها في التعبير عن كثير من الأفكار والمشاعر كما يتخذ المتعبد من سهنته وسيلة للتهجد والاستغفار والاستذكار " (١) وهو أيضا يستشهد برأى القاص الفرنسي موباسان ليمنح لنفسه الحرية في التأليف على النحو الذي تنطلق فيه ملكاته من القيود الغليظة قال موباسان في مقدمة " بيير وجان " : " ان جميع الكتاب سواء فيهم فكتور هوغو او زولا ، تمسكوا كل التمسك بحقهم المطلق ذلك الحق الذي لا يقبل النزاع في ان يؤلفوا ، اعنى في ان يتخيلوا او في ان يمعنوا النظر وفقا لتصورهم الشخصي في الفن فان الذكاء انما ينبثق من الاصاله اى من الاسلوب الخاص في التفكير وفي رؤية الاشياء والحكم عليها ، اما النقد الذي يدعي الحق في تعريف الرواية وفقا للفكرة التي يصطنعها وللروايات التي يهواها وفي صياغة بعض القواعد الثابتة في التأليف فانه يحاول دائما ان يكافح في الكتاب المزاج الفني المبدع " (٢)

وتلك كلمة حق لا شك فيها ولكي لست اصدق ان موباسان وهو النائر على قيود الاقصوة يرضى ان يقدم اثرا يورث الصداق او عملا تنعدم فيه عناصر التشويق ، وكيف يتسنى للكاتب ان يتم له التأثير في القارئ اذا جاء نتاجه فجاء غليظا ذا عسر كبير . . انظر ماذا يقول سومرست موم " في رأي انه لا يكفى ان يعطيك الكاتب الحقائق البسيطة كما يراها بعينه - هذه الحقائق ليست حقائق بسيطة صحيحة بل حقائق شوهتها غريزته - بل عليه ان يصممها تصميما فنيا وان يقدمها لك في قالب فني " (٣)

(١) " تنبيه الاقاصيص " ، ص ٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤ .

(٣) " همزات الشياطين " ، ص ٢٢ .

وتلك الحقائق هي أضخم عيب يعترض فنية الاقصوة عند الدكتور صلاح فهي مشحونة بآراء وافكار غالبيتها يمت باقوى الصلات الى المادة التي يتوفر على تدريسها ودراستها فقد نجد عنده امثال "الضرورات تبيح المحظورات" و"الديمقراطية هي تكافؤ الفرص".

انه من الخطر على فن القاص " ان يكون اخصائيا في اية مادة من مواد المعرفة، بل يكفي ان يلم بطرف من اشياء كثيرة، وهو في غنى من ان يلتهم الخروف كله ليعلم مذاق اللحم ان كان قطعة صغيرة تقوم بالمهمة وتكفيه الشر وتفسح المجال للقوة الخلاقة والمخيلة الجيدة ان يقوموا به واجبهما في تسمية العمل الفني " (١).

- ١ -

قدم الناهي اولى مجموعتيه "اقاصيص شتى" بيد مرتجفة ولولا انها من بنات افكاره لوأدها، وهي لا تمثل على حد قوله : رأيا من آرائه او عاطفة من عواطفه ولعل صلتها به لا تعدو صلة قلامة اظفار الانسان بكنهه (٢) وما لا شك ان ذلك دفاع متهاافت لا تقوم به حجة مقبولة، وقد حدا هذا الامر بالدكتور ناصر الحاني ان يبالغ في لومه (٣) فقد طلع الكتاب على الناس على انه بنات ولدتهن قريحة الدكتور الناهي فيهن الحرية المليحة وفيهن العبدية المستقيمة .

في صناعة "الهومو-وى وى" او "بحمور الصحفي" نجده يبدأ الحديث مع صديقه الهندي محمد بها درخان سناء الدين الملك وكان يستدرجه ليحدثه عن ادب الهند وهو يريد ان يتخذ من ذلك جسرا يبدأ به اقصوته

(١) Maugham, Ten Novels and Their Authors, p. 7.

(٢) مقدمة "اقاصيص شتى"، ص ٥ .

(٣) "تثنية الاقاصيص"، ص ١٥١، من كلمة الدكتور ناصر الحاني في اقاصيص الدكتور الناهي .

فشرح يذكر "كليفة ودمنة" وان هناك كاتباً هندياً استطاع ان يعيد كتابته في ثوب هندي تشيب وجوهر قلسمي اصيل .. ثم يشير الى ان مجتمع الحيوان طرأ عليه تغير، جعل فريقاً من الحيوان يزاول الصحافة ويتخذها مهنة له وسميت هو هو ويويو .

وكان يحمور قد اولح بالصحافة ووجدها سلاحاً لنشر النفاق والفتنة في صفوف الحيوان وعلم ان التزلف والمدح خدع تفعل في نفوس الحيوان فعل السحر . مرت الايام وليس ليحمور من اتباع غير الجراء، وكانت تكرهه ويكرهها في السر ، فمضى الى الفيران وقبلهم واحداً واحداً ، واقسم زعيمهم لينصرون يحمور ، ثم ذهب الى الاسد في عرينه ولكن الاسد ساءه ان يذكر بانتزاع الملك وذهاب البأس والعز كما ورد في خطاب يحمور فهم بالفتك به ولكن السياسة اقتضت اصطناع الحلم ثم عرج على القيله فصرفوه عنهم بالحسن . ومر بالكركدن ولم تثمر جهوده معه .. ولم يزل كذلك حتى عرض الطاعة والاخلاص والولاء ، واوقف جهوده الفاشلة في الهو هو - وى وى على الخنازير والذئاب والديبه والثعالب الخ . ومن ثم شاع امره وزاع من عيوبه ما كان خفياً .

بدأ الاقصوصة بمقدمة طويلة ليخلص منها الى الحديث عن يحمور وقد شحنتها بمعلومات لا لزوم لها ولن تثمر شيئاً في فنية الاقصوصة وجاء السرد متكلفاً بلغة ليست مشوقة .. كما ان سلسلة الصفات الرديئة التي اوردتها الكاتب ناعتاً بها يحمور على المكشوف ليست من الاساليب المستحسنة في كتابة الاقصوصة ان ان العمل الرديء يعلن عن نفسه ويثير في القارئ من الاشمئزاز والكراهية ما ينسجم مع غاية الكاتب في التشهير والنقد .. ولو عارضت هذه الاقصوصة بما كتب ايوب فهد "عاصفة وصداها" من "برج بابل" لبان لك الفرق جلياً بين الاثنين بقدر ما تبحث اقصوصة ايوب من قوي الانفعالات تبحث هذه اثاراً سطحية باهتة وليس فيها من الرمز غير اسماء هذه الحيوانات يتلو بعضها بعضاً .

وفي "القصص المجهول" يروى لنا : ان زميلاً دعاه الى داره

وكان الزميل هذا يعتقد انه زعيم وادى النيل كله . وكانت الحفلة فيها ما لذ وطاب واكل المدعوون واتخموا وانبرى الخطباء يطرون الزعيم ويشيدون بفضله . ولما اكمل دراسته فتح له مكتباً للمحاماة ، ولم يزد رواد المكتب في يوم من الايام عن تلك القطه وعن جار له من اتباعه القدماء ، وكان شوما فكلما هم وزير بتعيينه سقطت تلك الوزارة ، ومن ثم اراد ان يكون قصصيا ولكن خواء القريحة كان عقبة كأداء في سبيله ، ونصح بان يتزوج الا ان مالىته لم تسعفه ، فاكفى بالخطبة وسرعان ما فسخت لعدم توفر المال ثم جادت عليه الاقدار بوظيفة حكومية تستنفد نشاطه كله ويبعث روتينها في قريحته الخمول والجمود .

تلك صورة لكثير من خيالات الطلاب في عهد التلمذة تتلاشى حينما يصدما الواقع بعد التخرج ، ساقها الكاتب في اسلوب كتابة السيرة تشوبها بين حين واخر لهجة صحفية غير مستحبة كقوله ص ١٦ " ولولا خوف الاطالة لفصلت تقاسيم وجه الزعيم المهيب ، وبنيت اوجه الشبة بينه وبين تلك الجمجمة النائرة ، ولكن اكفى بخيال القارئ الخصب لثعود الى تلك الاسباب التي تصل زعيمنا وحزبه بالسودان " .

ولم تكن سخرية الكاتب في هذه الاقصوصة موقفة . ويتكلف القاص في " خيبة امل " الحوادث تكلفا كي يتاح له عقد مقارنة بين نفسيتين خيرة وشريعة قال : كانا صديقين الفت بينهما البيئة والصناعة والجوار وتقارب العمر فكان مغداهما ومراحهما معا . احب الصديقان امرأتين ربطت بينهما الصداقة ايضا " ولقحت معركة الحب بين الاربعة ، ومضى الفريق الاول يوتر الحب الطاهر الذي انتهى الى الزواج ، واخفق الفريق الثاني في هذا المجال . ووجد الصديق العزب سعادته في الصديق المتزوج ، الا انه لم يكتف بذلك بل اراد خيانة عهد الصداقة ، فاكشف امره واضطر السى الانتحار .

يجد القارئ في اسلوب الاقصوصة هذه عننا شديدا لا يشجعه على مواصلة القراءة ، ويخيّل اليه انه يطالع درسا ثقيل في المجلة او فصلا

من فصول القانون التجارى : قال ص ٤٣ " ومضت الايام والاسابيع والشهور و طال المطل والتسويق واجتنى المحبان المترددان الثمرة قبل الاوان ، قطفاها في غفلة من عيون الرقباء وفي ساعة من سويحات التمرد الغريزى ، وسرعان ما كثر الغدر عن انيابه فخانها وخانتها ولحدر بها وكرهته ، وشقي الزوجان المحبان بالمحبين الغادرين ، وبعد جهد ولائى سوى الامر تسوية غليظة ، وافترق المحبان كما يفترق الاعداء " .

اما في " جناية النساخ " فيستعير من ابن الطفيل الفيلسوف الاندلسي قصته "حي بن يقظان " : (الذى استطاع ان يدرك ارفع حقائق الطبيعة في محاولة الوصول عن سبيل الاشراف الفلسفي الى الاتحاد الوثيق بالله) (١) ولكن مهمة حي في جناية النساخين هي البحث عن طبائع النساء ، ليستطاع محالجتهم والوقوف على اسرارهن .

يؤخذ على الاقصوة اسلوبها التقريرى ، وقد اتخذ منها القاص وسيلة لسرد ارائه في المرأة .

وهناك " الشاعر والفيلسوف " و " على رسلها " و " ذكرى العبا " ، وهي ليست الا مقالات ادبية لا صلة لها بتاتا بقواعد الفن القصصي . كما لا يمكن اعتبار " البقمولوجيه " اقصوة ان انها ذات رقعة واسعة تحلى فيها اثر الف ليلة وليلة ، واجدر بها ان تسمى قصة قصيرة . Novelette

- ٢ -

قدم الناهي كثيرا على ما فرط منه في حق مجموعته الاولى ، ان اعتبرها قلامة اظفار . لذا نجده في مجموعته الثانية لا يبخصها حقها من الاعتزاز ويصفها بقوله : " انها واتم الحق ، عصاره قلب وعقل ، وعروس من عرائس الفكر ، ولا ضير على الكاتب ان يسقّر نفسه فيحسن

(١) ابن الطفيل ، " حي بن يقظان " ، تحقيق احمد امين ، ص

تقديرها * (١) فهل حقق الناهي تقدما في هذه المجموعة ؟ انى اتنى ذلك ، فان الانسان جدير به ان يستفيد من اغلاطه ليكون نجاحه اضمن وتوفيقه اعظم فيما يرمي اليه .

في " تمثال " نجد القاص يطوى السنين الطوال حتى يصل سنة ١٩٥٠ م فيعلننا ان نبأ قد هز ارجاء المعمورة يتلخص في اكتشاف عالم كبير ، لمستودع حضارة الانسان في القرن العشرين ، وقد حوى هذا المستودع في جملة ما حوى تمثالا قد نحت مكهلا بالقيود وهو يحاول تحطيمها والتخلص منها ؛ يدعى الانسة ديمقراطية ، وقد قامت على قاعدته تماثيل لاشلاء مزقة قد صوّرت بها شعوب الارض والوانها .

وقف احد العلماء يتأمل التمثال مفتونا به ، الا ان ذلك اثار الغيرة في نفس صديقة ، كانت تحب هذا العالم وتعجب بمخايل عبقريته ، وقد ساءها ان ينصرف عنها ليلهو بالنظر اليه ، فانبهرت تهاجم هذا العالم وتسخر من اعجابه به وتسفه آراءه الحسنة في انباء القرن العشرين .

لقد سبق ان طرق شالوم درويش وانور شاول مثل هذا الموضوع فلم يكن حظهما باحسن من حظ الناهي في هذا الباب ، فهذه المادة الثقيلة بأسلوبها التقريرى قد اطلقت كثيرا من تأجج الموقف القصصى ، انظره يقول : " ومع ان كثيرين من علماء الآثار ، في ذلك العصر نددوا بحضارتنا ووصموها بالهمجية والبربرية وبلادة الحس والانانية وشهوة القتل والتخريب والتعصب الاعى وحب الرذيلة والسيطرة والمادة ، فقد وقف احد علمائهم يتأمل التمثال مليا . . "

اما " واحة في صحراء " فهي صفحة من الف ليلة وليلة لغرابسة حوادثها ومفاجأتها العجيبة ، ولا يمكن ان تصدق حوادثها الا اذا صدقنا حوادث السندباد والشاطر حسن وهي تمثل تاجرا اشترى جارية وبنى بها ، ولكنه اكتشف انها تحب ابنه البكر ، فانقم منها ببيعها لتجار الرقيق . وفي

(١) " تثنية الاقاصيص " ، ص ٥ .

الصحراء يهاجم قافلة الرقيق فارس ملثم ويختطف الفتاة ليذهب بها الى مكان قصي حيث تلتقي بابويها اللذين هربا - بعد بيعها - من وجه الشيخ .
 مما يسترعى النظر ان الكاتب عمد الى استعمال بضعة الفاظ عامية على لسان "المعيدى" (١) خلطها باخرى فصيحة ، قال ص ١٢ " انسيب ظلمه والسياط التي صبها عليك العام وانه شيخ مغتصب وصل الى المشيخة بحماية الحكومة وصاية البرطيل وسلب المشيخة من خلف المشعل ، افتقوى انت على رده ؟ فكلمتا صايه وبرطيل (٢) عاميتان ، ولن تجد معيديا في العراق يحسن مثل هذا الحديث الفصيح المشوب بالعامية .

وتجد في " امنيسة " صورة ساذجة تمثل عاملا صغيرا ارهقه العمل فتني ان يكون كلبا في قصر من القصور ، وهي ليست الا خاطرة سريعة لا صلة لها البتة بالقصة ، واذا كان ادكار الان يسو ، قد اصّر على الا تكون الاقصوة من الطول بحيث يتعذر قراءتها في جلسة واحدة (٣) ، فان هذه الخاطرة بمقدور القارئ ان يقرأها وهو ينتقل من غرفة الى غرفة في منزله .

يعود القاص ثانيا الى يحمور ، بعد ان اصبح نائبا في البرلمان ، وقد كان وهو صحافي يهاجم الديمقراطية والجنس البشري مما احدث صدى ارتياح في مجتمع الحيوان .

وشهدت حرب عوان بين اصناف الحيوان ، فاز بها معسكر الفيلسة الديمقراطي وانخذل الاسود والنمور ، واعلن القبلة العفو العام ، فشمسل ذلك يحمور ، ثم استطاع ان يرضى المعسكر المنتصر حتى اتيج له ان يغدو عضوا في البرلمان ، الا ان روح النفاق والشغب لم تخمد في صدره ، مما

(١) تطلق كلمة المعيدى على سكان الاهوار .

(٢) معنى كلمة صايه الثوب الطويل ، وربما كانت فارسية الاصل لان صايه بالفارسية معناها الظل . واراد الكاتب بحماية الحكومة اي بواسطة الحكومة . اما البرطيل فهو الرشوة .

ادى الى احداث شقاق وشغب وأحسحاب الأسود من البرلمان . وحكنا على "يحمور في البرلمان" كحكنا عليه وهو في صناعة الهو هو - وى وى .
ان في ذهن القاص كثيرا من الاراء ومواد القوانين تصطرع مع بعضها ، ولا تجد لها مخرجا الا على هذه الصورة المشوهة ، حيث تفسد على الاقصوصة فنياتها ، كما ان هذه المقارنات بين مجتمع الحيوان ومجتمع الانسان تخرجها من صفتها الرمزية التي ارادها القاص لها الى صفة الدراسة العلمية .

وهناك "اليتيم العبقري" تصور محاولة اليتيم ان يعرض انفعالاته في اقصوصة ، استطرد فيها القاص الى الحديث عن مهمة الكاتب ، وانهاها بان جعل من نفس اليتيم "مقبرة" يدفن فيها اغز عواطفه واغلاها ، وخطط على لوح ضميرة "خريطة" تلك المقبرة ، وكتب في الخيال "هنا يرقد من لم يملأوا الدنيا دويا ولا رعبا ، ولكن ملأوا انفسهم رحمة وألما فلم يخلد التاريخ ذكرهم ولا روى الرواة سيرهم" .

و"صراع" قصة قصيرة Novelette على شاكله "البفقلوجيه" ، ردد فيها عبارات مقتبسة من الادب القديم مثل قول ولي العهد لابيـه الملك : انك يا ابتي ولدتني في ساعة من سويحات الشهوة ، واخرجتني من ظلمات العدم الى ظلمات الجهالة ، اما استاذى فقد ولد عقلي وروحي ولادة عسيرة افنى لها شبابه وارحق اعصابه .

ونجد في "وساوس واوهام" خيالا جميلا يصف فيها الطبيعة والبلبل والزهرة والحب ، يذكر خلاله ما دار "بينه وبينها" من حديث ظاهره الخصومة وباطنه الود ، يقول : "خطر للزهرة ان البلبل سيقتضي ليلته في اعداد اغنية جديدة يلقيها على مسامعها ، عندما يتبين الفجر ، وتيقنت ان زهور الروض سيغبطنها على ما اتيج لها ، فاغضت وريقاتها راضية تداعب الاحلام الجميلة كما يداعب الطفل الرضيع ثدى امه الحنون ، واجاب البلبل الصداح : انت يا ملاكي معبد صغير ، قرايينه القلوب وانا لك ناصح امين ، لا تثقي بكل من يحجج الى هيكلك القدسي ، فانك الهة

غريرة ، يطفى الحب على قلبها ، فلا تخطر لها صفائر العباد على بال .
واجابت الزهرة ، وهي تبتسم من نصيحة البلبل : ان جمالي زعيم بان يظهر
القلوب من ادراجها ، فاذا هي تتلألأ في وضح الحب كما تتلألأ الماسة على
جيد الحسناء .

تلك صوفية جميلة ، فالحب عند المتصوفة يظهر القلب من ادراجها
ويطفى على النفس صفاء وراحة ، ويجردها من غرورها ، وقديما قال حافظ
الشيرازي : " يكون الحب حين يسقط عن وجهك قناع العظمة " . في هذه
الرائعة الادبية تجلت سلاسة اسلوب الكاتب وخلا من التعقيد والتكلف
واطمأن اطمئنانا قلما حظي به في " اشتاتة الادبية " الماضية (١) وهذا ما
يشجع على القول : انه في الاستطاعة ان يتطور اسلوب الكاتب بعد ان
ينفض عنه ما ينوء به من مادة قانونية ثقيلة ليستقبل الفن القصصي لا على
انه مقالة ، او منقصة استاذ في فصل ، بل فن يصور الحياة باسراق وصفاء .

٢ . عبد الله نيازى (٢)

يخيل الي ان نيازى لما يزل غامض الاتجاه مبهم الميول ، تتجاذبه
رواسب عديدة متباينة ، تعمل على جذبه ذات اليمين وذات الشمال : اظهرها
اثرا اشربة السينما ، وكتب المنفلوطي والزيات ، والف ليلة وليلة .

(١) اقترح الدكتور صفاء خلوصي في تعليقه على " اقاصيص شتى " ان تسمى
اشتاتا ادبية . ص ١٦٢ من " تنبيه الاقاصيص " .

(٢) لا يزال نيازى في عنفوان شبابه ، يشغل الان وظيفة في مديرية
التسوية العامة بوزارة العدلية العراقية ، مولع بقراءة الادب ولا سيما
القصة ، وقد اقبل على الانتاج بوقت مبكر فاخرج : " همس الايام " ١٩٤٩
وشجى طائر " ١٩٥٠ ، و " بقايا ضباب " (من غير تاريخ) ، وكلها اقاصيص
وله في القصة كتابان : " نهاية حب " ١٩٤٩ ، و " اناهيد " ١٩٥٣ .

تعوز أسلوبه ديباجة مشرقة وتركيبا سليما يخلو من بعض الاغلاط اللغوية والنحوية ، وقد يلتوى عليه الانصاح ، واشد ما يبدو ذلك في كتابه " همس الايام " ، الا انه يصيب تقدما ملحوظا في " شجن طائر " بويسير قدما من حيث المفهوم القصصي وجلاء العبارة في " بقايا ضباب " .

- ١ -

" لما يعد " اولى اقاصيص مجموعته " همس الايام " ، تمثل شابا غض الاهاب يتردد على بيت عمته وقد نشأت بينه وبين ابنتها البالغة من العمر تسعة عشر عاما : الفة ومحبة ، ولكن الفتى اخفق في ان ينصح عن حبه لها ، وكانت ابنة العم مشغوفة بقطعة تسبخ عليها حنانها وعطفها ، وكم ود الفتى ان يحل محل القطعة ! ثم يتقدم ابن عم لها اخر يطلب يدها وتزف اليه . ولما علم الفتى بذلك قطع علاقته بهم .

هذه الاقصوصة فاشلة من وجوه عديدة : فعاطفة الحب عند الفتى

لم تتضح تماما ، قال القاص : " انه كان اسيرها وحبسها دون ان يشعر بذلك او دون ان يدري هو انه كان اسيرها " ، ولن يصح في شريعة الحب ان يكون حبيسا ولا يعلم حبسه واسيرا دون ان يعرف آسره ، وعاطفة الحب لا تخفى على الصغار بله الكبار . وقد يجوز في الحياة اليومية ان نقول بسذاجة : ان فلانا ما كان ينظر الى فلانة الا كما ينظر اخ الى اخته ، لكن ذلك غير جائز قوله في اقصوصة اريد بها ان تكون اقصوصة حب وهيام . وليس هنالك من داع يدعو الكاتب في الاسراف وتحليل السبب الذي من اجله انصرفت عناية الفتاة الى قطعتها . ومثل ذلك اطالته في حكاية نوع الحياة التي كان يحياها الفتى ، اذ لا ضرورة لها اطلاقا .

وقد اورد جملا اخرى بها ان تكون في مقال لا في اقصوصة مثل

قوله ص ١٢ " وليس هناك ما يدعو في الوصف والمغالاة فيه " وقال ايضا

في معرض حديثه عن شعور الفتاة ص ١٦ " ولواننا نعلم شيئا من ذلك

لما عجزنا عن وصف شعورها وما تخفيه في قرارة نفسها " وقال ايضا

ص ١٢ "ولو اننا نختلق الاشخاص لما عجزنا عن اختلاق الحوادث لنحشرها حشرا سوا" لائم الفن القصصي ام لم يلائم " . ولا ريب في ان ذلك ينقل الاقصوة من جو الحياة الطبيعية الذى يجب ان يتغلغل في ثناياها الى جو التقرير والمقالة الصحفية .

والعبارة بصفة عامة ضعيفة ، والسرد متكلف ، وقد يحار القارئ احيانا في ادراك ما يرمي اليه الكاتب مثال ذلك قوله ص ١٤ " وشغلت من تفكيره وقتا قد يطول اذا كان الشخص ممن توجه النفس ويقصر اذا كان ممن تتلف اليه النفس ويهفو اليه الفؤاد " . يخيل لمن يطالع عنوان اقصوسته "فوضى المقاييس" ان الكاتب يريد السخرية من مقاييس المسوءولين ولكنه - في الواقع - قص لنا حياة زميلين في مدرسة ابتدائية ، فرق الدهر شملهما ، ثم اجتمعا بعد سنين متطاولة في باريس ، يدرس الاول في السوربون للحصول على دكتوراه الفلسفة ، ويشغل الاخر لينال دبلوم الرسم ، ويعودان بعد التخرج فيعين دكتور الفلسفة مديرا في وزارة الاشغال ، ويعين الرسام ملاحظا في وزارة المعارف .

"فوضى المقاييس" اذن لم تكن الا هذا الجزء اليسير من الاقصوة اما القسم الاكبر منها فهو حشو واطالة في غير فائدة ، وقد جاء نقده لاسلوب الوزارات في التعيين بلهجة صحفية قاترة .

وفي "الشمس الآفلة" فتاة تحسن الرسم ، قد ازمنت فراق حبيبها الشاعر فرسمت له صورة قدّمها تذكارا له وقدم لها الشاعر مقابل ذلك قصيدة من نظمه "وفي يوم الوداع وقف الاهل وفيهم المحب الولهان يرقب القطار يحمل معه الشمس الآفلة وفي اللحظة الاخيرة يقفز المحب الى القطار ، ليظل الى جانب حبيبته ، اذ لم يطق البعاد عنها" . لقد اراد القاص ان يكون شاعريا فجمع الفن الى الفن وربط بينهما برباط الحب العنيف ، ذلك الحب الذى يجعل البطل - لا البطلة - يذرف الدمع السخين ويرسل الآهات الواحدة تلو الاخرى . ولا ريب ان تلك عواطف مائعة لم يحسن الكاتب تصويرها كما انها لا تتفق وصفة الرجولة التي يجب ان يتحلى بها الانسان ليرتفع في عيني من يحب ، وقد رسم البطل على غرار ابطال القرون

الوسطى مع اضافة صغيرة هي ان بطلنا هذا يريد ان يرغم الاقدار على رد حبيبته .

- ٢ -

وفي "سجن طائر" - والكتاب مسمى بهذا الاسم - ينطق الكاتب طائره - على طريقة الرمز - باحاديث يختمها ينتائج يستخلصها من نظراته الى الحياة . في الحديث الاول نجد الطائر المحكي قد فقد اياه وحزن له حزنا شديدا ولكن احدا من الاخرين لم يتقدم للسؤال عنه وتخفيف لوعته . وتكون النتيجة على حد قول الكاتب : "ان كل نفس مشغولة بنفسها والحكيم هو الذي لا ينتظر المعونة من احد كائنا من كان ، ومهما كان الطلب بسيطا . وتستمع الى الطائر في اليوم الثاني يحدثنا عن قصة غرامه وكيف اخلص لحبيبة لم تختلف عن سائر الطيور في شيء ، ولكنه فاجأها يوما في احضان اخر ، فالقاها من نفسه القاءا ، واوصد الباب على قلبه . ومن ثم يورد حكيمته الثانية عن النساء "انهن لا يساوين العذاب مهما كان قليلا لان الانثى لا تتخلي عن خداعها " .

وفي اليوم الثالث يحدثه احاديث متشعبة يحاول خلالها ان يفهم اسرار الكون ، ثم كشف عن مدى ما لحقه من ضرر لاعتناقه مذهبا معيناً في الحياة اذ سجن وعذب وحكم عليه بالموت ، وتكون ثالثة الحكم : ، تحذيره الناس من نزوات الناس التي قد تدفع بالانسان الى مهاو لا يحمد عقباها . نحا الكاتب في "سجن طائر" منحى شهرزاد التي كانت تقص احاديثها وحكاياتها على شهريار كل ليلة ، تسكت في نهايتها عن الكلام المباح ، ولكن الفارق الوحيد هو ان القاص استهدف منها عرض بعض آرائه في الحياة - كما هو الشأن في بقية اقصيصه .

ويبدو تأثره بالف ليلة وليلة اجلى ما يكون في "الربوة المنعزلة" حيث يصور الحبيبة تظهر فجأة ، وما تلبث ان تختفي دون ان يعرف الحبيب كيف اختفت واتى ذهبت . ومثل ذلك يقع للراوي والربوة المعشوشبة . وقد استطاع الكاتب ان يحيط طرفته هذه بجور رومانتيكي جميل .

اما "صدى الذكريات" فتمثل شابا لم يوفق في الاقتران بمن يحب لانه لم يكن ذا مركز ممتاز ، ولكن ثقل الزمان بدله من حال الى حال ، فاذا هو قد ارتفع شأنه وعلت مرتبته ، واخنى الدهر على اسرة حبيبته فبدل غناهم فقرا ، وتتدخل المصادفات في الامر وتنتهي للحبيب الولهان بعد ان بلغ الخمسين من عمره سبيل اللقاء بحبيبته ويتم زواجهما . ويشط الخيال بالكاتب في هذه الاقصوصة حتي يبذ الرومانتيكيين في تحليلهم فيصف لنا الماء بذيوب النجوم ، كما تستحيل النفس - في عرفة - الى اثير بسبح في صمت ثقيل .

- ٣ -

اودع نيازي في "بقايا ضباب" ست اقايسى ، يوحد بين معظم ابطالها شعورهم بالضعف والصغار والحقارة وضعف الارادة والاستسلام المشين ، ظانين انهم بذلك يلتزمون جانب الخير ، كما تميز بعضهم باحاساس مرهف ، ان تتساقط دموعه بسرعة عجيبة ولاقل بادرة ، ولا يخجل البعض منهم ان ينشج نشيج المرأة الضعيفة .

ولكن آفطع ما فيهم نظرتهم الى الحياة ، تلك النظرة التي بدت جذورها في "همس الايام" وتجلت واضحة في هذا الكتاب تقوم على عدم الثقة بالانسان والاستخفاف بالضعيف ، ان يصفه بالكلب المسعور ويعجب من امر الحكومة التي تهيج قتل الكلاب المسعورة وتحرم قتل هؤلاء مع انهم جديرون بالقتل .^(١) وقال "يمينا لو ان احدا لَوَّح للخطيب بدينار ، اذن لنزل يعدو كالكلب الجائع حين يلوح له احدهم برغيف" .^(٢) ولا جدال في ان تلك نظرة خاطئة ، لا تساعد كثيرا على ان يعيش الانسان حياته محترما محاطا بالرعاية ، ويسرف القاص على نفسه كثيرا حينما ينفي وجود الفضيلة والنقاء وطهارة النفس^(٣) ، ويرمى من لا يؤمن ايمانه هذا ولا يذهب مذهبه

(١) "بقايا ضباب" ، ص ٢٦ .

(٢) "بقايا ضباب" ، ص ٢٨ .

(٣) "بقايا ضباب" ، ص ٣٢ .

المعوج بالبلاهة ، كما يأخذ على الناس حرصهم على الحياة ورغبتهم في العيش الطويل فذلك - ينظره - سخف وحمق .

وشر من تلك الآراء والنظرات جميعا قوله " ومتى كان الله حكيما .. مهزلة " (١) وقوله في مكان آخر " ليس في الحياة سماء " (٢) ولن يرتاب احد في تهافت تلك الآراء وسخفها وشططها ولقد نصح الناس بالابتعاد عنها ونسي نفسه فوق فيها . وتلك - لعمري - نظرة سطحية خاطئة يحسن محاربتها ، فضرر الاخذ بها لا حدود له ، لاننا في عصر احوج ما نكون فيه الى الروح لنحد من طغيان العادة التي صيرت الانسان والالة على حدد سواء .

واختم كلامي عن نيازي بتلك الملاحظة التي ابداءها القاص المعروف محمود تيمور ، قال : " يبدو لي ان صاحبنا من عشاق الطبيعة ومن الدعاء الى فتنها " (٣) ، وهذا واضح في معظم ما كتب ان قد يجيد احيانا تلوين الحوادث بالوان الطبيعة الجميلة ، مما يلطف كثيرا من وقع بعض الآراء ومن تهاة بعض الوقائع المسرودة .

(١) " بقايا ضباب " ، ص ٢٦ .

(٢) " بقايا ضباب " ، ص ٣٢ .

(٣) محمود تيمور " مقدمة شجن طائر " ، ص ٨ .

الفصل السابع

فصاصون آخرون

١٠ الدكتور صفاء خلوصي (١)

شاب عرف بنشاطه وسعيه المتواصل ، حصل على شهرة طيبة في وقت قصير ، لم يتح له ان يطبع من اقايصه غير " نفوس مريضة " ، وهي باكورة نتاجه ، ومستهل حياته القلمية .

قال في مقدمة المجموعة : " هذه جملة اقايص كتبت معظمها عندما كنت طالبا في قسم الاداب من جامعة لندن ، وكتبت البعض الاخر قبل ذلك وبعده " ، وقال " وقد توخيت فيها جميعا ادخال حالات نفسية على ضوء التحليل العلمي في فن القصة " .

ضم الكتاب ثلاث عشرة اقصوصة ، جعل مسرح حوادثها محيط دراسته في لندن ، واتخذ لها اسما فرنجية . وهي الى الاحاديث اقرب منها الى الاقايص من حيث المضمون والشكل . وقد حشر فيها الكثير من الاراء والمعلومات

(١) ولد الدكتور صفاء خلوصي في ١٧ آب سنة ١٩١٧ ببغداد من أب محام . وطاف بالوية العراق المختلفة ، واتم دراسته الابتدائية والثانوية ببغداد ثم رحل الى لندن حيث درس الاداب في جامعة لندن ثم عاد الى بغداد وقام بالتدريس في المدارس الثانوية وعين سنة ١٩٤٣ ملاحظا للترجمة والنشر في ديوان وزارة المعارف حتى ايلول سنة ١٩٤٥ اذ رحل الى انكلترا بعد ان عين استاذنا في معهد الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن وقد قام بتدريس الادب العربي فيها مدة خمس سنوات وفي سنة ١٩٥١ عاد الى العراق وعين استاذنا في دار المعلمين العالية وفي سنة ١٩٥٣ رحل الى امريكا وقام بالتدريس في جامعة ييل وبالقائه المحاضرات في جامعة برنستن وشيكاغو . وفي

على هيئة تقرير واستشهاد واقتباس .

في "الباحث عن الحقيقة" يرينا "بيتر" يتطلع الى المرأة ، مسائلنا من انا ؟ وتدخل عليه "دورين" وهو في هذه الحال ، وتساله عما يصنع ؟ فيقول : انه يفكر ليدرك الحقيقة ثم يشير الى كتب الفلسفة المقدسة أمامه ، ويتناول بالذكر : ديليوجي ساليغان وكتابه حدود العلم وجوليان هكسلي . وينتهي الحديث بينهما بان يرشد دورين الفاتنة الى ناد يختلف اليه العظماء عليها تجد من بينهم خطيبا لها .

وفي "قتلت الشيخ" يفتعل القاص الاحداث افتعالا لينم له هنا ، اقصوصة ذات جو نفسي . ادهم شاب شرقي احب بامبلا ولكنه كان يحقد على اخيها لزلتي لكرهه الاجانب ، ويتبغدد ادهم ويصمم على ان يقف عجرفة لزلتي عند حدها ، الا انه ينزل عند توسلات بامبلا ويقطع عن فكرته وتخبره انها ستضحى باخيها من اجله ، وبذلك تقر بلابله ويستكين جأشه وينتفى قلقه ، لان الشيخ قد قضى عليه . وقد جرى الموقف بين ادهم وبامبلا على صورة مشهد سينمائي تناول الحوار فيه ، الحب الذي ينبت زهرة في كل مكان . وعلى النقيض من ادهم رفاه في "تلك كانت خطيبتني" فقد احب سوزان السويدية واحبته ، ولكن انظمة وزارة المعارف وقفت عقبة في طريق

٢٦ ايلول سنة ١٩٥٤ عاد الى بغداد ليستأنف التدريس في العالية .

مؤلفاته : (١) نفوس مريضة

(٢) بنت السراج او رحلة الى اسبانيا

(٣) الرصافي (بالانكليزية)

(٤) ابو نواس (غير مطبوع)

(٥) فن الترجمة (يصدر في الشهر القادم)

ومقالات عديدة في الادب العراقي المعاصر في مجلة "الاسلامك ريفيو" اللندنية مع قصص وبحوث بالانكليزية في المجلة ذاتها وفي

Islamic Culture, Islamic Literature, Muslim World

الاميركية والهاتف والبلاد والახبار والاديب والهلل والثقافة

والرسالة وغيرها من الصحف العربية .

زواجهما ، فلم يجد مفرا من الانتحار .

وامر كهذا يصعب ان نجد له ظلا من الواقع ، ان لم تقف انظمة
في يوم من الايام حائلة بين الرجل وحييبته ، اذا كان الحب الصادق يبارك
تلك العلاقة ، كما ان التضحية بالوطن التي اراد ان يرسمها الكاتب غير
مفهومة ولن يكون الزواج بالاجنبية تضحية بالوطن !!
وفي "سلطان المرأة" يمثل لنا امرأة تشتغل بالتمثيل وقد نالت
شهرة عريضة ، جاءها فيلسوف يلتزم ان تقوم ببطولة الدور الاول في سيناريو ،
عنونه باسم الشرور الثلاثة : المرأة والحب والصدقة ، ولكنها ترفض الاشتراك
في التمثيل ، لانها لا تقرأ فيما ذهب اليه . ثم تعلم ان الفيلسوف مغرم بها
فلا ترى مانعا في مطارحته الغرام ، على شرط ان يكتب قصة يمجّد المرأة
فيها ويورد البراهين على تفوقها وامتيازها فيرضخ لشرطها ويعدها بتنفيذ ،
وبذلك يصبح ثالث ثلاثة في حب الممثلة ، واما الاخران فهما مدير الاستديو
واللورد جورج .

ولكي يتم للكاتب البرهنة على غرور المرأة : يدفع الفيلسوف الى
الزواج من حسناء امريكية ، ويهيء المصادفة للقضاء على اللورد جورج ومدير
الاستديو في حادثة اصطدام ويترك الممثلة تعض بنان الندم لانها لم تكن
ترضى بواحد من هؤلاء الثلاثة .

ولكن هذا التكلف وتلك المصادفات والمواد التقريرية التي يحشو
الكاتب بها اقصيصه يخلق لها المناسبة خلقا ليربح صدره من ثقلها ، تقل
وطأتها قليلا في اقصصه "اللمس المثقف" و"ثورة الدكتور جوليان" .
يصور في الاولى استاذنا قد ملأ قلبه الرعب وتناوشته الهواجس
في غرفة نومه لانه ابصر ظل شجرة كبيرة على ستائر النافذة في ليلة
مقمرة - فخيّل اليه انه لص جاء يزهرق روحه ، فيتعالى صراخه وتستيقظ
زوجته لتسأله عما به ، فيومئ اليها الى ما اطار صوابه فتتجه نحو النافذة
بقدم ثابتة وتطل منها على الحديقة فلا ترى شيئا ، وتغلق له النافذة وهي
تسخر منه . بالرغم من ان القاص قد وفق في رسم الاستاذ وسرد هواجسه

في جو مناسب مشوق ، الا ان لغته لم تبرا مرة واحدة من بعض الاصطلاحات العلمية كقوله " ان شفتيه كانتا عاجزتين عن اخراج اصغر المقاطع الصوتية " .
واما الثانية " ثورة الدكتور جوليان " فتتلخص في حاجة الرجل الى زوجته لتطمين رغبته الجنسية ولما لم تستجب الزوجة لهذه الرغبة خانها مسع اخرى .

وصفوة القول في الدكتور خلوصي : ان اقاصيصه في " نفوس مريضة " لا تمثل بصورة صحيحة فقد كتبها وهو لما يزل طالبا ، وعلى هذا يتعذر اصدار حكم عليه فيه الصواب كله . واما آثاره الاخرى فموزعة على مجلات وصحف كثيرة في اماكن شتى .

٠٢ محمد روزنامجي

للروزنامجي شبيه من فؤاد التكرلي ، فقد راح يبذل الجهد لينحو منحى عبد الملك في تداعي المعاني . ينظر الى الحياة نظرة سوداء ويراها سأمًا في سأم ، وتلك نظرة عجيبة تصدر عن شاب في مقتبل العمر ، حقيق به ان يتدفق حيوية ويطفح املا وثقاؤلا بالمستقبل ، وهو ما انفك يردد لهذه النظرة في معظم ما يكتب لا يتحول عنها الى سواها ، حتى ليسهل على الباحث ان يصمه بضيق الافق وعجز الخيال عن الاضطراب في مجالات الحياة الفسيحة ، دون ان يتعسف في حكمه .

في " عبيد الزمن " (١) يصور البطل بنظرته القائمة للحياة ، يتطلع في ساعته فيراها تلتهم الوقت ، ومعها العمر يمضي ويذهب حيث يقابل حبيبته " نور " فيشخص ببصره الى الساعة على الحائط ويقول : ليل .. نهار .. ليل .. نهار .. تك .. تك .. الحياة تسير ثم ماذا يا نور . ونور هذه لا تكره في الدنيا شيئا مثل كرهها لنفسها ، ويرى انها على حق هي ونحن -

(١) نشرت بالاديب ، جزء ٨ ، السنة الثامنة ، آب ١٩٤٩ ، ص ٤٢ .

على حد قوله - الا عبيد الزمن ، نرزع تحت قيوده ، ثم يتساءل : " اى حياة اعيشها ؟! ويحسن انه يكاد يمل هذه الحياة " .

لقد وفق الكاتب في تصوير نفسية البطل ومقدار تفاهته لكونه عبدا للزمن ، الا ان نظرتة الى الحياة مغلوبة من الاساس ان لا يصح ان ننقل هذه السوداوية الى الناس لبغضهم انفسهم ، ونحملهم على ازدراء العيش ونزهدهم في اجمل اللحظات ، وننقص عليهم هناهم وراحتهم . فينقلب كل شي في اعينهم جحيما لا يطاق .

وفي " رائحة الحياة " (١) تكرار ممل لنظرتة السابقة ، بفارق واحد هو انه هنا اشد عتمة مما سبق ، فرائحة الحياة ^{نسنة} فتتكرس ، والظلام مخيم في كل مكان ، ثم يورد صورا قاتمة يحيطها بغموض شديد ، لا يستبين القارئ معها وجه العلاقة بين صورة وصورة : فمن زنزانة مظلمة قضى فيها ثلاث سنوات الى ذكريات عمرها خمس عشرة سنة ، ومن حليلة وفهيمة والشيخ محمود وملا عثمان الى مقهى " الاسطى حسن " . وقد لَوْن جميع ذلك باوساخ الدنيسا والرعد والبرق والامطار وصوت الباب ورائحة الفقر وكل ما يؤلم ويشجي . وها هو ثالثة في " بشر وارض وزمن " (٢) ما زال ساخطا ، ناقما ، يعلن شكواه ويبث آلامه ، قال " انه يحسن ان الحياة ، حياته على الاقل ، أمست لا تطاق " . وقال " نحن موجودون ، موجودون فحسب ، مجرد وجود ، بشر وارض وكفى اى شي ؟ وجود ، مجرد وجود ، بشر وارض وزمن " ثم يجنح الى لهجة تقريرية ليحدثنا عن مستوى الحياة فيقول " اما مستوى الحياة ، مستوى العيش ، اما القيمة قيمة الانسان لا شي " . لا شي مجرد وجود " .

وتزداد نظرتة سوءا على سوء ، وفي قوله : " واى عدم امر من حياة جردا " جليدية بلاعواطف ، بلا مشاعر ، بلا افكار ، حياة لا يلونها الا

(١) نشرت بالاديب ، جزء ٤ ، السنة التاسعة ، ٤ ابريل ١٩٥٠ ، ص ٤٢ .

(٢) نشرت في مجلة الاداب ، العدد الثاني عشر ، السنة الاولى ، كانون

السواد ، والليل بلا نجوم ، والضجر ينثر تماويله ، الخ .
وهذا اسراف على النفس لا طائل تحته ، وارهاق للاعصاب يكمن فيه
خطر جسيم ، ولا جدال ان ما يصف القاص او هام تعشعش في ذهنه ادعو
الله الا تفرّخ ، ففي تفريخها شر مستطير .
وهذا دأب الكاتب في " قطار الجنوب " (١) وفي " بشر وقش وانكار
ميتة " (٢) وغيرهما . كما اصطفى لنفسه كلمات يطيل ترديدها تكشف عن اتجاهه
السابق : مثل القي ، والغثيان وجيفة ورائحة ونتنة وزمن ومستنقع الخ .
وارجو مخلصا ان ينجو الكاتب من تلك السوداوية ، ويحرر نفسه
من اسر التقليد حتى يتيح لجناحيه الصغيرين مضطربا واسعا .

٣ . غائب طعمة فرمان

لست اعرف له مجموعة غير " حصيد الرحي " ، وقد ضمت خمس
اقاصيص ، افرغ فيها نظرتة الى الادب المستخلص من البيئة ، المعبر عن
الشخصية العراقية بظروفها المتباينة وامانيها واهدافها في الحياة الحرة
الكريمة . (٣) وعلى هذا اجتنى ابطاله من الطبقات الفقيرة المعدمة ، الكادحة
من اجل لقمة العيش .

وقد نجح في تصوير واقع تلك الطبقة الا انه اسرف في رسم الصور
وتلوين ملامح الابطال ، واطال في الوصف الخارجي حتى غطى على مجرى
الفعل في الاقصوة نفسها ، وكثيرا ما اتخذ من البطل خطيبا يردد اهداف
القاص وفلسفته في الحياة ، وهذا واضح في " نعمه " الذي جاء " ينيى " حماته
باضرابهم ، لان ثلاثة من رفاقهم فصلوا عن العمل . (٤) ويخيل الي انه اخفق

(١) نشرت في الاديب ، مارس ١٩٥٤ ، ص ٣ .

(٢) نشرت في الكاتب العربي ، عدد شهر مايس ١٩٥٤ .

(٣) مقدمة " حصيد الرحي " ، ص ٦ .

(٤) " حصيد الرحي " ، ص ٢٦ .

في وصف شعور الام حينما علمت بسجن ابنها ، اذ اسبغ عليها من الاطمئنان وهدوء الاعصاب ما لم نعهده عند مثيلاتها من النسوة في تلك المواقف ، وأنطقها من الحديث ما لا يتفق وسذاجة هذه الطبقة قالت " ان كثيرا من الشباب الجميل كالورود ينامون معه في غرف مظلمة ، لا تصلح لان تكون اسطبلا لخيول العربات ، شباب من مختلف الناس .. محامين .. اطباء .. معلمين " . (١)

في " بيت الخنافس " يصف التعاطف الجميل بين افراد الطبقة الفقيرة فالتلميذ المحتاج يستدين من " بائع التشريب " ليدفع ايجار غرفته ، كما عرض التلميذ مساعدته على صديقه هذا لما احتاج اليه . وفي " موت امل " نجد " مرهون " يذهب الى ام خيرية يحمل اليها صداق ابنتها ومن ثم يزور خيرية في البيت الذي تخدم فيه ، ويدخل الحديقة متلصحا فيتهم بمحاولة السرقة . ويعلم بعدئذ ان خيرية غاوت الى البصرة بصحبة مخدميها دون ان تستأذن امها او خطيبها . تهدو حوادث هذه الاقصوة غير طبيعية قد تكلفها القاص تكلفا فحمل الشاب المحب على دخول الدار من غير بابها ، ليتم له ذلك الموقف المسرحي يستمع فيه الى ربة الدار تعلمه بامر خيرية وسفرها وهو مقبوض عليه بتهمة السرقة ، ولا شك ان ذلك تليق للحوادث قصد به خلق الاثر المؤلم . وفي " صورة " يعود الى غرفة طالب ليصفها كما وصف غرفة زميله في بيت الخنافس وهي تمثل شابا قد افلس حتى لم يعد يملك ما يدفع به ايجار غرفته او يسدد دينه للبقال الذي يترصد غدوه ورواحه كل يوم ليستخلص حقه منه .

ونقرأ في " مزرعة الحقد " مقالة يتحدث بها الكاتب عن نفسه مستعملا ضمير المتكلم .

اما لغة الكاتب فيعوزها الكثير من العقل والتهذيب ، وقد اعتذر

عن ضعفها بحمله الصحفي ، لانه مضطرا ان يرضي الآلة العطشى وان يسد جشعها "الازرق" (١) ، كما تعثر بين سطوره على تعابير غريبة شبيهة بتعابير الرمزيين ، مثال ذلك قوله : " وتتجاوب خفقات نعالها في السكون البارد كقدم الميت على نغمات بلها " (٢) وقوله : " وفي اعماقه توقدت جذوة من الثورة المستعرة خلفها حرمان جاف وعمر وصبر طويل العنق " (٣) . والى جانب ذلك لا يشق عليك ان تجد عبارة جميلة ذات جمال وبيان ، مثل قوله : " كان وجهه المجدر بشما كالخيانة وجسمه الغليظ قذرا كالبالوعة وثيابه مهلهلة كعقل مجنون " (٤) .

٤٠٤ عبد الرزاق الشيخ علي

الشيخ علي من كتاب الفكرة ، لذلك لا يعنى بفتية الاقصوة الا بالقدر الذى تخدم اغراضه وتحقق اهدافه ، وقد يجد الناقد حرجا كبيرا بان يطلق اسم الاقصوة على بعض ما اودع الكاتب في " حصاد الشوك " فهي مقالة ادبية لا شك فيها ، مثال ذلك " في منتصف الليل " و " صورة عارية " . وقد بدأ الاخيرة بالحديث عن رجل يبغى لاهنته الفاتنة شابا ذا ثراء مع انه لا يملك من حطام الدنيا شيئا غير ريفته العسكرية الكبيرة التي تشفع له ان يضع مثل هذا الشرط . ويوافق اخيرا على تزويجها من رجل هرم يملك مالا كثيرا . ثم ينتقل القاص بعد ذلك ليحدثنا عن " المبغى العام " حيث نجد تجارة حرة تحرسها الحكومة بقوانينها وشرطها . وفي " على الحديد " يتحدث عن شاب لا هدف له في الحياة ولا يستطيع ان يستقر على غاية ، حتى دخل سعيد في حياته فعبّر منه

(١) " حصيد الرحي " ، ص ٥ .

(٢) " حصيد الرحي " ، ص ١٤ .

(٣) " حصيد الرحي " ، ص ٤٩ .

(٤) " حصيد الرحي " ، ص ٥٣ .

صاحب مبدأ راسخ . فأتسع نشاطه ومارس الكتابة في الشؤون العامة حتى
أسى يشار إليه بالبنان ، إلا أن ملاحقة السلطات له وسجنها إياه ، اضطره
إلى الاعتراف بمن حبب إليه تلك الفكرة ، فإذا هو سعيد فجيء به وتعرض
لصنوف التعذيب ، لكن ذلك لم يحمله على أن يشي بالآخرين .

لقد تكلف الكاتب هذا الأمر وافتعل الوقائع لتصح له المقارنة
بين صنفين من الناس : صنف اعتنق الانهزامية - على حد قوله - وآخر
ثابت على النضال ، ولقد أخفق في أحداث التأثير اللازم لاضطراره إلى
الترام تلك الفكرة منذ البداية ، حتى غدا أسيراً لها يسير حيث تشاء ويقول
ما لا حاجة إليه .

ومثل ذلك " رباب " يصور فيها زوجة قد داخل قلبها القلق
وخيمت عليها الكتابة لأن زوجها قد تأخر عن ميعاد عودته ، وبعد البحث
المضني علمت أنه سجين لا شراكه في مظاهرة ، وطفقت تواصل زيارته في
السجن كل يوم وتظهر جزعها عليه ولكنه كان يسألها أن تتحمل ، وأن تعبر
نفي الصبر الظفر . ثم تشترك في مظاهرة وتقتل فيها ويظل زوجها السجين
جاهلاً الأمر ، حتى يطلق سراحه فيذهب إلى قبرها ليلقى عليها آخر نظرة .
وقد خفف من لوعته أنها ذهبت فداءً للحرية والوطن .

بالرغم مما في أسلوب هذه الأقصوصة من شجن يمس أوتار القلب
وتصوير بارع للكثير مما يلقي السجين ، لكن الخطاب الوعظي الذي تخلل
سطورها أفسد عليها فنيتهما وجعلها قريبة من جو المقالة .

أما " زوجة فنان " فنجد فيها الهوة الواسعة بين عقليتين :
عقلية الزوجة التي تريد من رجلها أن يكرس جهده لكسب لقمة العيش ،
وعقلية الرجل الذي أولع بالمطالعة ولا يستطيع تركها . والزوجة تسخر
دائماً منه ومن صديقه الشاعر الذي ضرب على أم رأسه لأنه مجسد الحرية
وتغنى بها ، ويسخر الكاتب في " حمامة السلام " من هيئة الأمم المتحدة
لتشدقها بالسلام ولا سلام .

وهكذا نجد الشيخ علي تنصرف عنايته بكليتها الى تحقيق اهدافه في كتابة الاقصوصة وتضمينها افكاره ، ولا يعنيه بعد ذلك اجاءت مطابقة للشروط الفنية ام لم تجى .

• • مهدي عيسى الصقر

لم ينهبا للصقر ان يصدر غير مجموعة واحدة ، ضمت تسع اقاصيص ، تناول بها الطبقة الفقيرة فوصف فقرها وحالات القلق والاضطراب بسبب صفونها ، وسعيها المضنى في سبيل العيش ، ولكن تعوزه التجربة العميقة ، والتحليل الكامل ، كما انه قد يفتعل الوقائع ويبالغ في الوصف اعتمادا على ما سمع وما تنوّل بين الناس حتى تضخم وغدا اقرب الى الاسطورة منه الى الواقع الصادق . ففي "علبة الثقاب" يجعل للوجيه من المكانة في نفوس العامة بحيث اذا انتقل الى الصفوف المتقدمة في "الملهى" خيم الصمت عليهم وامسكوا عن الصخب رهبة واجلالا . وهذا امر غير معهود في ملاهينا العراقية ، مع الاعتراف ان اهل البصرة - بما تحدر اليهم من تقاليد سحيقة بالقدم - ما زالوا يطلقون على الاغنياء والتجار منهم لقب الاشراف ويحتلون - بالحق او بالباطل - مكانة ذات سطوة ونفوذ . الا ان الناس في الملهى يتحللون من القيود ويمضون في مرحهم ولغسطهم دون ان يقيموا وزنا لاحد . وهناك نادرة ، ما فتى اهل البصرة يرددونها ، خلاصتها ان وجيها كان يولع سيكارة معشوقته بفئات العملة الكبيرة ، وقد استفاد القاص منها فجعلها قاعدة اقصوصته ويؤخذ على الكاتب ايضا كلمات الاستهجان التي اطلقها على العامة مثل رعاك وسوقه وما الى ذلك في حين انه نصب نفسه مدافعا عنهم فكان الاجدر به ان يتجنب مثل هذه الالفاظ .

ونعهد مثل هذا التهافت في "بكاء الاطفال" ان نجد رجلا مع زوجته وطفله قد استقلوا القطار ، وانخرط الطفل في بكاء متصل نتيجة ما يشعر به من جوع ، برم الرجل ببكائه حتى ودّ لو قدفه من نافذة القطار

وارتاح منه . ولم تعرف الام كيف تدبر طعامه ، معها الحليب الا انها بحاجة الى الماء الساخن والسكر ، فتقدم احد المسافرين وهياً لهم الماء الساخن كما تبرعت امرأة بالسكر ، وقد عرف فيها الرجل ماضيه القديم وحبه الاول لها .

تكلف القاص هذا الامر تكلفاً اذا لا يعقل ان تهمل أم طعام ابنها واكثر من ذلك الا يستطيع الرجل تدبير الماء الساخن والسكر في محطات القطار الكثيرة . ولكنه عمد الى ذلك ليخلص منه الى الحديث عن ماضيه القديم مع المرأة صاحبة السكر ولو انه بدأ اقصوصه من دون تلك المقدمة المفتعلة لكان اقرب الى النجاح .

واما في "المواطن الجديد" فقد وفق في اعطاء صورة صادقة عن الفقر والحاجة ، كما وفق في تلوين تلك الصورة بالوصف الخارجي ، الا انه افسدها "بإطلاق رصاصة في اقصى المدينة" ، يريد بذلك ان يوهى الى القارئ ان الزوج خرج يسرق ما تقع يده عليه ليدبر بعض المال يسد به حاجة طفله الجديد وزوجته النفساء ، وليس القارئ بحاجة الى مثل هذا التفصيل والايحاء ، ان يكفى ان تتحسس المرأة فراش زوجها بعد منتصف الليل ليدرك النهاية المؤلمة . وفي "عوا الكلاب" مبالغات كثيرة عن حياة الطبقة المترفة وشطط في الوصف غريب .

واقصوصاته "مجرمون طبيون" و"القطيع القلق" لا تخلفان في نفس القارئ اى اثر ، لانهما لم تستوفيا نصيبهما من الانفعال التام بحياة تلك الطبقة ، كما انه لم يكن متمكناً من هذا الاسلوب الذى عمد الى استخدامه في السرد تمكن عبد الملك نوري وفؤاد التكرلي مثلاً .

وخير اقصيص المجموعة هما "الضباب" و"الطفل الكبير" . تمثل الاولى "عوني" الاعراي في يوم عاصف ، قاصف ، مطير ، جلس يرقب بقلق زائد بقرنه لثلا تقطع الحبل ، حتى هدأت العاصفة وانقطع المطر ، الا ان البقرة قطعت الحبل واتجهت صوب سكة الحديد واضطجعت عليها ، ولما خف عوني لزحزحتها عن السكة ، ادركه القطار وهشم عظامه ، في حين

تمكنت البقرة في آخر لحظة من الفرار .

في هذه الاقصوصة كثير من الصدق ، نجح القاص في تصويره ، كما استطاع ان يرسم سذاجة الاعرابي ببراعة ، ولكن النهاية لم تكن متوقعة ، لذلك لم تنتج من الاثر ما قدّر لها الكاتب ، والسبب " ان نمو المشكلة عنده لم يكن ملحوظا ، وهذا ظاهر في كل قصصه ، بل هي تنمو فجأة في النهاية فيضيع هذا على القارئ الشيء الكثير " . (١)

اما الاقصوصة الثانية " الطفل الكبير " فتكشف عن ثورة زوج وهياج اعصابه واندفاعه في تحطيم كل ما صادفه حتى ذلك الصندوق الذي يضم اعز ذكريات الزوجة واغلاها ورمز املياء في دوام سعادتها ، فأتى عليه ومزق جميع ما فيه من رسائل . ولما عاد اليه هدوءه وسكن اضطرابه ندم على ما فعل وتقدم اليها يطلب الصفح عنه ، ولكنها ظلت صامدة واجمة يأكل الحزن قلبها كأنها شكلت عزيزا عليها حبيبا الى قلبها . لقد استطاع الكاتب ان يصور احساس الزوجة من غير اسراف وان يرسم حزنها ووجدها من غير شطط . وهذا مما يبعث الامل في مستقبل القاص الادبي ، ويشجع على القول : انه يسير في السبيل المؤدية الى استكناه هذا الفن والاحاطة بأصوله .

٦ . كارنيك جورج

— ١ —

اديب ناشئ ، اغرق نفسه في الحب الى الانقان ، فهو مادة اقاصيصه كلها في كتابه : " سهاد البريئة " و " دموع عذراء " ، ولن تجد غير الحديث عن الحب واللقاء والقبل والعناق والمطاردة في الشارع وفي السينما على

(١) احمد كمال زكي ، " مجرمون طبيون " الهاتف ، العدد ١٢٩٦ ،

السنة العشرون ، تموز ١٩٥٤ .

غرار ما يفعل طلاب المدارس تماما ، لذا بدا الكثير من صور الحب التي عرضها القاص اقرب الى العبث منها الى الاقاصيص الناضجة ، فهي تحليلي في الخيال ، واسراف في المواقف الغرامية لا يصدر الا عن مخيلة مراهق ، يحس الاشياء باعصابه الملتهبة وينظر الامور بعيون جائعة .

في "سهاد البريئة" يصور حبا بين اثنين قد ملك عليهما القلب ، ولكن ألما يحز في نفس الفتاة لا تستطيع البوح به ، وكم حاول الحبيب ان يعرف سر هذا الالم ، الا انها كانت تصده عن ذلك وتكتم الامر عنه . وبعد لأي صارحته ان عمها اعتدى على عفافها ، وكان يببب رغبته فسي الزواج منها .

وعلاوة الاستفهام التي ترتفع غالبا بعد قراءة هذه الاقصوصة هي : هل يمكن وجود امثال هذا العم ١٢ وهل هنالك دين على وجه البسيطة يبيح للعم ان يتزوج ابنة اخيه ١٣ ان الاغراق في المبالغة وابراد ما يناقض الحياة لا يصلحان ابدا كاساس صحيح لاقصوصة فنية جديرة بالاحترام . وفي "الطريق" ترى فائزا ونزيها تربطهما صداقة متينة . يضطر فائز للسفر خارج العراق لغرض الدراسة ، ويلحق به نزيه بعد حين ، ولكن يلحظ تغيرا في صديقه عن ذي قبل . وفي طريقهما لسماع محاضرة في الطب يضطر نزيه للعودة الى البيت ، وبما انه لا يعرف الطريق جيدا لحدائث عهده في المدينة ، يشير فائز الى فتاة صادف مرورها في الوقت المناسب ويطلب اليه ان يقفوا اثرها لانها تسكن في البيت المجاور ، وتخدم المصادفات نزيها فينخلع كعبد حذاء الفتاة ويتقدم منها باذلا معونته ، وبما انهما يعيشان في عصر السرعة فلم يشأ فائز ، ان يذهب الوقت سدى فيخطبها الى نفسه . وعندما عاد صديقه اخبره بالامر فاصفر وجهه واضطرب كثيرا ، لانه يهيم بها حبا .

لا مراء ان المصادفات الغريبة هي الاساس في بناء هذه الاقصوصة ، لذا هدت متكلفة ضعيفة الاثر ، كما لم يكثر الكاتب كثيرا برسم شخصياتها مما جعلها باهتة اللون ، واسلوبه غير معبر .

وفي "ضحية" يقوم كيان الاقصوة على المبالغة والمصادفة : اذ يقتل اخ اخته لانه رأى منديلها مع صديقه الذى كان يجالسه قبيل الحادث وعاد ثانية ، الى مجالسته بعد اقتراف الجريمة ، فحادث كهذا - ينظر الكاتب - لا يؤثر على علاقات الصداقة ، والذنب ليس ذنب الرجل انما هو ذنب المرأة . ولكنه علم بعد ذلك ان هذا المنديل المجرم قد التقطه الصديق من الطريق مصادفة بعد ان طار من على الحبل .

- ٢ -

ويظل كارنيك في مجموعته الثانية "دموع عذراء" على طريقته في الاغراق والمبالغات ، اضاف الى ذلك ان طابع السرعة في كتابة هذه الاقاصيص جلي في تفكك حوادثها وهلهلة اسلوبها . يروى لنا في "رجلان وامرأة" ان شابا يذهب الى الملهى فيقع في حب راقصة ويقنعها بالزواج منه . وبعد ان يتم الامر يستأذن اياه في الزواج ، فيقص ابيه عليه تجاربه المرة مع أمه التي طلقها لأنها خانتة . وبسأل الابن اياه ان يتيح له رؤية امه فيفاجئه الاب بقوله : انها تلك التي كانت تتأبط ذراعك بالامس . وهي بعينها التي خطبها الابن الى نفسه .

كيف يريدنا الكاتب ان نوّمن بهوتوع مثل هذه المصادفات الغريبة ، وان نصدق ان زواجا يتم بين ابن وامه دون النظر الى فارق العمر الكبير ، بهذه السرعة القياسية . ان مثل هذا المراء لا يصلح مادة لاقصوة ابدا . وفي "الفريد" صورة لعبث الطلاب وتندرهم بزملائهم واستغلال نواحي الضعف في بعضهم للضحك واللعب . يبعث زملاء الفريد اليه رسالة ، يوهمون بها انها من فتاة متيمة به تسأله لقاء في السينما ، وحينما ذهب في الموعد المعين وجد زملاءه تعلو وجوههم ابتسامة السخرية والظفر . وجملة القول انه من خطل الرأى ان نعتبر كل ما يدبجه يراعنا ادبا او قصصا يستحق الحياة والنشر ، فالتأني والاستعداد الكافي واختار

التجربة اساس في النتاج الصحيح . وهذا كله قد حرم منه كارنيك جورج .

٥٧ . خالد الدرة (١)

لم يقصد خالد الدرة حينما كتب قصصه واقاصيصه ، ان يأتي بمعيات والغاز ، او ان يشيع هوايته الادبية ، انما كان يهدف الى نقد الاشخاص نقدا مباشرا لا مواربة فيه ، لاعتقاده الراسخ بان احوالنا الحاضرة قريبة الشبه ، في فوضاها وتفسخها باحوال روسيا على عهد القيصرية ، مما حدا بالكتاب الروس ان ينصرفوا عن الادب الفني الى واقع الحياة . وما سماء تجوزا بالقصص انما هو وصف صريح لاعمال بعض كبار موظفي الدولة ، يصرح باسمائهم احيانا ويلجأ اليها احيانا اخرى .

- ١ -

ففي "قصص الاتهام" نجد خالدا المحامي قد توكل في الدفاع عن فريق من الموظفين نسب اليهم استغلال مناصبهم فيما يعود عليهم بالنفع فسخر منهم بقسوة بالغة، وبرر تصرفاتهم تبريرا مضحكا "كان له عند كل واحد منهم ثارا لا يجد سيلا لاخذه الا بلسانه" . (٢)

وهذا الكتاب ليس من الاقاصيص في شيء انما هو مقالات و"محاضر" محاكمات اجراها الكاتب ليتخذ منها وسيلة للتشنيع .

(١) صحافي عرف بنقده اللاذع في مقالاته وقصصه ، اصدر مجلة الوادي وكان التعطيل يلاحقها دوما ، من مؤلفاته المشعوز ، ولقتل الضجر ، وقد صودر الكتابان وكتب مسرحيات وقصصا لم يضمهما كتاب ، هل نشرت على صفحات مجلته ، مثل مزعل باشا ، والمتنى ، ووزير المظالم ، وصوفي في الجحيم ، واشهر كتبه المطبوعة ، في قصص الاتهام ، وافول وشروق ١٩٥٣ ، وطبيعة الاشياء ١٩٥٥ .

(٢) قلم التحرير ، "في قصص الاتهام" ، الكاتب المصري ، المجلد الرابع ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ، يناير ١٩٤٧ .

- ٢ -

ولكن ركون خالد الى الهدوء بأبعاده عن ميدان الصحافة قد هيا له ان يخرج كتابه "طبيعة الاشياء" وقد ضم خمسة اقاصيص اصطفى ابطاله - على خلاف عادته - من عامة الناس ، هم ، طفلان وأم ومدرس ومحام .

في "تحدى الظلم" نجد الطفل احمد الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره ، قد ارهقه ابوه باعمال ناء بها جسمه الصغير ، حتى لم يجد بدا من الثورة والتمرد على سلطان ابيه الغاشم فأهمل اوامره وانطلق الى الشارع يشارك لداته اللعب والمرح .

تنطوى هذه الاقصوصة ، على فكرة جميلة سامية ، فتحدى الظلم واجب ، ولكن قد لا يكون مستساغا ان يتحدى الطفل الصغير اوامريه ، اذ يعنى ذلك تسببا غير محمود ، يخشى معه على سلوك الطفل واخلاقه . ويؤخذ على الكاتب ايضا ، انه حمل الطفل من الافكار والمواقف ما لا تطيقها سنه الصغيرة ، كما أسرف في المقدمة وفي تفاصيل اخرى لم تكن من صلب الاقصوصة .

وفي "كلثوم" نجد اسرة فقيرة تهرب من تعسف شيخ الاقطاع ملتجئة الى بغداد ، وتودع ابنتها الصغيرة لدى اسرة مترفة تقوم بخدمة طفلة اخرى في سنها ، فتعنى بها هذه الاسرة عناية حسنة وتتعهد طعامها ونظافتها حتى تسترد صحتها كاملة ، كما ان المعاملة الحسنة ترفع من معنويتها ، وينتهي بها الامر الى ترك بيت سيدها وعودتها الى كوخ ذويها فتضطرمهم ببكائها المتواصل الى تسجيلها في المدرسة أسوة بابنة سيدها السابق .

لقد استطاع الكاتب ان يصور بصدق كبير عواطف الطفلة الفقيرة

وان يسجل انقلاب شعورها وارتفاع معنويتها ببراعة ، حتى انها غدت تحمل حقيبتها المدرسية وتلوح بها فخورة امام سيدها السابق كلما وقع نظرها عليه ، ولكنني لا افهم لماذا يصف تلك المعاملة الحسنة التي لقيتها

الطفلة الصغيرة بانها لم تكن لوجه الله " وليس فيها مسحة انسانية " . كما ان القاص وصف خوف البنت وانكماشها من سيدها وصفا يوحى للقارئ باشياء واشياء ، ولكن اتضح بعد ذلك ان الرجل كان صادق العطف يملأ قلبه الرحمة . وخير اناصيص الكتاب " طبيعة الاشياء " . كان الوقت ربيعاً ، تفتحت فيه الازهار ونشطت الغرائز ، خرج المحامي " جباه " الى مكتبه يستنشق نسيم الربيع والعطر الفواح . وخرجت " كريمة " ايضاً تشتري بعض حاجاتها من السوق فاثار جمال الطبيعة في نفسها احلاماً لذيذة وعرجت على حديقة قريبة ، جاست خلال مياسمها ، وتأملت اشجارها وازهارها ، ثم هيا القدر لقاء " جباه وكريمة " عند محطة الباص وكان الربيع عوناً في تفاهم النفوس وتجاوب الغرائز ، واذا بهما في خلوة بمكتب المحامي يطفئان ما يحسان في نفسيهما من نار متأججة او قدما الربيع في القلب دون سابق معرفة .

لقد وفق القاص توفيقاً رائعاً في مزج تلك الالوان الجميلة التي يسبغها الربيع على الطبيعة باحاسيس النفوس ومشاعرها وفعالية الغرائز وجنونها ، دون ان يسرف في ناحية من النواحي كما حملنا على ان نحس بشخصيتي جباه وكريمة احساساً قوياً لانهما مثال الاستجابة العارمة لدواع الجنس التي يثيرها الربيع ومجالي الطبيعة الناضرة .

وبعد فهذه المجموعة تكشف عن مدى القدرة التي يستطيع بها خالد الدرة ان يكتب الاقصصة ، لو اتاح لنفسه شيئاً من الاستجمام والأطمئنان .

الباب الثالث

القصة

الفصل الاول

ذو النون ايوب

١ . الدكتور ابراهيم

اول قصة طويلة ، كتبها ذو النون ايوب سنة ١٩٤٠ ، كانت في الاصل اقصوصة ، سماها " نحو القمة " ، وادعها كتابه " برج بابل " .
تحدث في هذه القصة عن الدكتور ابراهيم منذ نشأته الى ان ذهب الى انكلترا مبعوثا ، على حساب وزارة المعارف ، ومتخصصا في " الزراعة " ، ثم عاد ليتسنى اعلى المراكز . وكان يهدف الى القول : بان الدكتور ابراهيم رضع الانانية ، وحب الذات ، والاستغلال مع حبيب امه ، فقد وجد اباه يحسن النفاق والتظاهر بالتدين ، ليضحك على عقول السذج من الناس ، وقد جمع من ذلك ثروة طائلة ، وتمهيا له نفوذ عريض .
كان - ابراهيم - في المدرسة مثال الطالب الذي لا يهمه في الدنيا شيء ، بقدر ما تهمة مصلحته ونجاحه . وقد استغل نفوذ ابيه في الذهاب الى انكلترا ، وهناك تعرف بلفتاة انكليزية ، ابنة قس كبير ، له نفوذ واسع في دوائر الدولة والاستخبارات وتزوجها . ولما عاد الى العراق ، سلك كل الطرق ، شرعية وغير شرعية ، شريفة وغير شريفة في الحصول على الجاه والثروة ، حتى انكشفت اساليبه امام الناس جميعا . وعندما فعلته الحكومة من دوائرها ، بناها على قيامه باعمال تعتمد فيها مخالفة الانظمة واللوائح ، من اجل الظفر " بالاكرامية " التي ينص عليها القانون في تعويض المنفصلين عن وظائفهم ، ~~ومحضر~~ شد الرحال الى اميركا ، ليقضى بقية حياته في تلك البلاد البعيدة .

يبدو القسم الاول من هذه القصة الذي سماه بالتمهيد ، في شكل تعليقات لا تدخل في صلبها اطلاقا ، تحدث فيه عما جرى له من شغب ،

حصل من جرائه على عقوبتين هما : النفل والتوبيخ ، وقد بدا نابيا وغير معقول في هذا القسم ايضا حديث الزوجة تنقذ زوجها امام المؤلف ، كانها غير راضية عن تصرفاته ، في حين اننا لم نر في سياق القصة كلها شيئا يدل على ذلك .

وقد اورد اراء غير ناضجة تتمثل في تلك المحاورة ، بينه وبين الدكتور ابراهيم عن اسلوبهما في الحياة ، اشترك فيها الانكليزي الضيف ، ذهب كل واحد منهم يبرهن ، على ان قومه يقدسون الحرية اكثر من الاخرين ، بأدلة كأنها ادلة الطلاب في المدرسة . وجاء في هذا القسم ايضا ، حديث عن عهد الطفولة ، روى بلسان الدكتور ابراهيم ، وقد اوتى الدكتور هذا صراحة تامة ، لم يؤتمرها غيره ، فذكر مثالبه بجرأة ومن دون حياء ، وهذا امر مخالف لطبيعة الاشياء ، والمألوف الا نجد احدا يعرض الى مساوئه وعيوبه بتلك الصورة الواضحة القاضحة ، كما جاءت على لسان الدكتور ابراهيم ، وقد يترك هذا في القارئ اثرا على خلاف ما توقعه الكاتب ، فيرمي اللوم ، في تصرفات الدكتور ابراهيم ، على ظروف المجتمع كله ، الذي جعل منه ضحية لا اكثر ولا اقل ، اضاف الى ذلك ، ان الدكتور ابراهيم نفسه كان يشتمز ويتأفف من بعض الاوضاع السيئة ما يلطف كثيرا من الاثر السيء الذي كان ينبغي ان تعكسه تلك السيرة العوجاء في نفس القارئ . وهذا - بنظري - اضطراب في رسم شخصية هذا الرجل وعجز عن اظهاره بمظهر الشرير الذي يسعى الى الشر ، اشباعا لهواية الخسة والانانية في نفسه .

وقد حفلت كثير من الفصول بسرد عام لاوضاع السياسة والمجتمع ، تضائل فيها نصيب الدكتور ابراهيم ، وبرزت شخصية القاص باهدافها واراتها تنعى على المسؤولين مفاهيم المغلوطة فيما يتعلق بالشيوعية وغيرها من المبادئ الاخرى التي جعلت ذريعة لكم الافواه واسكات الاحرار ، وقد وقف فيها ذو النون على المنبر ، يحذّر الناس ورجال الحكم ، وينصحهم بان يلتزموا جانب الصواب ، ويعضدوا الحق ، والا فهم النادمون . وما

يستلقت النظر ، في هذه القصة ، قلة الحركة وغلبة السرد ، وقد عجز الكاتب ان ينقل قارئه الى جو الاجتماعات والاحاديث الدائرة بكثرة حتى يشعر انه بين الابطال يعايشهم ، ويشعر بشعورهم ويشاركهم مسراتهم وآلامهم ، فظل القارئ بعيدا ، كأن حجابا قد اقيم بينه وبينهم .

اما الارتباط بين فصول الكتاب فضعيف ، وتنقل الكاتب من فصل الى فصل ، اشبه بتنقل كتاب السير ، الذين يعنون باضاعة جوانب مختلفة ، ولا تثريب عليهم ان اهلوا الحكمة ، او انقطعت الصلة بين جانب وجانب ويبدو الي ، ان الخاتمة لا تتناسب مع فظاعة الاعمال التي اقترفتها يد الدكتور ابراهيم ، فقد أثار الطائفية واسهم في الشغب واحداث الفوضى ، وخان مسؤولياته ، وبعد هذا كله يغادر البلد آمنا مطمئنا ليعيش هنيئا بما جمع من مال . " ومهما يكن من امر فقد وثق ذو النون في اختيار الموضوع من " قلب المجتمع ، وحسر النقاب عما تبديه وتخفيه هذه الشخصية ، ولولا وهن تعابيره ، وضعف اسلوبه ، ولولا انه يشعر بشخصيته اكثر مما ينبغي للروائي ان يفعل ، لكان توفيقه اكبر ، وموضوعه ادل ، فخير للعبير الاجتماعية ان تجيء في غلالة رقيقة من الفن من ان تكون مواعظ مجردة ، قد لا يرضى عنها الفن ، ولا تأتي بالفائدة المبتغاة " . (١)

٢ . اليد والارض والماء

ثاني قصة كبيرة يكتبها ذو النون ايوب سنة ١٩٤٨ ، بعد ازمة نفسية ، وحالة حرجة شديدة الحرج ، ضاق معها " بقيون السياسة البلهاء وقيود المجتمع البليد المتزمت ، فوطن نفسه على الهرب من هذا البلد والتشرد في ارجاء العالم الفسيح " ، وفي آخر لحظة اوحى الشيطان اليه بان يكون مزارعا ، ليحرب الثراء ، وليخدم الوطن عن طريق العمل المثمر ،

(١) قدرى قلعه جي ، " الدكتور ابراهيم " ، المكشوف ، العدد ٢٦٦ ،

فولج عالما غريبا عنه ، بعيدا عن روحه وتفكيره ، وكانت الخاتمة ان خرج مفلسا ، خاوى الوفاض ، ^١ وخرج بتجربة اخرى في احوال هذا البلد وظروفه وبهذا الكتاب الذى طلع به على الناس ، يحكى مشكلة اليد المغلولة ، والارض المحتكرة ، والمياه المضاعة . (١)

تمائل " سليم " للشفاة من جروحه الكثيرة التي اصيب بها ، على اثر نزاع بين عشيرته وبين جيرانه من اجل قطعة ارض صغيرة ، فاراد ان يرد الجميل للعناية الفائقة التي احبط بها في المستشفى ، فدعا الدكتور حسام الدين وخطيبته الدكتورة هيفاء ، والصديق السحابي ماجد الى مضارب العشيرة . لبوا الدعوة مسرورين ، واكرموا اكراما فائقا واقترح احدهم على الضيوف الاشتغال بالزراعة ، واستئجار ارض اميرية في منطقة النهر وان وسرعان ما وجدت الفكرة ترحيبا من هؤلاء ، فتضافروا بما جمعوا من مال على شراء مكائن السقي ونصبها ، واحتفلوا احتفالا رائعا يوم تدفق الماء من هذه المكائن الى الارض الطيبة ، كما أعانوا الفلاحين بسلف نقدية ، ليتمكنوا من العمل وشراء القوت حتي ينضج الزرع ويحين وقت الحصاد . وتدخل في هذه الفترة كمساهمة الاستاذة " سنية " بما لديها من مال وبخبرتها الاقتصادية .

ولم يمر هذا المشروع هينا لينا على القائمين به ، فقد كانت المشاكل كثيرة ، صعبة الحل ، معقدة شديد التعقيد ، تتجلى في فساد رجال الادارة ، وانتشار الرشوة بينهم بصورة مريعة ، وفي الآفات الطبيعية من اسراب الجراد الكثيفة ، وثورة العواصف الرملية التي تخنق الزرع والضرع ، وفي جشع الملاكين الكبار الذين استحوذوا على كل شيء ، فهم كالنار يقال لها هل امتلأت فتقول هل من مزيد .

واتمام هذه المشاكل المتجمعة المتكالبة على احباط المشروع لم يجد ماجد مناصا من الانسحاب ، فخرج صفر اليدين الا من سنية ، فقد احبها ووجد فيها المرأة الكاملة التي تعوضه ما خسر من مال ، وما يذل من جهود ذهبت سدى .

(١) " اليد والارض والماء " ، ص ٣ و ٥ .

بخیل الي ان ذو النون ابوب مصرّ على الا يضحى بشي* من ارائه واهدافه في الحياة من اجل فنية القصة ، فالاثر الذي تخرج به من "اليد والارض والماء" هو كالاتر الذي ينطبع في نفسك بعد قراءتك لمقال او تقرير ، قد تحرر قليلا من قيود الرسميات ، وانطلق كاتبه بحرية يرسم عواطفه ، ويسخر ما شاءت له السخرية ، ويتهكم من يريد . ويلاحظ ان المؤلف قد اهتم بالجزئيات دون التركيز على الاثر الاساسي ، لان الامر - بنظره - لا يتعلق كثيرا بتطوير هذا الاثر او تلك الاثار ، بقدر ما يتعلق بتصوير الجزئيات وتجسيماها حتى لتغطي على الشخصية او الشخصيات الكبيرة في كيان القصة كلها ، ذلك ان غرضه الاول ارساء الثقل كله على تلك الامراض الاجتماعية ، والقاء اكبر قسط من الضوء عليها ليفضحها امام القارئ ، ويقابله اهمال شنيع في رسم الشخصيات وتطويرها ، ولعله لا يملك القوة الخالقة التي بواسطتها يقدم للقارئ شخصية حية صادقة ، تدل على مقدار تعمقه في دراسة الطبيعة الانسانية ، ودوافع الانسان وانفعالاته وعواطفه ، فذلك اساس في اعادة الدور الذي تمثله الشخصية في الحياة على صفحات القرطاس . (١)

والشخصية الرئيسية في هذه القصة هي شخصية ماجد ، ولكن ليس لهذه الشخصية من اثر والاكشراق ما تستطيع ان تجذب به القارئ وتسيطر على حواسه ، لقد اقامه الكاتب نعبا من الخشب ، قد حالت الوانه وطمست صفاته ، تحركه الشخصيات الثانوية كيفما ارادت ، وتوحي اليه بما تشاء ، فبدأ ضعيف الارادة خائر العزم ، في حين اراد له الكاتب ثبات الارادة وصرامة العزم . يرى اعوانه يتوسلون بالرشوة وغيرها وهو لا يستطيع ان يفعل ما يقف به هذا السوء الذي كان يكرهه اشد الكره .

وقد عزّ على الكاتب ان يقلع عن طريقة الوعظ والخطاب ، فاقحم سنية الاستاذة لتقوم بهذا الدور ، فاصبحت الخبرة الاقتصادية التي تستطيع

(١) الدكتور محمد يوسف نجم ، "فن القصة" ، ص ٩٦ .

ان تكشف حجب الغيب ، وتنقد الوضع القائم على اسس علمية استمدتها من دراسات المتصلة ، وبات ماجد تلميذها المخلص ، يتلقى منها الوحي ويعمل بإشارتها ، وتنفج في روحه الحزم والمثابرة .

اما هوية الكاتب الرئيسية " الاشتراك بالمظاهرات ونقد المستورزين ، والانحاء باللائمة على من يتهم كل مصلح مطالب بحقوقه بالشيوعية الهدامة " ، فقد كان لها النصيب الحسن في هذه القصة ، وقد جتد لها شخصيتين من شخصياته هما : سنية المتفلسفة التي وقفت تخطب المتظاهرين خطابا حماسيا الهب الشعور واستدر التفتيق . والفلاح العجيب سليم الذي ترك الحقل وجاء بغداد في شأن من شؤونه ، فاسهم في المظاهرة ووقع جريحا ، ولم يكف الكاتب بما حمل سليما من عناء السفر واقحامه ميدان السياسة ، بل جاء بالدكتور حسام الدين ، شريكه الي المزرعة ، في سيارة الاسعاف ، ونقلوا سليما الجريح الى المستشفى ، ليست تلك معادفة كان الكاتب في غنى عن ايرادها ١١٢

وهناك امر قد لا يصح للناقد ان يتدخل فيه ، فليس من شأنه ان يفرض على الكاتب النهاية التي يرغب فيها ، وان كان له ملء الحق ان يتحدث عنه ، وهو ناتج - كما اعتقد - عن تمسك القاص بالواقع الحرفي ورسمه على قدر الاستطاعة ، دون الاحتفال بتقديم نماذج بارعة ، تتمثل فيها الصبر والجلد والجرأة على اقتحام المكروه ومجابهة المساويء مهما عظمت واستشرت ، ومقارعتها حتى يتغلب عليها ، ألم يأن للكاتب ان يقدم لنا تلك الشخصية التي قد يجد فيها القارئ العراقي مثله الاعلى في الكفاح والثبات ، ألم يكن من الخير ان ينجح ماجد ورهطه ، منخطبا اشواك المجتمع ، صارعا عوامل الجشع والطمع والانانية ؟ فاني ارى ذلك اجدر بخدمة اغراض الكاتب في الاصلاح ، وافعل في القضاء على دوافع اليأس والالم ، فاليأس والالسم لا يورثان غير الوهن وقعود الهممة .

اما اسلوب الكاتب فليس فيه ما يميزه عن اسلوبه في كتاباته الاخرى ، غير قليل من التاجج وكثير من السخرية تكشفان عن مدى العدمية التي منى بها الكاتب في مشروعه الآنف الذكر . وهناك بضغ هنات تتعلق في هذه

الفصول الكثيرة التي امتدت الى خمسة واربعين فصلا صغيرا مسرنا في الصغر ،
كان من الخير ان تضم الى بعضها وتقلص لكي تكون الفصول ابل على مراحل
القصة ونموها .

كما ذكر ان المفوض (ص ٢٤) قد اخذ الاداتين اللتين بواسطتهما
تشتغل مكائن السقي ، واخبرنا في الفصل نفسه ان الاداتين قد اعيدتا ، فكيف
اذن ذوى الزرع لانقطاع الماء مدة شهر كامل (كما جاء في ص ٨٦) ، وليس
هنالك ما يحمل على الظن بفوات هذه المدة الزمنية .

وقد استعمل كثيرا كلمة المؤجر يريد بها ماجد المستأجر ، لان
المؤجر هو الحكومة التي اجرت الارض ، وماجد هو المستأجر وليس المؤجر .
وبعد ، فهذه القصة صورة كاملة لمشكلة مستعصية ، يجابهها العراق
اليوم ، مشكلة الارض وما يدور حولها من نزاع كثير ، ومشكلة الماء الذي
يفيض فيدمر ويغيض فيجف الزرع والضرع ، ومشكلة الطمع الاشعبي الذي لا
يقف عند حد ، فهو كالاخطبوط يحاول ان يمتد الى كل جانب ، ليضعها
تحت ادّرع البغيضة ، ولا ريب ان قارئ القصة هذه يخرج منها بالسم
وحسرة يعصران القلب .

الفصل الثاني

جعفر الخليلي

١. الضايح

قال المؤلف في مقدمة الرواية "انه ، لا حاجة الى القول بان الغرض الاول والاخير من القصة ، هو انماء المدارك واذكاء الاحاسيس ، ولفت الانتظار الى كيفية استخدام القابليات ، فيما يعود على الانسان بالنفع " سواء من الناحية النظرية او العملية " . (١)

ولن ينكر احد على الكاتب ، ان يكون لقصته هدف اجتماعي ، ولكن الهدف اذا كان من البروز والجلالة مثل ما كان في قصة "الضايح " ، عدّ جهدا في باب المقالة اكثر منه جهدا في فن القصة .

وقد اعترف المؤلف : انه كتبها اجزا ، ونشرها في جريدة الهاتف فصلا بعد فصل ، اجابة لداعي الفراغ ولسد حاجة صحيفة (٢) ، ثم كَوّن منها قصة سنة ١٩٤٨ ، أنبعث بعد ذلك ان تتوفر الوحدة بين فصولها ، وان تتضح الصلة بين قسم وقسم ؟

حدثنا القاص عن فتى كثير الشر ، يعتدى على اقربائه ولداته الذين يشاركونه اللعب بسبب ومن غير سبب ، حتى ضجّ من تصرفاته الالباء والامهات . ولم تجد معه قسوة ابيه ، والعقوبات الرادعة ، التي كان ينزلها به ، شيئا ولما ضاق بامرء ذرعا ، اسلمه الى شيخ عرف بشدته وصرامته ليقوم على تاديبه ، وتعليمه القرآن ، والكتابة ، الا ان الفتى لا يقلع عن الشراهدا ، ويدفعه سوء الطالع ^{المضرب} غلام ، ابن رجل من الاثرياء ، وسرعان ما احس بفظاعة ما ارتكب ، واطال التفكير في عاقبة عمله هذا ، متصورا مبلغ العقاب

(١) "الضايح " ، ص ٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢ .

الجسيم الذى سينزله به أيوب^٤ ، فعزم على الهرب ، ونقذ عزمه في الحال .
وتسوقه المعادفات الى الالتقاء " بدرويش " من اصحاب الطرق فاعجب الفتى
بشخصيته ، ولازمه كظله . وعاش الاثنان عيش زهد وتنسك يكتفيان بالقليل
من الطعام ويرتديان اللباس الخشن ، ويطويان المسافات بين القرى والمدن
في العراق وايران سعيا على الاقدام .

وكان الدرويش يلقن الصبي قصائد من الشعر الصوفي في الاديين
الفارسي والعربي ، وكثيرا من علوم الدين والشرع الاسلامي .
امضى الفتى في صحبة الدرويش سبع عشرة سنة صارا فيها رجلا
ذا علم وفضل ، ولما مات الدرويش ، ترك حياة التشرد واقطع عن الدروشة
واستطاع الاتصال بابيه وامه .

لقد كرس القاص الكثير من الفصول ، للبحث فيما يتعلق بتلك الاوهام
والضلالات التي علفت بعقول الناس عن طريق بعض من تصدى لتدريس
الدين بصورة مشوهة ، مثل " الارشاد عن طريق الخداع " ، و " ماهية الارواح " ،
" كيفية الزوغان عن اداء الصلاة " . فجاءت هذه الموضوعات يكتنفها الجفاف
وتسيطر عليها لهجة تعليمية مملة .

ويلاحظ ان شخصية الدرويش قد طغت في هذه القصة ، حتى لم
تعد شخصية الفتى الضايح الا ظلا باهتا ، والدرويش هو الذى يتكلم ويعظ
وينشد ويبكى ويفرح في حين ان الفتى ظل صامتا يصيخ السمع الى استاذ
ومرشده . مع العلم انه يمثل الشخصية الرئيسية في القصة ، وربما كان
الكاتب اقرب الى التوفيق لو تحدث عن الدرويش من خلال عواطف الفتى
وانفعاله به .

واما الفصول الاولى ، التي بدأ بها السرد عن الفتى ، فقد
عرضت بأسلوب فاتر يعوزه التأجج ، مع ان الفتى كان يمر بازمة نفسية
حاددة ، تتقاذفه مخاوف عديدة : من خوف الجوع الى الفرع من شبح تلك
المعصي الغلاظ التي اعدّها والده ليسلخ بها جلده ، ~~والى~~ الى الاحساس المؤلم

بالمستقبل المجهول . كل تلك الظروف مرّ بها الكاتب مرور الكرام ، دون ان يشغلها في رسم عواطف الصبي وابراز انفعالاته ، كما لم يجر ذكر ابيه وامه على لسانه الا مرة واحدة ، حين اثارت زيارة الدرويش لدار ابيه وامه في خراسان ذكريات طفولته معها فأبكته طويلا ، واقسم على اثرها ان يعيد الفتى الى اهله .

وقد كانت شخصيات القصة ^{جادة} Flat ^{ثابتة} اذ كنا نكتشف خواص الشخصية وتأثيراتها من خلال ما يتحدث به الدرويش مباشرة ، لا من اعماله وتحركاته ، وهكذا الامر مع شخصية الفتى ، "ومثل هذه الشخصيات يستعمل عادة لتعقيد الحوادث وتكديسها ، كما انها تساعد الكاتب على ان يمضى في تكديس الحوادث دون ان يعنى ببناء الشخصية^(١) . ويؤخذ على الكاتب عجز خياله عن التحليق بعيدا في خلق جو عطر مضمخ بشذى الطبيعة ، وخير الجداول ، وصمت الجبال ، وقد كانت حياة الدرويش ، التي انصرفت خطوات بين مظاهر الطبيعة السافرة بين العراق وايران ، مساعدة على مثل هذا الخلق ."

ترك هذه القصة في نفس القارئ - بعد الانتهاء من قراءتها شعورا بالاطمئنان لفلسفة رجل ، اراد الا يسيء الى الناس ، ومضى قدما في تطبيق فلسفته هذه في الحياة باخلاص وايمان ، هاربا الى الجبال والقفار مكثيا بالقليل ، في حين انك لو ارتوت البصر يمينا وشمالا لم تر غير عالم يعج بالشور والاشرار ، متكالبين على الماديات ، مغرقين في الآثام .

٢٠٢ في قرى الجن

لقد اوحث الحرب بفضاعتها وعنف ما ارتكب فيها ، بخواطر جمّة ، دارت في رأس الكاتب ، نشرها تباعا في مجلة الهاتف ، ثم ألف بين اشتاتها ،

(١) محمد يوسف نجم ، "القصة في الادب العربي الحديث" ، ص ١٠٣ ،

وانظر كذلك ص ٩٦ و ٩٧ من كتاب "فن القصة" للمؤلف نفسه .

فاستوى الجزء الاول منها سنة ١٩٤٥ . وانطوت ثلاث سنوات حتى ولد الجزء الثاني ، وجمع الشيتان الى بعضهما فاذا هو " في قرى الجن " . يزف " طاهر الساعي " الى عروسه في احتفال كبير ، يسلم فيه الاقرباء والاصدقاء ، ويستمر الى المزيغ الاخير من الليل ، ثم ينفذ السمار ويخيم الهدوء ، ولكن سرعان ما ينقلب هذا الهدوء الى صخب وضجيج يملأ أرجاء الدار ، كما توالى رمي الحجارة كالمطر ، فملاً الفزع قلوب الجميع ، واحتس كل واحد منهم بركن من اركان المنزل ، حتى هدا الصخب ، وانقطع رمي الحجارة ، وخرجت الاسرة تسأل بعضها بعضا عن خبر هذا الهجوم المباغت ، فما عرف احد كنهه ، ولم يستطع احد ان يدرك مصدره . وانتقدوا من بينهم طاهرا العريس . . فتشوا الدار وقلبوا عاليها سافلها ، ولكن جهودهم ذهبت ادراج الرياح . ثم جاءت الشرطة تحقق وتكثر من السؤال ، وتثبت العيون والارصاد ، ومع ذلك ظل الامر لغزا ضخما ، لم يوفق احد الى سره .

ذهبت الام المفجوعة بولدها الى " الملا مهدي " عله ينير هذا الظلام الحالك . فاستشار الملا حديده ، وحصاه ، وكتبه الصفراء ذات الخطوط الهندسية ، فخرج النبأ الصاعق بان طاهرا الساعي اسير لدى جنية قد شغفها حبا . . ولا سبيل الى الاتصال به الا عن طريق " تسخير الجن " ، ولا يتم هذا التسخير الا بعد اجتياز تجارب قاسية . اهدت الام استعدادها للقيام بهذه التجارب ، ودفعت للملا جميع ما ترتب على تلك " الوصفة السحرية " ، ولكنها لم تطق الاستمرار ، فتولى الامر صديق الفقيد عبد الكريم الغرباوى وافلح بشجاعته ورباطة جأشه ان يجتاز جميع المحن ، حتى سخر جنيا واستعبده وصار يفرض عليه اوامره المختلفة ، واطلع بواسطته على اخبار طاهر الساعي وعرف نوع الحياة الجميلة التي يحياها في مملكة الجن ، وقد زوده الساعي بمعلومات مستفيضة عن جميع الانظمة المعمول بها هناك ، وارسل اليه هدايا كثيرة ، من ضمنها " نظارة " تكشف عما يخفى في الجيوب وفي الصناديق . ثم يشتاق الغرباوى الى زيارة صديقه والانضمام الى مملكة الجن فيجانب طلبه .

عمد الكاتب الى استعمال طريقتين في السرد : اولاهما طريقة السرد المباشر ، والثانية طريقة الوثائق او الرسائل المتبادلة . (١) تميزت الاولى بشي* من الحركة ، كما تونر لها عنصر التشويق القائم على سوق الغرائب عن عالم الجن ، في حين انعدمت الحركة في الثانية ، وحل محلها سرد تقريرى تناول اراء المؤلف الخاصة في الاصلاح والتهذيب وما الى ذلك مما يتعلق بدوائر الدولة وكيفية مراجعتها .

وتلك مادة ثقيلة قد حشرت حشرا فأخلت كثيرا في حبكة القصة وغطت على الشخصيتين الرئيسيتين فيها وهما طاهر الساعي وكريم الغرباوى ، فلم نعرف من معانيهما الانسانية شيئا ، ولم ندرك من صراعهما مع المحيط قليلا او كثيرا ، فقد كاننا بيد الكاتب اشبه " بالحاكي " منهما بالانسان ذى الدم واللحم ، ينطقهما بما يشاء ويستكتبهما ما يريد من مقالات .

اما الشخصيات الثانوية ، فقد لفت بالغموض ، واختفت اثارهم من مسرح القصة وطغت عليهم سيل المعلومات التي يكتبها طاهر الساعي عن عالم الجن ، فلبيا رغبة صديقه الطلعه الذى يلحف بالسؤال عن كل شي* ، ولولا ان هاتين الشخصيتين ترددان تلك الاسماء لما عرفنا لها وجودا او شعرنا باهميتها .

ولست افهم لماذا استخدم الغرباوى نظارته السحرية في الكشف عن اموال الشحاذين وتسخير الجنى مردان " لسرقتهما فبنى بها دارا وامد بعض المعوزين بقسط منها ، أهولا* هم الذين يأخذون من اتعاب الآخرين بالسحت والحرام كما المح الكاتب الى ذلك ؟! يخيل الي ، ان القاص متأثر بفكرة مغلوطة تدور على السنة العامة حول خرافة الثروات التي يجمعها بعض الشحاذين ، وكان الاجدر بالقاص ان يوجه قارص لومه لمن يكثر الذهب والفضة ولا ينفق منها شيئا ، وهم يربون كثيرا على عدد الشحاذين ،

(١) الدكتور محمد يوسف نجم ، " فن القصة " ، ص ٦ .

وبذلك تكتسب فكرته شيئا من الاحترام وتسترعي الانتفات .
 اما اسلوب الكاتب فيغلب عليه طابع السرعة ، لا يجد فيه القارئ
 المتعة التي تشجعه على الاستمرار في القراءة ، وهو " سهل يرك احيانا ،
 ويعتدل احيانا اخرى ، وليست الاخطاء النحوية واللغوية والعرفية يسيرة
 في الكتاب " . (١)

والقصة هذه " وان كانت لا تؤلف رواية واحدة متسلسلة الحلقات ،
 الا انها مع ذلك من اطراف الكتب القصصية في المكتبة العربية الحديثة ، تأثر
 فيها الكاتب بحكايات الجن القديمة في الاداب العربية " . (٢)
 واجد من الانصاف ان اقرر : ان الخليلي يشعر شعورا عميقا
 بمبلغ سوء الوضع الاجتماعي الناتج عن تحكم العادات البالية والعقائد المضرة ،
 التي تقف حجرة عثرة في سبيل تقدم الفرد العراقي ، واستمتاعه بالحياة
 بصورة تامة ، فمحاولاته لمحاربة تلك الافات تقابل بالتقدير والاكبار .

(١) قلم التحرير ، " في قرى الجن " ، الاديب ، الجزء الرابع ، نيسان

سنة ١٩٤٥ .

(٢) قلم التحرير ، " في قرى الجن " ، المكشوف ، العدد ٤٠٢ ، السنة ١١ ،

نيسان ١٩٤٠ .

الفصل الثالث

كتاب آخرون

محمود السيد احمد

١ . جلال خالد

يمتاز محمود السيد بفضيلة تعجب القارئ والناقد على حد سواء ، فهو ان يقدم لك اثرا من اثاره ، لا يقدمه مزهوا فخورا ، بل يعلم حق العلم انه رجل مبتدئ ، يعالج هذا الفن الوليد بحذر وتؤدة ، قال في مقدمة قصته ، "جلال خالد " : "هذه قصة موجزة ، وهي لا يجازها لا تماثل القصص التحليلية الكبيرة ذوات التفاصيل الدقيقة ، فانت تراها اسبه بالمذكرات او الحديث " . (١)

استند في كتابتها الى رحلته التي قام بها الى الهند بين سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٣ ، والى رسائله لاصحابه ، ورسائل اصحابه اليه ، واخرجها الى القراء سنة ١٩٢٨ ، بعد ان هذب منها ما هذب ، واوجز ما كان كتب عن الايام التي قضاها في البحر ، على مقربة من الفتاة الجميلة التي احب ، لانه نسي حبه ، وواضح يرجو زوال الاثر الخفيف الباقي منه شيئا فشيئا . (٢) هذا هو الواقع الذي احسن وضمنه مؤلف القصة ، فالقسم الاول تناول فيه سفرته الى الهند بباخرة البريد ، حيث التقى بالعائلة اليهودية المسافرة الى ستغافورة ، فاحب الفتاة سارة ، ولكنه كان حبا مخفقا منذ البداية ، ان الفتاة كانت مخطوبة لداود ، ذلك الفتى الذي اتخذها ابوها مساعدا له في اعماله . وفي الهند ، يطلع القاص على ظروف جديدة لم يعهدها في بلاده ، شاهد حركات عمالية ، واضرابات ، وشاهد التباين بين الفقراء

(١) "جلال خالد " ، ص ٢ .

(٢) المصدر السابق .

والاغنيا ، والتقى ببعض المعتنقين للمذهب الاشتراكي ، المتحمسين له . فآثر ذلك فيه تأثيرا كبيرا ، حتى استطاع ان يبدلوا نظرته الى المرأة ، وان يجتذبه الى الاشتراكية .

ثم تشب الثورة في العراق ، فيقتل راجعا الى وطنه ، ليجاهد مع المجاهدين . وما كاد يصل البصرة حتى ينطلق اوار الثورة . هذا هو القسم الاول ، اما القسم الثاني ، فقد جرى على صورة رسائل ، تبادلها مع صديقه ، " احمد مجاهد " و " ك.س " ، تحدثوا فيها عن وجوب المساهمة في انهض الشعب عن طريق اصدار صحيفة ، الا ان المال وقف عقبة في سبيل انجاز هذا المشروع ، كما تناولت رسائلهم اشارات موجزة الى فقر الفلاح ، وبعض التقاليد البالية .

ان الناقد او القارئ لا يستطيع " في جلال خالد " ان يكشف الخطة الاساسية التي انتهجها الكاتب ، تلك الخطة التي اذا احكمت ، شدت بين اجزاء القصة كلها ، واوجدت شيئا من التشابك بين شخصياتها وبين البيئة ، التي اتخذت مكانا لاضطرابها . وارى ان مرد ذلك امران : اولهما انتفاء الفكرة الاساسية من القصة كلها ، ان كان الكاتب يرسم عواطفه بالنسبة الى الحوادث الآنية التي تمر امامه على هيئة مذكرات ، وثانيهما ، هو هذا الاسلوب الذي تنقل فيه من السرذ البسيط الى الوثائق او الرسائل ، مع العلم ، ان القارئ لا يدرك بسهولة الرابط بين القسمين المنفصلين . كما ان خفوت الحوادث في القصة ، جعل جوا من الفتور يلزم القارئ منذ الصفحة الاولى حتى يفرغ من قراءتها جميعها ، وقد كان باستطاعة القاص ان يوفر عنصر التشويق ، مستغلا بعض الحوادث المثيرة التي يحاشر اليها اشارة عابرة ، مثل اضراب العمال واصطدامهم بقوى الامن في ^{بغداد} ~~كلها~~ ، ولكنه آثر ان يرسم عواطفه تجاه الحادث رسما ينقصه الكثير من قوة التعبير .

اما عناية الكاتب بتصوير الشخصيات فضيلة جدا ، وهو لم يستطع ان يبرز بصدق ، خصائص اية شخصية ثانوية ، ومع ذلك فقد حملك على ان

تشارك جلال خالد عواطفه الوطنية الرائعة ، وان تكبر سعيه العادق في خدمة وطنه ، وان كان هذا الشعور ، قد يمازجه شيء من السخرية والاستخفاف اخيرا ، بهمم هذا النفر من الشباب ، الذي لم يستطع ان يترجم بالعمل تلك الاحاسيس الوطنية الجياشة .

ولا بد من الملاحظة الى ان بداية القصة ونهايتها ، لا تتركان في نفس القارئ اى اثر ، فهو لا يبدأها ~~القص~~ بفتور ، وينهيها نهائية من لم يستطع ان يصل الى شيء ، او ان يجنى ثمرة تلك الجهود التي بذلها من اجل اصدار صحيفة ، لم يقدر لها الظهور .

ومع هذا كله ، فانت لا تلمس في هذه القصة ، مبلغ ما تلمسه من التقرير والوعظ ، اللذين تطالعك بهما قصة الدكتور ابراهيم ، حيث يعمد "ايوب" الى حشر ارائه حشرا يضيق بها نفس الكاتب وصدوره . كما تجد في اسلوب السيد شيئا من الحنين يحبب اليك القراءة ، ويدفعك الى العطف على البطل ، والشعور بالآلام .

٢٠٢ عبد الحق فاضل - مجنونان

لم يكونا في الحقيقة مجنونين ، ولكنهما عرفا بالصراحة والجرأة ، وهما صادق شكرى ، وصفية سعدى ، كلاهما يمتاز بالذكاء وسرعة البديهة ، ويعيل الى الادب ، ويكتب القصص ، ويخوض في مشاكل المجتمع المهمة وعلى رأس هذه المشاكل المرأة ، وهما من انصارها ، يريدان لها الحرية والكرامة . لقد تم تعارف الاثنين عن طريق الكتابات في الصحف ، اذ ارسل صادق رسالة الى صفية ، مظهرا اعجابه بها ، وارادها بمثابة وثيقة ، فتلقى منها جوابا خشنا ، استنكرت فيه وقاحته وسخافته .

وتشاء الاقدار والمصادفات المحضة ، ان يلتقى صادق بها ، فلا يصرح لها بحقيقة اسمه ، وينتحل اسما له ، هو صدقي . تقع الفتاة في حب صدقي ، وتهو به ، ويعتد له ان يسألها رأيا في صادق شكرى ، الذي كتبت عنه مقالا ، تشيد بأدبه ، وتثنى على ذكائه وعبقريته ، فيخيل اليها

انه يشعر بالغيرة منه ، لذا تنطلق في ذمه وانتقاصه ، الا ان ذلك يقضيه
 اشد الغضب ، فيترك فردوس الحب هاربا منه ، دون ان تعلم سببا لغضبه .
 وتتدخل المصادفة للمرة الثانية ، فيلتقي بها في بيت اخيها فوزى
 صديق صادق الحميم ، وهو يجهل انها اخته ، ويجرى بينهما عتاب طويل
 يكشف عن مدى حب الاثنين لبعضهما البعض ، وهي ما زالت على جهلها
 السابق بانه هو صادق شكرى ، وتعلمه انها جاءت الى بيت اخيها لتتعرف
 عليه ^(اي صديق) ، كما وعدها فوزى بذلك ، وقد ذهب للبحث عنه واحضاره ، ولكي ترضي
 صديقي وتبرهن على اخلاصها له ، تظهر عدم اهتمامها بصديق شكرى ، ولكن
 هذا يسوءه ايضا ويثير غضبه ويضطره الى الخروج . وفي الباب يلتقى
 بفوزى عائدا ، ويطلب منه ان يمكث قليلا ، ولكنه يأبى عليه ذلك . ويسأل
 فوزى اخته عن سبب سوء التفاهم ، ويخبرها انه هو الاستاذ صادق شكرى
 ذاته ، فتصم على الذهاب اليه واسترضائه ، لانها لا تستطيع الحياة بدونه ،
 كما انه لا يستطيع الحياة بدونها .

لقد كتبت هذه القصة سنة ١٩٣٩ ، ومنذ ذلك الحين الى يومنا
 هذا ، اصاب البلد تقدما كبيرا في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومع
 ذلك تبدو حوادث هذه القصة غريبة عن محيطنا اليوم كل الغرابة .
 ان هذه الحرية التي تمتعت بها المرأتان في قصة "مجنونان"
 ضرب من الخيال ، فلا يعقل اطلاقا ، ان تتصرف فتاة بارعة او غير بارعة
 الجمال تصرف صفية سعدى او سميرة توفيق . لقد تعرف على الاولى
 بالمصادفة المحضة ، اذ كان يلهم بان يركب عربة ، واذا بفتاة تقبل من الجهة
 الثانية ، تريد ان تركبها هي الاخرى ، فينسحب ليتركها لها ، ولكنها تقترح
 عليه ان يركبا معا ، وهكذا تم التعارف ، وقد كان مطلعا ، من قبل ، على
 كتاباتها في الصحف المحلية .

اما سميرة توفيق ، صاحبة الحظ السيء ، فقد كانت تحب صادق ،
 الا انها لم تجد منه غير الاعراض وعدم المبالاة ، من تكون سميرة ؟ ومن
 اين جاءت ؟ وما شأنها في بيت فوزى ؟ وكيف تسنى له ان يختلى بها مرة

واحدة ليختلر منها قبلة يتيمة لا ثاني لها ولا ثالث؟ لقد اخفق المؤلف في رسم هذه الشخصية حتى بدت دمية لا حراك بها .

ولقد افسد جو القصة وابعده عن واقع الحال ، تلك المفاجآت المتلاحقة الآخذ بعضها بخناق بعض ، فلا يحفل اطلاقا ، ان يفاجأ صادق شكرى بتعيينه نائبا في البرلمان ، من غير ان يطرق سمعه امر جليل كهذا الامر ، ولا يصدق ان يلتقى صادق بهفية في بيت فوزى ، وقد خفي عليه انها اخته ، وقد مضى على تعرفه بفوزى سنتان ، وهذه المدة كافية جدا ان يلم الانسان باحوال معارفه كلها ، مع العلم ان محيط العراق معروف بولعه في البحث والتنقيب عن الانساب والاحساب ، وتقليب صفحات الماضي والحاضر ، وقراءة المستقبل . ولكن حب المفاجأة — كما يخيل الي — تمكن من نفس المؤلف حتى دفعه الى ركوب هذا المركب الخشن .

انها موضوع النيابة ، فهو متكلف ، غاية التكلف ، وقد سبق ليكون درسا في الوطنية . اذ كيف يصح ان يمدح كاتب وزيرا يزور الانتخابات ، ثم يرد الوزير جميل الكاتب نيابه محجلة ١١؟ ويبدو التكلف باجلى مظهره في تلك الثورة الصاخبة التي يقوم بها الكاتب ثارا لكرامته المهدورة ، طالبا الاجتماع بالوزير ليسمعه خطابا وطنيا رائعا ، وكأني بالقاص يشفق ان تذهب النيابة من يدى صادق فينطق الوزير بفلسفة الخير والشر وموقف الناس منهما حتى يقتنع صادق ويحتفظ بنيابته ، ومن ثم يقوم بتمثيل دور الخطيب الواعظ المدافع عن الحق ، الناصر الشباب على الشيوخ . ان وزيرا مثل هذا ، ونائبا مثل صادق ، لما يخلقا بعد في العراق .

ويؤخذ على القاص تلك العاطفة التي بدت من الام ، اذ كانت تطبع على جبين ابنها الرجل ، القبل الكثيرة كلما اصبح او امسى .

ومما يبعث السأم في النفس ، هو هذا الاستطراد في الحوار (في الفصل العاشر) حول فلسفة الحب ، وموقف الرجل من المرأة وموقف المرأة من الرجل ، وايهما اكثر اثرا في الآخر .

وخلت الرواية ، مرة واحدة ، من الاتساق بين فصولها ومظاهر

الحياة الخارجية ، تلك المظاهر التي تبعث البهجة في النفس ، حيث ينتقل القارئ مع الابطال الى جو شاعري عطر ، وكان الفصل - ككل فصل في الرواية - غرفة ذات اربعة جدران ، ليس فيها اكثر من شخصين يتحدثان . وذلك مما يقلل من اهمية القصة ، ويوهن عامل التشويق في قراءتها . ومع ذلك فقد استطاع الكاتب ان يرسم شخصية صادق وصفية ، وان يصور صراع الحب والكبرياء بلغة يغلب عليها الصفاء .

٣ . حمدي علي - شيخ القبيلة

" شيخ القبيلة " باكورة عمل المؤلف القصصي (١٩٥٢) ، تحكى مأساة عربية اجتماعية (كما يصفها الكاتب) . صوّر فيها علي الرماح بطلا من أبطال العرب المغاوير ، امتاز بشهامته ومروءته .

قتل ابوه ، لما كان صغيرا ، واغتصب المشيخة منه الشيخ موسى الفاضل . وقد سام الشيخ هذا زوجة سلفه الهوان وضربها امام طفلها علي . فشب علي وهو يحقد على الشيخ فعلته النكراء .

تزوج علي من هنادي ، وكان لها محبا . وكانت هنادي هذه تدفعه دفعا عن فكرة الانتقام ، التي كانت تساور ذهنه وتغض مضجعه ، خشية ان يتشتت شملهما .

ثم تشاء الاقدار ان تقتل هنادي على يد زوجها خطأ . وكان الشيخ موسى الفاضل يخشى جانب علي في السر ، الا انه كان يتظاهر بمحبته ومجااملته .

ومما زاد في خشيته منه ، تلك الوشاية التي حملها اليه قطان الاحنف بغضا لعللي ونكاية به ، لانه كان يعتبره غريما له في حب " مي " اخت هنادي .

تآمر الشيخ مع قطان الاحنف في القضاء على حياة علي والتخلص منه مرة واحدة ، فنصبوا له كميناً اثناء خروجه الى الصيد ، وتمكن علي من

الايقاع بالكمين ، الا انه وقع جريحا مغشيا عليه ، فظن انه فارق الحياة . وانتشر خبر مصرعه في القبيلة . واتاح الحظ للجريح ان تسعفه قبيلة مجاورة وتعنى به حتى استرد صحته وسالف قوته . جاء زامل المناع ، صديق علي ، يتلمس اخباره فوجده حيا معافي ، واستقر رأى الاثنين على العودة الى القبيلة . وزيادة في اكرام علي ، ارسل شيخ القبيلة المضيئة بثلة من الفرسان للحماية ، وما كاد يصل علي وصحبه مضارب قبيلته حتى سمعوا جليه ولغطا شديدين ، فادركوا ان القبيلة قد تعرضت لغزوة كاسحة ، فأبلى علي وصحبه بلاءا عظيما في رد الغزاة واعلموا التقتيل بهم حتى ولوا الأدبار ، ارسل علي من يبحث عن النساء ، بعد ان همس على وجوههن خوف السيى والاسر ، فجىء بسمي وقد خنقت امها في نوبة جنون عارمة ، فلم يطق علي الحياة بعد تلك المآسي فانتحر .

لقد استطاع القاص ان يخلق من "علي الرماح " نموذجا بديعا للخلق الرفيع ، والجرأة النادرة ، والحبیب المتفاني في حبه ، كما جعل من شيخ القبيلة "موسى الفاضل " مثال الرجل السيى الذى يسعى لمصلحته ، لا يرمى امرا بقدر رعايته لها . كما وفق القاص ان يربط بين فصول القصة ، برباط من التشويق ، يحمل القارئ على متابعة القراءة . ولكن يؤخذ عليه اسرانه في اشاعة القتل في حوادث القصة ، ولن يشفع له ، كون محيط القبيلة بدويا يألف مثل هذه الظروف . واغلب الظن ان القاص قد طمع في احداث اثر مؤلم شديد الايلام في نفس القارئ بصرف النظر عن مراعاة بعض القواعد الاخلاقية ، التي لا ترضى ان تستوى عندها الحسنة والسيئة او ان يقف العمل السيى مطاولا لعمل الحسن ، فلن يصح حكم القاص على "مي " تلك الفتاة البريئة الطاهرة بالجنون ، وعلى امها ان تموت خنقا بيد مي اقرب الناس واعزهم اليها . وقد أدى ذلك الى انتحار علي الرماح تلك الشخصية المثالية ذى السيرة النموذجية ، التي كان ينبغي ان تتوج بالظفر ويتحقق الامال وبذلك

يحدث في نفس القارئ شعورا بالارتياح ، بانتصار العدل الذي كان يمثله علي ، وباندحار الباطل المتمثل في شخصيتي الشيخ موسى الفاضل ورفيقه في المؤامرة قطان الاحنف .

ويؤخذ على القاص انه اعتمد في تطوير القصة على امور لا سند لها من الواقع ، مثل حديث مي عن قلبها الذي انبأها ان عليا حي يرزق بعد ان اشيع قتله . وبناءا على ذلك خرج " زاهل المناع " يبحث عنه ، فما هو مبلغ حديث القلب من الصدق والواقع !!؟

وقد حوت القصة صفحات تشير الى آراء المؤلف الخاصة المجانفة للحياة البدوية ، مثل حديث " دعد " الى مي عن الزيجة الناجحة ، ص ١١٦ . واما اللغة ، فبالرغم من انها سليمة بصفة عامة ، الا ان القاص جثم نفسه عنا انتقاء بعض الكلمات ، ليكسب اسلوبه قوة ، فبدت كرقع مستعارة لثوب خلق .

٤ . عبد الله نيازى - نهاية حب

" نهاية حب " اول قصة كبيرة يكتبها نيازى سنة ١٩٤٩ ، رسم

فيها بادي ذى بدء موظفا مثال العفة ونظافة اليد ، وأما برة كافحت صروف الحياة بشدة لتكتسب لقمة الخبز لاطفالها الصغار ، وفتى يقف فقره حائلا دون زواجه من احب . عرف الموظف بحسن الخلق وقناعة النفس ، كان يرفض الزواج ، اول الامر ، ولكنه رضي اخيرا ان يتزوج فتاة ، تصغره بسنين كثيرة . فانجب منها بنين وبنات . ثم نفس عليه زملاؤه مكانته وعلو مركزه ، فددت عقارب السعاية ، وحملت البوشايات الى رئيسه ما انزل الله بها من سلطان ، حتى فصل عن وظيفته . ثم اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ، وتشاء الاقدار ان يحقنه الطبيب خطأ بسم يقضى عليه .

وشقيت الام بتربية ابنائها ، ولما شبت ابنتها البكر عن الطوق ، تقدم الى خطبتها شاب رضيت به صهرا لها ، واضطرت ان تصحب ابنتها الى مقر وظيفة الزوج ، تاركة ابنها الكبير يقاسي آلام الوحدة ، الا انه

وجد في بيت خالته بعض السلوى ، ثم احب ابنة خالته وتقدم لخطبتها ، فرفض طلبه ، وحزّ في نفسه ذلك الرفض . ولكن الحب الذي اضطرم في قلب الفتى وجد له متنفسا في المطالعات الادبية ، "وهكذا كانت نهاية حبه ذكرى حلوة جميلة ، يستمد منها القوة في انتهاج مسلك الادباء " .

لن تجد احدا يؤمن ان القصة الجيدة يجب ان تقوم على المبالغة ، واختلاق الحوادث غير المعقولة ، لان القصة قطاع من الحياة ، تنساب انسياب الحياة في قلبها بين الخير والشر ، والسعادة والحزن ، والاقبال والادبار ، وعلى هذا لا يصح اطلاقا ان يعتمد القصص الى الربط بين فصول الكتاب برابط من الغرائب التي يستبعد وقوعها . وقد حفلت "نهاية حب" بالشيء الكثير من هذا الامر ؛ فليس مفهوما ، او متصورا ان يفصل شخص عن وظيفته ، بناء على وشاية مغرضه ، دون ان تشفع له خدماته الطويلة وسمعته الحسنة ، كما يستبعد وقوع خطأ كهذا الخطأ الذي وقع فيه الطبيب واّدى الى وفاة المريض ، ان ليس معقولا ان تترك "ابرة" قد ملئت سابقا ، بسم اعد لقتل كلب مسعور ، في غرفة لعمليات الزائدة الدودية ، في حين ان هنالك وسائل عديدة ، كان باستطاعة الكاتب ان يبيت بها الرجل ، كان يرفع - مثلا - درجة حرارته .

ولا يصح ان تنقلب عاطفة الام الحنون ، هذا الانقلاب الفجائي من النقيض الى النقيض ، فقد كانت شديدة العطف على اولادها ، تسهر على راحتهم وتحرص على مستقبلهم ، فما بالها تقابل ابنها الكبير بهذا الجفاء وتلك القطيعة ١١٢

ويؤخذ على الكاتب اسرافه في التفاصيل ووقوفه عندها ، حتى ليذكر ان مدير المدرسة اخذ الولد وارشده الى الصف (ص ٢٧) بعد ان تم قبوله في المدرسة .

كما لم تخل القصة من نصائح تعليمية ، ففي (ص ٣٢) تطرق الى شغل الطفل باللعب مذكرا الاباء ؛ بان اللعب ضروري للطفل على غرار ما يفعل رجال التربية .

ولست ادرى كيف فاته - وهو الموظف - ان المفصول من عمله لا يعطى راتباً تقاعدياً ، بل يمنح اكرامية تدفع له جملة واحدة (ص ٢١) . وكانت اللغة العقبة الكبرى في سبيل تطور القصة ، فهي ضعيفة ، تشيع بين سطورها اغلاط كثيرة . واداة مثل هذه غير طيعة بيد الكاتب ، لا تصلح للتحليل الذى حاوله القاص ، فافق في محاولته ، اذ جاء تافها سطحياً ، لم يقدر له الغوص في الاعماق . ولم تسعفه هذه اللغة نفسها على ان يلقي من الغوص على شخصيات القصة ، ما يكفى لتألقها وتجليها ، كي يستطيع القارئ ان يتعرف عليها ويدرك انفعالاتها بقوة ووضوح . في الواقع ، ان العمل الجيد بحاجة الى كثير من الاناة والصبر والى استعداد نفسي ، واداة طيعة ، لا تخذل صاحبها حين يريد ان يبرز مكونات النفس .

" وخلاصة القول ، ان القصة تكون معقولة ، ومحملة الوقوع ، عندما تتصرف شخصياتها ، كما تتصرف شبيهاتها في الحياة ، اذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها ، وكذلك عندما لا يخبط "القدر" خبط عشواء ، بل يتصرف تصرفاً لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات " . (١)

هـ . علي الشيباني - رنة الكأس

هذه الرواية - كما يحلو لمؤلفها ان يسميها - حيلة مظاهرات الكاتب واعجابه الشديد " برفائيل " للكاتب الفرنسي الرومانتيكي لا مرتين " وآلام فرتر " لغوته . وقصة تيمس ولبلى " ، انك تجد فيها عاطفة ملتزمة لشاب في عنفوان شبابه وذروة احساسه . ودموعاً غزيرة تعود الرومانتيكيون ان يذرفوها امام مذبح الحب المقدس . لقد احب "ع" "نون" وتطارحا الحب في لحظات سعيدة بعيدة

(١) الدكتور محمد يوسف نجم ، " فن القصة " ، ص ٤٥ .

عن عيون العذال والمترصدين . ولكن امرهم سرعان ما انكشف فغدو مضغة في انواء الاصدقا وغير الاصدقا ، هذا يلوم وهذا يطلب الكف والاقلاع عن الحب ، وهذا يصور الحبيبة اتيج تصوير . ثم يضطر الحبيب الولهان الى السفر عسى ان يسلو بعض الشيء ، ولكنه لم يزد الا حرقة وشوقا الى لقيائها . ولما عاد وجدها قد سافرت هي الاخرى . ثم يجمع الله الشيتين ، وباجتماعهما تزداد عقارب السعابة وتقف التقاليد حائلا بين سعادتهما التامة ، واخيرا يجد العاشق نفسه مضطرا ان يتزوج ابنة عمه . ولكن ابنة العم هذه - ليلة الدخلة - تستحلفه الله بحبه الشريف ان يدعها وشأنها ان هي الاخرى عاشقة . فيتركها الى السطح ليلتقي بحبيبته . وهناك تنتحر الحبيبة وتهدد نفس العاشق حشرات عليها ويلفظ نفسه الاخير فوق جسدها الهامد .

في هذه القصة ضعف بالغ سببه ضالة الحركة فقد اعتمد القاص على الحديث ، واستعان بالخيال يجمع به اشتات الموضوع ، يربط بسين فصوله ، بصور اقتبسها من قراءاته للروايات الرومانتيكية المفعمة بالعاطفة ، ولكن كثيرا من هذه الصور جاءت مجللة بالابهام محاطا بها " الغموض " ، ذلك لان الفنان يشبه طائرا جميلا رقيق الجناحين ، لا يستطيع ان يرفرف بجناحيه كثيرا امام الاعاصير^(١) . اضف الى ذلك ان اللغة كثيرا ما اتخذته ، فيلتوى عليه التعبير ، مع رغبته الشديدة في ان يتسامى بعاطفته ، ويعلو بها بعيدا الى الحد الذي وصل اليه لامرتين وغوته ، بضفا قريحتهما وسعة خيالها ، وقدم حرم القاص هاتين الصفتين ، لذلك جاءت بعض الحوادث مفتعلة ، وغالى في بعض الصور ، كأن تقذف الحبيبة والحبيب الدم من فيهما ، من غير احساس سابق بمرض . ولقد اطل كثيرا في ذكر العذال ، متبرما بامرهم ، حتى ليخيل الى القارئ ، ان امرحبه قد نشأ في الناس ، وملا اوقاتهم كانه حادث من حوادث العالم الخطيرة ، وقد عمد الى تصنيفهم

(١) مرتضى فرج الله ، " مقدمة " ، ص ٤ ، من رواية " رنة الكأس " .

الى ثلاث فرق شارحا عمل كل فرقة . (١)

ولم تبرأ هذه القصة من الداء الذي لحق اكثر القصص العراقية ،
داء الحشو والفضول ، مع الاعتراف بفضالة نسبه فيها ، فقد جاء في (ص ٢٣)
دفاع عن المرأة بأسلوب تقريرى محض ، واهدى رأيه في اللغة الفصحى
والشعر العائى بأسلوب المقالة الصحفية (ص ٣٥) ، وذكر دفاعا عن الفلاح
بعد ان وصف احواله وما يلقاه من ظلم (ص ٥٥) ، وقد ازدحت القصة
باغلاط كثيرة ، في الطبع وفي النحو والصرف وتركيب الجمل ، واما ما يبدو
من غموض في بعض جملها ، فناتج كما اعتقد ، من اغفال التنقيط ، واهمال
وضع الفوارز . ويلاحظ ان فورة العاطفة ، التي تجلت في القسم الاول من
القصة قد خفت حدتها ، واكتسبت القصة في اكثر الاحيان طابع السرد البسيط
الفاتر ، وتعليل ذلك : هو جنوح الكاتب الى اصطناع نهايات غير طبيعية ،
واعتماده على ذاكرته ، لتسجيل بقية حوادث القصة ، بعد ان تجردت من
فورة العاطفة ، وفقدت طابع التأجج واضطرام .

٦ . خالد الدرة - افول وشروق (٢)

يتسق هذا الاسم "افول وشروق" ، كما يقول الكاتب ، مع فكرة
الرواية ، التي تتلخص "بان ثمة فتاتين حسناوين ، اولاهما ثرية من
عائلة عريقة ، وثانيتها بنت كوخادمة ربيبة في نفس هذا البيت الثرى العريق .
تطورت بهما الاحوال ، فاذا بالاولى تسير بها المزلق حتى
تؤدى بها الى وهدة نتنة ، يأفل فيها نجمها ، واذا بالثانية تنتشلها
الافكار رويدا رويدا حتى تسمو ويشرق نجم سعدتها " . (٣) رقعة القصة
القصيدة واسعة جدا ، يبدأها الكاتب باواخر العهد العثماني ، ويجتاز بها

(١) "رنه الكأس" ، ص ٣٩ .

(٢) الفت سنة ١٩٥٣ .

(٣) خالد الدرة ، "افول وشروق" ، ص ٤ .

مرحلة الحرب العظمى الاولى .

يستعرض القاص ، التطور الذي طرأ على الأسر الكبيرة المشرية ،
 ان ينقلب حالها من هدوء ، وعيش مطمئن ساذج ، الى صخب الحفلات ،
 تنام في القصور الحديثة ، ذات الحدائق الغناء ، فيباح فيها ما هو محرم ،
 كمعاقرة للخمرة ، ولعب للقمار ، وانقضاء للرابطة الزوجية ، مع تحول مفهومها
 الى ما يشبه مفهوم الشؤون التجارية ، القائمة على المصلحة المشتركة . اما
 اشخاص الرواية فكثيرون ، بينهم الوالدان ، والابناء ، والخدم وبعض رجال
 الحي والشرط ، واصحاب الملاهي وصاحبات بيوت المواخير .
 وقد تضمنت القصة صوراً مستمدة من محيط البصرة وبغداد ،
 تشابهت فيها العادات واختلطت الصفات . كما ساج بنا الكاتب بين الطبقات
 الغنية السائدة ، والطبقات الفقيرة المسودة ، فوصف افراحهم وميولهم ،
 ورسم عاداتهم واهواءهم .

وما لا ريب فيه ، ان الكاتب تعرض - في قصته هذه - لخطر
 مشكلة ، تجابه تطور الحياة الاجتماعية في البلد الناشئ ، فتنبأ له ان يرسم
 لوحات زاهية الالوان ، ناطقة بالصدق ، تمثل الواقع اقوى تمثيل ، ولكنه
 اخفق في تصوير البعض منها فجاءت معتمة ، يحيطها ضباب وظلال ، يحجب
 الروية ، ذلك ، لان الكاتب ، وهو يكتب قصة ذات موضوع جليل ، لا يريد
 ان يتخلى عن مهمته كصحافي ، فتراه يصول كما يصول الصحافي ، يلتقط من
 هنا وهناك ، ما يزجي به فراغا ، ويسد نقفا ، لا يعنيه ان يحبك قصته ،
 بقدر ما يعنيه ان ينقد بقلمه اللانزع عيوب المجتمع الناشئ ، مشيراً الى
 الادواء الكثيرة في الجسم السقيم .

وابرز عيوب قصته هذه امران : هما التعليل والاستطراد ،
 فاذا تحدث عن شأن من الشؤون ، واحس بان القارئ قد لا يكون في
 جانبه ، او قد لا يؤمن بما يقول ، مضى بحماس يسرد العلل والاسباب
 ويبسط الامر بسطاً ، دون ان يدرك انه ، بعمله هذا ، قد ابتعد عن
 فنية القصة ، واقترب من روح البحث العلمي ، مثال ذلك براهينه التي

أوردها ليؤيد رأيه ، بأن جمال المرأة العراقية فريد في بابه ، قد لا يوجد له نظير في أم الأرض (ص ١٢٧) .

أما الاستطراد فيتجلى في ميله الى اشباع الموضوع والاحاطة باطرافه كلها ، حتى لينسى في كثير من الاحيان ، ما كان قد بدأ به اول مرة ، فقد تحدث عن المنافسة التي قامت بين عباس السومري والدكتور زيدان في خطبة " نصيرة " وكيف انتهت بانتصار عباس ، يؤيده ثراؤه وجاهه المزيف ، وانخذل الدكتور زيدان الذي نشأ فقيراً محروم الجاه والعال ، فلا يكتفى الكاتب بأن يجعل الامر اجمالاً ، بل يستطرد الى بحث طويل يتعلق بحياة عباس السومري ، ثم يتركه ليعود ، بعد حين ، الى الدكتور زيدان فيسهب الحديث عنه ، مع ان القارئ سبق واحس بانتقال الكاتب الى مرحلة اخرى من تطور هذه العائلة ، فلم تكن هذه " العودة " المفاجئة الا فضولاً وحشواً .

وهذا ما يدعو الى اعادة النظر في بعض الفصول ، لتجمع الشتات الى بعضها في مكان واحد ، تتقارب فيه وجوه الشبه ، وتتلاحم الصلات . وهناك عيب ثالث ، لا يقل خطراً عن العيبين الآنفين الذكر ، ان لم يكن اخطر منهما بكثير ، هو العيب الذي تحدث الكاتب عنه مصرحاً به ، قال : " ولما كانت الاسباب التي نوهت عنها لم تسعفني باتمامها في فرصة واحدة ، لان امد تعطيل المجلة ينتهي فاعود للانصراف الى عملي الصحفي فانسى هذه القصة ، وتتبعثر اوراقها ، وتضيع او يضيع قسم منها ، ولا اعود للتفكير فيها الا بعد ان تغلق الحكومة مجلتي ، واعود الى الاعتكاف في داري ، فابداً بهجمع ما تبعثر من اصول هذه القصة ، وابدأ بكتابة فصل منها حين تتوق نفسي للكتابة ، وكثيراً ما يكون الفصل الذي اكتبه بعيداً عن تسلسل هذه القصة " . (١) فهذا العيب ، جعله ينسى ، انه

(١) "افول وشروق " ، ص ٤ .

اخبرنا في (ص ٣٤) : ان شفيقة هانم ابنت قصرا لها جديدا ، وانتقلت اليه ، في حين ان حديثه في اواخر القصة ، يشعر بان الاسرة ما زالت في الزقاق الضيق من الحي القديم ، كما يفهم من بعض العبارات التي ساقها في (ص ٥٢) ان "شامل" قد اعتدى على "عفاف" فاطمة قبل ذهابه الى بيروت ، مع انه ذكر في (ص ٤٠) ان الامر قد حدث بعد عودته من بيروت .

ولم تبرأ القصة من الاسلوب الصحفي التافه ، مثل قوله (ص ٥٩) ، "ولا حاجة بنا ، ان نصف حفلة المهر وما اعقبها من حفلات ساهرة ، ودعوات عامرة ، ما دنا قد ذكرنا مبلغ ثرا" ووجاهة الطرفين ، وما اشتهدا به من اسراف وتبذير" . وبدا غير مفهوم ، ان يصف القاص "على ازغر" ، بائع الكباب ، صاحب الخلقة الدميعة ، يذى العيون السود والانامل الرشيق ، كما انه يصعب ان ينفس انسان عن قلقه النفسي ، بالنظر الى امرأة ، نظرات شهوانية ملتعبة . (١)

ظل امر آخر ، مستوحى من عرف الهيئة القائمة ، وتقاليد المجتمع الراهن ، هو ان المجتمع قد لا يقر الكاتب على ما ذهب اليه من وصف "الشروق" الذي احيط به فاطمة بعد سقوطها ، باكتساب المكانة الكبيرة ، والمنزلة المحترمة في عالم الفن والشهرة ، ذلك العالم الذي ما برحت الرذيلة تسير في ركابه ، الا ان هذا لا يمنعنا من التنويه بتوفيق الكاتب ، في وصف تطور نفسية فاطمة ، وتساميها ، حيث كانت تشمئز كل الاشمئزاز ، من للتدهور الخلقي الذي انحدرت الاسرة اليه ، تلك الاسرة التي ولدت فاطمة في بيتهم خادما . كما وفق التوفيق ذاته في رسم مراحل الانحدار الذي انساقته نصيرة اليه ، حتى امست اقرب الى المومس منها الى المرأة الشريفة ذات العيون والعفاف .

(١) "افول وشروق" ، ص ١٨ .

خاتمة

- ١ -

هذه الدراسة اول جهد مستكمل الجوانب ، احاط بجميع من كتب في الفن القصصي العراقي ، او حاول الكتابة فيه ، وقد ربطت اوليات هذا الفن بالمقامة الخامسة من مقامات ابي الثناء اللوسي ، في منتصف القرن التاسع عشر ، حيث وجدت فيها ادراكا ووعيا لانشاء قصة ذات لون محلي ، جانسف مفهوم المقامات الضيق ، وانطلق بعض الانطلاق من قيود المزداني والحريزي ، مع العلم انها لم تبرأ من السجع والفضول . كما اني ارى في الرواية الايقاظية ، ما يبرر وصلها بمقامة اللوسي في نواحي الروح ، والتفكير والمادة السجعية المتكلفة ، مع ملاحظة التوسع في اللون المحلي ، واخضاع القصة لغرض الاصـلاح الاجتماعي .

الى هنا ، يمكن ان ننسب التأثير الاكبر الى الادب العربي القديم . ولكن في محمود احمد السيد بدأت فترة ، انتهت صلتها بالماضي ، وفتحت صفحة جديدة ذات اثر غربي ، انحدر اليها ، اول الامر ، عن طريق البلاد العربية والشرقية .

- ٢ -

وقد عمدت الى تقسيم الحماد القصصي الى فترتين زمنييتين ، حصرت الاولى بين الحربين الكبيرين ،^(١) وتمثلت الثانية بما صدر بعد

(١) يلاحظ انني اضفت بعض الكتب التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية الى مؤلفات الكاتب في الفترة الاولى ، لانني لم اجد في بعضها تطورا وتقدما ملحوظين .

الحرب العالمية الثانية .

والفرق جلي بين الفترتين : يغلب على جيل الرواد اهمال النواحي الفنية ، وضعف الاسلوب مع تفاوت الضعف بين كاتب وآخر ، وغلبة الوعظ والخطاب ، والميل الى سرد الحوادث بصورة تقريرية ، دون العناية بالتحليل ورسم الشخصيات وضحالة الثقافة العامة .

اما الجيل الثاني ، فتحسن في نتاجه تقدما ملحوظا في المفهوم القصصي ، واطلاعا على النماذج الرفيعة في الادبين الغربي والعربي ، وعناية نسبية بالاسلوب ، وخضوعا لعوامل التيارات العقائدية ، وامعانا في ابراز الصور القاتمة من حياة الاشخاص والجماعات وتفننا في اختيار الموضوعات ، واقحام العامية في كيان اللغة الفصيحة ، رغبة من البعض في صدق التصوير . تلك احكام عامة تخضع لاستثناءات كثيرة ، لا بد منها اذا كان البحث - كهذا البحث - واسع الرقعة .

- ٣ -

ولا مراة ، ان القصة العراقية لما تبلغ بعد ، شأوا اختتما المصرية او اللبنانية ، ان ما زالت البيئة الادبية العراقية متأخرة ، لحرمانها من عناصر التقدم والنهوض المتيسرة في البيئات الادبية العربية ، مما يحملنا على القول والاشارة الى حاجتنا الماسة الى مزيد من العناية والعناء ، وطويل من الوقت والصبر حتى نلحق بهركب هذا الفن .

- ٤ -

وليس صحيحا . ان نرد جميع اسباب الضعف الى فقدان البيئة المواتية فهناك عوامل يحمل مسؤولية الكاتب نفسه : فالكثير منهم لا جلد له على المطالعات الجديدة ، والترود بالثقافات الراسخة ، تلك الثقافات التي تهب للاسلوب اشراقا ومتانة ، وللانكار قوة واصالة ،

وللنظرات في الحياة احتراما وتقديرا .
 وضعف اللغة الاجنبية ، او الجهل بها ، علة اساسية يشكو منها
 الكثير ، ولا يغنى الكاتب مطالعته الكتب العربية الموضوعة والمترجمة ، عن
 الوقوف على العقلية الغربية مباشرة ، فهذا امر له خطورته في تفهم
 التيارات الادبية ، والاحاطة بالاساليب الكتابية لدى اقطاب الفكر في العالم .

— ٥ —

ولست مستطيعا ان اسقط من حسابي اختفاء وسائل النشر
 الادبي ، تلك الوسائل التي اذا اتصفت بالقدر ، والفعالية خلقت حركة ،
 واقامت نهضة ، ورسمت للكتاب طريقهم الصحيحة ، بما تنقد ، وتعلق ، وتنشر
 كل جديد طريف ، وصائب الرأي وثابت ، فالمجلة الادبية ، عماد التجديد
 والارشاد ، قد حرمت منها البيئة الادبية العراقية حرمانا ، ضيع على
 ناشئة الادباء في البلد كثيرا من الفرص التي لو اتاحت لهم ، لعرفوا —
 بواسطتها — ميولهم وقابلياتهم ، ولما كنت ترى كاتباً قد سلخ من عصره
 اعواما ، واعواما ، يكتب ويؤلف على طريقة واحدة واسلوب واحد لم يصبيا
 تحسنا ولا تقدما .

— ٦ —

وظل المرأة في القصص العراقي باهت غير ظليل ، ولا حيلة
 لكاتبنا في ذلك ، فانهم يعكسون في كتاباتهم وضعنا راهنا يئن تحت اعباء
 التأخر ، فلا غرو ان تجد تجاربهم في هذا المجال غير اصيلة ، حتى ليختلط
 عليهم الامر ، فاذا تحدثوا عن المرأة الحرة ، خلت حديثهم لا يخرج عن
 نطاق المرأة الساقطة . وستظل القصة العراقية تعاني ضيق الافق ، ما ظل
 "نصف المجتمع" متواريا عن الانظار "لان القصة والرواية تصوير الحياة
 تصويرا صادقا ، تلمية العاطفة ويحلله العلم ولا سبيل الى هذا التصوير
 الصادق ، ما لم تشترك المرأة فيه بوحياها والهامها ، وما لم يتصل هذا

الروحي والالهام ، ليجدد فن الكاتب او الشاعر ، وليدفعنا اليه حياة فنية جديدة ، كلما آذنت قوته بالفتور او الضعف " ،^(١) وقد كان القصص الغربي قبل ازدهار المجتمع ، يقف عند اناشيد الحرب واخبار الفروسية ونوادر الملوك والعظماء ، ولما اخذ نصيبه من التطور ، واتيح للمرأة ان تأخذ دورها كاملا غير منقوص ، غدت مبعث الالهام لكاتب القصص الغربي^(٢) ولا ينكر اثر سيدات قصر لويس الرابع عشر في تعضيد الحركات الادبية ، ورعاية الادباء ، كما كان لسيدات صالونات الادب الكبرى في القرن الثامن عشر ، اليد البيضاء في الاخذ بناصر الكتاب^(٣) .

ولكن ما يغعم القلب املا ، ان المجتمع العراقي ، سالك سبيله الى التطور السريع ، باقبال الفتاة على التعلم والتزود بالثقافات المختلفة ، يحدوها الامل الوطيد الى مساواة الرجل مساواة تامة .
ولن تستطيع القوى الرجعية ان تقف بوجه السيل .

- ٧ -

مشكلة المشاكل التي تجابه القاص العراقي هي اللغة ، وقد عمد البعض الى استعمال اللهجة العامية في الحوار ، معتقدا ان فنية القصة ستظل مبتورة مشوهة ، لو انطق الرجل العامي الذي لا يعرف من الفصحى شيئا ، الكلام الفصيح المنق . وهذا رأى له وجاهته ، لان الفن القصصي يجب ان يكون تعبيراً صحيحاً عن واقع الابطال الحقيقي من غير تزييف ، واننا لو اعرنا لهجتنا ، وثقافتنا لمن نكتب عنهم ، لما استطعنا ان نكون مخلصين في التصوير والاثارة ، وخلق الانطباع اللازم . ولكن هنالك مشاكل

(١) محمد حسين هيكل ، " ادب القصص والرواية " ، السياسة الاسبوعية ،

العدد ٢٥٧ ، السنة الرابعة ، ٢٢ فبراير ١٩٣٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، " ادب القصة والرواية ونسب ضعفه في الاداب

العربية " ، السياسة الاسبوعية ، العدد ٢٥٨ ، ١٩٣٠ .

(٣) محمد حسين هيكل ، " ادب القصص والرواية ، بعض اسباب فتوره وضعفه " ،

السياسة الاسبوعية ، العدد ٢٥٧ ، سنة ١٩٣٠ .

عديدة تعترض سبيلنا الى ذلك : منها ان العامية ما زالت لهجة سايبه ،
 ينقصها الكثير من عناصر التعبير ، ويعوزها الضبط والاحكام^(١) ومنها ان
 العراقيين يتكلمون لهجات عامية تتباين شمالا وجنوبا ، وتختلف شرقا وغربا .
 وناهيك بالبلاد العربية ، فلكل قطر عربي لهجته العامية الخاصة ، ولن ينكر
 احد الصعوبة التي يعانيها العراقي في التحدث الى السوري ، او اللبناني ،
 او المصري ، وقد يجد احيانا ان الاستعانة باللغة الاجنبية يسرف في حصول
 التفاهم وضمن في ادراك المطلوب ، ولا يمكن لكاتب عراقي يستعمل اللهجة
 العامية ، كأداة للتعبير ، ان يظفر بمن يفهمه فهما صحيحا في اقطار الضاد^(٢) ،
 ولا عبرة بقدرة العراقي على تفهم اللهجات العامية المصرية واللبنانية ،
 فذلك ناتج عن شغفه الزائد ، بقراءة الصحف الصادرة في تينك البلدين ،
 واقباله على مشاهدة اشربة السينما المصرية ، التي تتخذ من العامية لغة
 الحديث والحوار .

ومهما يبدو ، من مبالغة في قول القائل : باننا ، باستخدامنا
 العامية نقطع الوشائج التي تربطنا باخواننا العرب ، الا انها جديرة
 باطالة التفكير ، واعمال النظر في المستقبل البعيد ، فلربما وجد من العوامل
 السياسية ما يأخذ بيد هذه النزعة الى التعزيد والتأييد ، حتى تبرز عامية
 كل قطر ، لغة لهما مميزاتها الخاصة ، فيضطر الحجازي الى تعلم المصرية ،
 ويجد العراقي نفسه مرغما على دراسة اللبنانية ، حتى يفهم ما كتب بهذه
 اللغة .^(٣)

(١) ابراهيم المازني ، " ابراهيم الكاتب " ، ص ١٢ .

(٢) علق احسان عبد القدوس ، رئيس تحرير جريدة روز اليوسف ، على
 " رأس الشيلة " المسرحية العراقية التي كتبت بالعامية : انه لم يفهم
 منها شيئا ، وقد اقتبست تعليقه جريدة الحرية البغدادية ، بعددها

١٧٧ ، الصادر في ١٠ / ٧ / ١٩٥٥ .

(٣) كامل الشناوي ، " الصراع بين العامية والفصحى " ، جريدة اخبار اليوم ،
 العدد ٥٣٣ ، السنة الحادية عشرة ، ٢٢ يناير ١٩٥٥ ، وقد استفتى

الكاتب فيها الدكتور طه حسين .

والذين يجذون العامة في الحوار يسرفون على انفسهم كثيرا ،
اذ يخيل اليهم ان الآخرين يريدون منهم ان يستعملوا لغة فريش الفخمة
مع جميع المحسنات البلاغية !^(١) وذلك امر غير واقع ، لان النقاد ، قديما
وحديثا ، اخذوا على الشعراء والكتاب زخرفتهم اللغة بتلك الصناعة ، التي
افسدت على الشعر سهولته وعذوبته ، كما يندر ان تجد كاتباً بين المحدثين
يعمد الى تلك الصناعة الثقيلة .

ليست العربية ، الوحيدة في مجابهة هذه المشكلة ، فلقد ظهرت
في كثير من آداب الشعوب الاوربية ، وبخاصة تلك التي لم تكن قد هذبت
فيها لغة التخاطب العادية ، تحت تأثير الكتابات الادبية .^(٢)
ان الواجب يقضي بان نعد العربية الفصيحة — وليست الفصحى —
لمطالب العصر ورغبات الشعب ، والا ظلت الهوة كبيرة بين الكاتب والجمهور .
وقد تهيأت في العصر الحديث " وسائل الاعداد " على اتمها ،
فهذه الصحف اليومية تنتشر في كل بلد ، وتلك دور الاذاعة تبت برامجها
في الناس كل ساعة ، يفهمها الجمهور ، ويستمتع اليها ملتذا باخبارها وطرائفها ،
ومعنى ذلك ان العربية تجابه تطورا لم تعهده من قبل ، تطورا قد
يؤدي الى تقريب الفوارق ، واختصار الحواجز بين العامة والفصيحة . كما
ان المدارس التي دخلت كل قرية ، وانبتت في كل زاوية ، ولاحقت حتى
حتى البدو والرحل ، تعلم صغارهم ، وتبصر كبارهم ، تمهد لسيادة اللهجة
الفصيحة في كل مكان . وفي مقدور الكتاب ان يساعدوا على اغناء الفصيحة ،

(١) انظر مقال عبد الملك نوري في مجلة الاسبوع البغدادية ، العدد ١٩ ،
السنة الاولى ، ١٥ نيسان ١٩٥٣ ، وانظر كلمته ايضا في مجلة
الاديب ، الجزء الثالث ، السنة الحادية عشرة ، مارس ١٩٥٢ ، وكذلك
انظر مقال نهاد التكرلي في مجلة الاسبوع ، العدد ٢٠ ، السنة
الاولى ، ١٥ مايس ١٩٥٣ .

(٢) المستشرق جيب ، " القصة المصرية " ، بالرسالة ، العدد ٨ ، السنة ١٩٣٣ ، ص ١٨ .

باستعمال الكلمات العامية ذات الطابع العام ، المفهومة لدى السواد الاعظم من الناس ، واذا اصررنا على اقام العامية في الحوار فلا ضير ان يكون الحوار قائما على انتقاء الكلمات من النوع الآنف الذكر . ولا يغرب عن البال ان بين العامية عددا لا يقع تحت حصر ، قد هبط من عليها اللغة الفصحى ، وانطلق على السنة الناس ، وبقليل من الجهد ، نستطيع ان نعيده الى مركزه السابق من حضيرة اللغة الفصحى ، وبهذه الوسيلة وبغيرها ، تنحطم الحواجز القائمة بين اللهجتين ، وينبثق منهما لغة واحدة ، يستعين بها الكاتب ويفهمها الجمهور ، عند ذاك تنتفى المشكلة من اساسها .

لا جرم ، ان الامر ينطوى على مشاق ، قد لا يطبقها ذوو الامزجة الرقيقة ، ولكن لا مناص لنا من العمل بجهد وشابرة ، ان اردنا ان نقوم بعمل يخدم اغراضنا ، ويعود بالنفع على الجميع ، ويحل مشكلة من اعقد المشاكل ، والا تكون دعوة اصحاب العامية في احلالها محل الفصحى ، كدعوة تعميم الجهل لانه سهل ، والغاء العلم لانه صعب المنال . (١)

— ٨ —

لا يمكن لاحد ، ان ينكر الدور الكبير الذى لعبته القصة العراقية في ميدان الكفاح الاجتماعي ، لقد بدأت رسالة اصلاح ، تستهدف تحقيق غايات اجتماعية وسياسية ، واستمرت تحمل رسالتها بهبر وجلد ، وامانة واخلاص .

ولكن ، ليس من المستحسن ان تقف القصة عند هذا الحد ، بل ينبغي لها ، ان تمد في اتجاهاتها ، وتوسع من رقعتها ، فالقن ليس وقفا على ميدان دون ميدان ، فهو واسع سعة الحياة الرحبة الفسيحة ، لا يضيق بشيء ولا يهرم بامر .

(١) كامل الشناوى ، " الصراع بين العامية والفصحى " ، اخبار اليوم ،

كما انى اصارح الكثير من كتابنا ، ان وسيلتهم في تناول هذا الفن واختيار الموضوعات غير مجدية كثيرا ، فان نتاجهم يبعث اليأس في النفس ، اكثر مما يشع الامل في جوانبها ، ويؤكد على الصور القاتمة من الحياة ، دون ان يجنح الى مجالها الباسمة الحية ، وربما كان ذلك نتيجة لتعصبهم لفكرة من الفكر ، او لمذهب من المذاهب ،* والكاتب الذى تكون نظرتة الى الحياة ضيقة ، بحيث لا يرى فيها غير الشر ، والعقد النفسية ، والانحرافات الخلقية هو كاتب ضيق الافق ، منكش على نفسه ، لان مثل هذه النظرة ، تتنافى مع طبيعة الحياة في اتساعها وشمولها وتناقضها في اكثر الاحيان .*(١)

ولن يجدينا ان ننظر بالمنظار الاسود ، لجميع مشاكلنا وادوائنا ، مهما بدت مستعصية الحل ، فليس كالحزن يقتل الهمة ، ويبعث الخدر في الاوصال ، فلننظر الى جميع تلك المشاكل من عل ، ناقلين بسخرية ، منددين بفكاهة ودعابة ، فذلك خير وابقى اثرا في النفس ، واكثر تحريضا على العمل وآلم لمن نعتقد فيه الخصومة .

وقمين بنا ، الا نستخر الفن القصصي الى مثل ما يسخر كاتب المقالة مقالته ، والخطيب خطابه ، هل يحسن بنا ان نعى فنية القصة وعبا تاما ، وان نلم بقواعدها واصولها بالاطلاع الكثير على النماذج الرفيعة في هذا المجال ،* لان الكاتب اذا اقحم فنه اقحاما للاشادة بفكرة ، او التغني بدعوة ، مسوقا الى ذلك بغرض من الاغراض ، او مخدوعا بتوجيه من التوجيهات ، دون ان يستجيب شعوره استجابة حقه لتلك الفكرة ، او الدعوة التي يتخذها محورا للاشادة والتغني ، فان فنه في هذه الحالة يخونه لا محالة ، وانه ليتمخض عن اباطيل لا يخفى تلفيقها على الناقد البصير .*(٢)

(١) الدكتور محمد يوسف نجم ، " فن القصة " ، ص ١٢٦ .

(٢) محمود تيمور ، " فن القصص " ، ص ١٠٥ .

اسماء مؤلفي القصص وكتبهم (١)

- ١ - ابراهيم ، عبد الله حلبي
" انا الجندي " ، مطبعة الصباح - بغداد ، ١٩٣٨ .
- ٢ - ابن الشراة ،
" فلسطين المجاهدة " ، مطبعة الهلال - بغداد ، ١٩٤٨ .
- ٣ - ابو طيخ ، علي
" قلب القرية " (قصة) ، مطبعة الغرى - النجف ، ١٩٥٢ .
- ٤ - احمد البكر ، رمضان
" الحان الشفاء " ، مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل ، ١٩٥٣ .
- ٥ - الاديب ، حسين
" المنتخبات من احسن القصص " ، المطبعة الحيدرية - النجف ، ١٩٥٤ .
- ٦ - الاسدي ، حسن
" مأساة فلسطين " ، مطبعة دجلة - بغداد .
- ٧ - الامام ، قاسم محمد نجيب
" الاماني الراحلة " ، مطبعة النجاح - بغداد .
- ٨ - الامين ، عبد الوهاب
" مجموعة قصص من الادب الحديث " ، مطبعة الثغر - البصرة .
- ٩ - ايوب ، ذو النون
" رسل الثقافة " (اقاويص) .
" الفحايا " (اقاويص) .
" صديقي " (اقاويص) ، مطبعة الاهالي - بغداد ، ١٩٣٨ .

(١) يضم هذا القسم جميع ما استطعت الوقوف عليه من كتب في الفن القصصي ،
ويؤسفني انني لم استطع الحصول على قصص الشاعر عبد الحسين الازري
وهي : بوران ، التاج ، بطل الحلقة .

- "وحي الفن" (اقاصيص).
- "الكادحون" (اقاصيص)، مطبعة ام الربيعين - الموصل، ١٩٣٩.
- "برج بابل" (اقاصيص)، مطبعة الاهالي - بغداد، ١٩٣٩.
- "العقل في محنته" (اقاصيص).
- "حيات" (اقاصيص)، مطبعة الاهالي - بغداد، ١٩٤١.
- "الكارثة الشاملة" (اقاصيص).
- "عظمة فارغة" (اقاصيص)، مطبعة الرشيد - بغداد.
- "قلوب ظمأى" (اقاصيص)، مطبعة الرابطة - بغداد، ١٩٥٠.
- "الدكتور أبراهيم" (قصة)، مطبعة ام الربيعين - الموصل، ١٩٤٠.
- "اليد والارض والماء" (قصة)، ١٩٤٨.
- "صور شتى" (اقاصيص)، مطبعة الرابطة - بغداد، ١٩٥٤.

١٠ - البهام، ساجد

• "الحياة البائسة"، مطبعة النجاح - بغداد، ١٩٥٣.

١١ - بطي، فؤاد

• "صیحات الفؤاد" (اقاصيص موضوعة ومترجمة)، مطبعة الصباح -

بغداد، ١٩٣٩.

١٢ - بلبول، يعقوب

• "الجمرة الاولى" (اقاصيص)، مطبعة المعارف - بغداد، ١٩٣٨.

١٣ - البياتي، محمد احمد

• "رسمي" (اقاصيص)، مطبعة الرشيد - بغداد، ١٩٤١.

١٤ - توفيق، محمد طاهر

• "عشاق متوجون"، مطبعة الزهراء - بغداد، ١٩٥٣.

١٥ - ج . لو .

• "شبهات وحلول"، "او" رواية رحلة ثلاثية، مطبعة المعارف -

بغداد ، ١٩٥٤ .

١٦ - الجادر ، زكي

" الى الابد " ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤٧ .

١٧ - الجبوري ، كامل ابراهيم

" الخطر الاكبر او الصهيونية " ، دار دجلة للطباعة والنشر -

بغداد ، ١٩٥٠ .

١٨ - الجبوري ، كمال

~~عبد الملك (مدرسة الشعرية) ، مطبعة الجامعة - بغداد ، ١٩٥٣ .~~

١٩ - جورج ، كارنيك

" سهاد البريثة " ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤٨ ، (اقاصيص) .

" دموع عذراء " (اقاصيص) ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤٩ .

٢٠ - الحبيب ، محمود

" صرعى " (اقاصيص) ، مطبعة الفري - النجف ، ١٩٤٩ .

٢١ - حسن ، عبد الله

" اقياس الغرام " ، مطبعة الجزيرة - بغداد ، ١٩٣٨ .

٢٢ - حسن ، زكي ابو انيس

" قعة في الحياة والحب " (رواية) ، مطبعة الجزيرة - بغداد ، ١٩٣٨ .

٢٣ - حسين " الشيخ " ، مرتضى

" قعة من الجنوب " (رواية) ، المطبعة العربية - بغداد .

٢٤ - حقي ، محمد ابراهيم

" مجموعة بين الحقيقة والخيال " (اقاصيص) ، مطبعة النجاة - بغداد ،

١٩٣٧ .

" ازهار شائكة " (اقاصيص) ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٠ .

٢٥ - الحلبي ، عباس الحلبي

" الالم العذب " ، مطبعة الفلاح - بغداد ، ١٩٥٢ ، (اقاصيص) .

- ٢٦ - الحلي ، فاضل جودي
 "التائه الحزين" (اقاصيص) ، مطبعة بغداد - بغداد ، ١٩٥٢ .
- ٢٧ - الحيدري ، صفا
 "يوميات مراهق" ، مطبعة الجامعة - بغداد .
 "حبث" (مسرحة شعرية) ، مطبعة التقدم - بغداد ، ١٩٥٢ .
- ٢٨ - خانقاه ، عبد الصمد
 "في الغاب" (اقاصيص) ، مطبعة زاهد - بغداد ، ١٩٥٢ .
- ٢٩ - خصباك ، شاكر
 "صراع" (اقاصيص) ، دار الفكرة للطبع والنشر - مصر ، ١٩٤٨ .
 "عهد جديد" (اقاصيص) ، دار مصر للطباعة - القاهرة ، ١٩٥١ .
 "انطون بلاخوف" (دراسة واقاصيص مترجمة) ، مطبعة الترابط - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٣٠ - خلوصي ، صفا
 "نفوس مريضة" (اقاصيص) ، مطبعة التفيض ، بغداد .
 "بنت السراج" (قصة) .
- ٣١ - الخليلي ، جعفر
 "يوميات جزآن" ، مطبعة الراعي - النجف ، ١٩٣٥ .
 "مجمع المتناقضات" (اقاصيص) ، مطبعة الراعي - النجف .
 "الضايح" (قصة) ، مطبعة الراعي - النجف ، ١٩٤٨ .
 "في قرى الجن" (قصة) ، مطبعة الراعي - النجف ، ١٩٤٨ .
 "تسواهن" ، مطبعة شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد ، ١٩٥٣ .
 "حديث القوة" (اقاصيص) .
 "اعترافات" (اقاصيص) .
 "اولاد الخليلي" (اقاصيص) ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٥ .

- ٣٢ - خماس، عبد الواحد
 "طريق الشوك" (اقاصيص)، مطبعة دار المعرفة، بغداد، ١٩٥٤ .
- ٣٣ - خضر، عبد الغفار
 "الدعوة الى خدمة العلم"، مطبعة الاخبار - بغداد، ١٩٥١ .
- ٣٤ - الداوودي، خلف شوقي امين
 "قصص مختارة (اقاصيص مترجمة)، دار احياء الكتب العربية -
 مصر، ١٩٣٤ .
- ٣٥ - داود، نور الدين
 "المصلح السجين او ضحية المكائد" (قصة)، مطبعة المعارف -
 بغداد، ١٩٥٠ .
- ٣٦ - الدرة، خالد
 "افول وشروق" (قصة)، مطبعة الوادي - بغداد، ١٩٥٣ .
- في قصص الاتهام" (اقاصيص)، مطبعة الرشيد - بغداد .
- "طبيعة الاشياء" (اقاصيص)، مطبعة دار السلام - بغداد، ١٩٥٥ .
- ٣٧ - درويش، شالوم
 "احرار وعبيد" (اقاصيص)، مطبعة الرشيد - بغداد، ١٩٤١ .
- "بعض الناس" (اقاصيص)، شركة التجارة والطباعة المحدودة -
 بغداد، ١٩٤٨ .
- ٣٨ - الذويب، بسيم
 "الثمرات" (اقاصيص ومقالات وشعر)، دار الطباعة الحديثة -
 بغداد، ١٣٤٦ هـ .
- ٣٩ - الراشدي، عبد الحميد
 "نور في العرب الكبير" (سراخية شعرية)، مطبعة الجزيرة -

- بغداد ، ١٩٣٦ .
- "ثورة العراقي للكبرياء" (مدرجة شعرياً) ، مطبعة الجزيرة -
بغداد ، ١٩٣٨ .
- ٤٠ - الراوي ، حامد غضبان
"ازاحة الستار" ، مطبعة الاعتماد - بغداد ، ١٩٥٠ .
- ٤١ - رشيد ، خليل
"الحياة قصص" (اقاصيص) ، مطبعة دار النشر والتأليف - النجف ،
١٩٥٢ .
- ٤٢ - رشيد ، صالح
"عدنا الى الخان الكبير" (اقاصيص) ، مطبعة الرشيد - بغداد ،
١٩٤٧ .
- ٤٣ - السامرائي ، عبد الرزاق
"الآسي الفيد" ، مطبعة الزهراء - بغداد .
- ٤٤ - السامرائي ، مهدي
"الهياكل" (اقاصيص) ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٤٥ .
- ٤٥ - السعيد ، احمد فائق
"اغرب الاحداث في علم الاشباح" ، مطبعة نجيب - بغداد ، ١٩٥٠ .
"قصة المجرم المتكرر" ، مطبعة نجيب - بغداد ، ١٩٥٠ .
- ٤٦ - سعيد ، ضياء
"صور الحياة" الجزء الاول ، مطبعة الغري - النجف ، ١٩٣٨ .
(اقاصيص) .
- ٤٧ - سلمان ، صلاح
"السجن الكبير" ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٤٨ - سليم ، نزار
"اشياء تافهة" (اقاصيص) ، مطبعة التقدم - بغداد ، ١٩٥٠ .
"فيض" (اقاصيص) ، مطبعة الجامعة - بغداد ، ١٩٥٢ .

- "اللون المقتول" (مترجمة) ، مطبعة الجامعة - بغداد ، ١٩٥٢ .
- ٤٩ - السيد ، محمود وإحمد
 "في سبيل الزواج" (قصة) ، بغداد .
 "مسير الضعفاء" (قصة) ، مطبعة الاعتماد - مصر ، ١٩٢٢ .
 "النكبات" ، مطبعة المعاهد - مصر ، ١٩٢٢ .
 "جلال خالد" (قصة) ، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٩٢٨ .
 "الطلائع" (اقاصيص) ، مطبعة الاداب - بغداد ، ١٩٢٩ .
 "في ساع من الزمن" (اقاصيص) ، مطبعة العهد - بغداد ، ١٩٣٥ .
- ٥٠ - شاول ، انور
 "الحمد الاول" (اقاصيص) ، مطبعة الجمعية الخيرية - بغداد ،
 ١٩٣٠ .
 "الحمد الثاني" (اقاصيص مترجمة) .
 "وليم قتل" (مترجمة) .
- ٥١ - شبر علي ، مبرزة حمزة
 "مأساة اخوين من اللاجئين" ، مطبعة الراعي - بغداد .
- ٥٢ - الشبيبي ، علي
 "رنة الكأس" (قصة) ، مطبعة الغري - النجف ، ١٩٣٦ .
- ٥٣ - الشهابي ، سعيد عبد الرزاق
 "مجموعة اقاصيص موضوعة" ، المطبعة العربية - بغداد ، ١٩٣٥ .
 "زهر البفسج" .
- ٥٤ - الشهاب ، شعاب رجب
 "سلى التغلية او قصة الفتح الاسلامي" ، مطبعة المعارف -
 بغداد ، ١٩٤٩ .
- ٥٥ - الشواف ، خالد
 "شمس" (مترجمة شعرية) ، دار المكشوف - بيروت .

- ٥٦ - الشويلي ، جليل نابه
 "عذراء بريئة" ، المطبعة العربية الحديثة - بغداد ، ١٩٤٨ .
- ٥٧ - صبرى ، ادمون
 "حصان الدموع" (اقاصيص) ، شركة النشر والطباعة العراقية
 المحدودة - بغداد ، ١٩٥٢ .
 "المأمور العجوز وقصص اخرى" (اقاصيص) ، مطبعة دار المعرفة -
 بغداد ، ١٩٥٣ .
 "قافلة الاحياء" (اقاصيص) ، مطبعة دار المعرفة - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٥٨ - الصغير ، علي
 "رواية مرجريت" ، دار النشر والتأليف - النجف ، ١٩٤٨ .
- ٥٩ - الصقر ، مهدي عيسى
 "مجرمون طبيون" (اقاصيص) ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٦٠ - الظاهر ، عبد الرزاق
 "عذارى بابل" ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، ١٩٤٧ .
 "صور من العراق" ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، ١٩٤٧ .
- ٦١ - الظريفي
 "في سبيل الوطن (تشيلية شعرية)" ، شركة التجارة والطباعة
 المحدودة - بغداد ، ١٩٤٨ .
- ٦٢ - عبد الله ، صبرى
 "البنادق المسروقة" ، مطبعة الاهالي - بغداد ، ١٩٣٩ .
- ٦٣ - عبد الخالق ، عبد الهادي
 "ضحية التهور" ، مطبعة الزهراء - النجف ، ١٩٤٨ .
- ٦٤ - عبد الرزاق - غالب
 "مصرع قلب وقصص اخرى" ، مطبعة الاعتماد - بغداد .

- ٦٥ - العبيدي ، وائل محمود
 "من المجتمع" ، مطبعة الراعي - بغداد .
- ٦٦ - عرب ، فهدى اغا
 "ثمن الشرف" ، مطبعة الرابطة - بغداد .
- ٦٧ - العزى ، خالد
 "عذراء الوادي" ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥١ .
 "ملكة الربيع" ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٠ .
- ٦٨ - العسكري ، رسول عبد الوهاب
 "روايتان تمثيليتان" ، مطبعة الجزيرة - بغداد ، ١٩٣٩ .
- ٦٩ - علاوى ، محمد كامل
 "رسائل الشوق" ، مطبعة الصباح - بغداد ، ١٩٤٢ .
- ٧٠ - علي ، جعفر الشيخ
 "آمال والام" ، مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل ، ١٩٥٣ .
- ٧١ - علي ، حمدى
 "شيخ القبيلة" (قصة) ، مطبعة دار الحديث - بغداد ، ١٩٥٢ .
 "باهرة" (قصة) ، مطبعة النجاح - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٧٢ - الشيخ علي ، عبد الرزاق
 "حصار الشوك" (اقاصيص) ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٠ .
- ٧٣ - العلي ، عبد الله احسون
 "ارنب" ، مطبعة الزهراء - النجف ، ١٩٥٠ .
- ٧٤ - فاضل ، عبد الحق
 "مزاج وما اشبه" (اقاصيص) ، مطبعة الربيعين - الموصل ، ١٩٣٦ .
 "مجنونان" (قصة) ، مطبعة الربيعين - الموصل ، ١٩٣٩ .
- ٧٥ - فتاة بغداد (ح . ١٠٠٠ هـ)
 "دما" ودموع" من مطبوعات الحصون - بغداد ، ١٩٥٠ .

- ٧٦ - فرمان ، غائب طعمة
 " حصيد الرحي " (اقاصيص) ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٧٧ - فؤاد ، فخرى عبد المجيد
 " مناضلون في الارض " ، شركة الطباعة - بغداد ، ١٩٥١ .
- ٧٨ - فيضى ، سليمان
 " الرواية الايقاظية " (مسرحة) ، مطبعة الحكومة - البصرة ، ١٩١٩ .
- ٧٩ - القره غولى ، عبد الستار
 " مسرحيات الاحداث " (شعرا) ، مطبعة التفيض - بغداد ، ١٩٥٣ .
- ٨٠ - كبرائيل ، اكوب
 " عجائب الزمان في صرح عروس البلدان " ، (قصة) ، المطبعة
 الكاظمية ، بغداد ، ١٩٢٨ .
- ٨١ - لطفي ، عبد المجيد
 " اصدااء الزمن " (اقاصيص) ، مطبعة الامة - بغداد ، ١٩٣٨ .
- ٨٢ - " قلب الام " (اقاصيص) ، مطبعة الصباح - بغداد ، ١٩٤٤ .
- ٨٣ - " عفيفة " (خواطر) ، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة -
 بغداد ، ١٩٥٣ .
- ٨٤ - " نظرات في الادب الكردي " بالاشتراك مع عبد السلام حلبي .
- ٨٥ - محمد الجوى ، جاسم
 " انتقام مطرقة " ، مطبعة الرابطة - بغداد .
- ٨٦ - محمد ، حرييه
 " من الجاني ؟ " مطبعة الجامعة - بغداد ، ١٩٥٤ .

- ٨٤ - مفتي الشافعيه ، محمود
 "نعمان" ، مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل ، ١٩٥٣ .
- ٨٥ - مكي ، كاظم
 "صفوان الاديب" ، مطبعة الفيحاء - البصرة ، ١٩٣٩ .
- ٨٦ - الملاح ، عبد الغني
 "المعلم عبد القدوس" ، مطبعة الاتحاد الجديدة - الموصل ، ١٩٥٣ .
- ٨٧ - ملول ، نسيم
 "رواية شهامة العرب" او "السموال وامروء القيس" ، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٩٣٨ .
- ٨٨ - ميخائيل ، فؤاد
 "عبون الليل" ، مطبعة الحداد - البصرة ، ١٩٥٣ .
- ٨٩ - نامق ، حسام الدين
 "رجل محترم" ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤٧ .
 "صورة" ، المطبعة العربية - بغداد ، ١٩٥٣ .
- ٩٠ - الناهي ، صلاح الدين
 "اقاصيص شتى" (اقاصيص) ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤٩ .
 "تنثية الاقاصيص" (اقاصيص) ، مطبعة اسعد - بغداد ، ١٩٥٢ .
 "بكلوريوس في الاداب" ، مطبعة دار المعرفة - بغداد ، ١٩٥٣ .
- ٩١ - النجار ، عبد الجبار شوكت
 "يوم الجلاء في سوريا" (مسرحية) ، مطبعة الزمان - بغداد ، ١٩٤٦ .
 "رسول النبي الى هرقل" (مسرحية) ، مطبعة الزمان - بغداد ، ١٩٤٧ .
- ٩٢ - النجفي ، عبد الرزاق حسين
 "ذل الاغنياء" ، مطبعة جريدة الخبر - العشار (البصرة) .
- ٩٣ - نديم ، محمود
 "رواية الفتاة العراقية" ، مطبعة الفلاح - بغداد .

١٤- نوري ،عبد الملك

- "رسل الانسانية" (اقاصيص) ،دار الامل - بغداد ، ١٩٤٦ .
- "نشيد الارض" (اقاصيص) ، منشورات الثقافة الجديدة - بغداد ، ١٩٥٤ .

١٥- نيازي ،عبد الله

- "همس الايام" (اقاصيص) ،مطبعة الشرق - بغداد ، ١٩٤٩ .
- "نهاية حب" (قصة) ،مطبعة الراعي - بغداد ، ١٩٤٩ .
- "بقايا ضباب" (اقاصيص) ،مطبعة الرابطة - بغداد ، - .
- "شجن طائر" (اقاصيص) ،مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٥٠ .
- "انا هيد" (قصة) ،مطبعة دار المعرفة - بغداد ، ١٩٥٣ .

١٦- الوتري ،اكرم

- "الايمان" (ليس في الكتاب غلاف فتعذر معرفة المطبعة وتاريخ الطبع .
- "سعيد رغم الالم" ،مطبعة الصباح - بغداد ، ١٩٤٥ .

١٧- الياسري ،فيصل

- "كانت عذراء" (اقاصيص) ،المطبعة العربية - بغداد ، ١٩٥٢ .
- "في الطريق" (اقاصيص) ،المطبعة العربية - بغداد ، ١٩٥٢ .

المصادر

- ١ - الآلوسي ، محمود ابو الثناء
" مقامات الآلوسي " ، طبعة حجرية بكر بلا ، سنة ١٢٧٣ هـ .
- ٢ - الامين ، عبد الوهاب
" مجموعة قصص من الادب الحديث " .
" من ليالي النعيم " ، اقصوصة نشرت بجريدة السياسة ، العدد ٣٧٥ ، سنة ١٩٣١ .
" قلبان " ، اقصوصة نشرت بجريدة السياسة ، العدد ٣٧٣ ، ١٩٣١ .
" حب مفاجئ " ، اقصوصة نشرت بجريدة البلاد ، العدد ٤١٤ ، ١٩٣١ .
" المخمور " ، اقصوصة نشرت بجريدة السياسة ، العدد ٣٨٧ ، ١٩٣١ .
- ٣ - ايوب ، ذو النون
" رسل الثقافة " :
" صديقي " ، مطبعة الاهالي - بغداد ، ١٩٣٨ .
" الكادحون " ، مطبعة ام الربيعين - الموصل ، ١٩٣٩ .
" برج بابل " ، مطبعة الاهالي - بغداد ، ١٩٣٩ .
" حبيات " ، مطبعة الاهالي - بغداد ، ١٩٤١ .
" عظمة فارغة " ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ٤ .
" قلوب ظمأى " ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٠ .
" الدكتور أبراهيم " ، مطبعة ام الربيعين - الموصل ، ١٩٤٠ .
" اليد والارض والماء " ، ٤ ، ١٩٤٨ .
" صور شتى " ، مطبعة الرابطة - بغداد ، ١٩٥٤ .
- ٤ - بطي ، سليم
" ضحية " ، اقصوصة ، نشرت بالبلاد ، العدد ٢٠٠ ، ١٩٣٠ .

١٠ - الداودي ،خلف شوقي امين

- "قصص مختارة" (ترجمة) ،دار احياء الكتب العربية - مصر ، ١٩٣٤ .
 "حسبية" اقصوصة ، نشرت بالبلاد ، العدد ٦٩ ، ١٩٣٠ .
 "المخابر المحلي" ، اقصوصة ، نشرت بصحيفة السياسة ، عدد ٣٨٠ ،
 ١٩٣١ .

١١ - الدرة ، خالد

- "افول وشروق" ، مطبعة الوادي - بغداد ، ١٩٥٣ .
 "في قفص الاتهام" ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ؟
 "طبيعة الاشياء" ، مطبعة دار السلام - بغداد ، ١٩٥٥ .

١٢ - درويش ، شالوم

- "احرار وعبيد" ، مطبعة الرشيد - بغداد ، ١٩٤١ .
 "بعض الناس" ، شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد ، ١٩٤٨ .

١٣ - رجب ، يوسف

- "نجم البقال" ، نشرت بجريدة الانباء البغدادية ، العدد الثاني ،
 ١٠ / ٧ / ١٩٥٤ ، السنة السادسة عشرة (تحت عنوان ثورة شعب) .
 "ينتقم لشرفه" ، مجلة الاعتدال النجفية ، عدد ٧ ، آب ١٩٣٣ .
 "ذبيحة" ، مجلة الاعتدال النجفية ، عدد ١٠ ، السنة الرابعة ، ١٩٣٨ .
 "الشيخ قادر" ، مجلة الاعتدال النجفية ، عدد ١٠ ، السنة الثانية ، ١٩٣٥ .

١٤ - روزنامجي ، محمد

- "عبيد الزمن" ، نشرت بالاديب ، جز ٨ ، آب ١٩٤٩ ، السنة الثامنة .
 "رائحة الحياة" ، " " " " ، ٤ ، ابريل ١٩٥٠ ، السنة التاسعة .
 "بشر وارض وزمن" ، مجلة الاداب ، العدد ١٢ ، كانون الاول ،
 ١٩٥٣ ، السنة الاولى .

١٥ - سعيد ، ضياء

"صور الحياة" ، الجزء الاول ، مطبعة الغرى - النجف ، ١٩٣٨ .

١٦ - سليم ، نزار

"اشياء تافهة" ، مطبعة التقدم - بغداد ، ١٩٥٠ .

"فيض" ، مطبعة الجامعة - بغداد ، ١٩٥٢ .

١٧ - السيد ، محمود احمد

"في سبيل الزواج" ، بغداد .

"مسير الضعفاء" ، مطبعة الاعتماد - مصر ، ١٩٢٢ .

"جلال خالد" ، مطبعة المعاهد - مصر ، ١٩٢٨ .

"الطلائع" ، مطبعة الاداب - بغداد ، ١٩٢٩ .

"في ساع من الزمن" ، مطبعة العهد - بغداد ، ١٩٣٥ .

١٨ - شاول ، انور

"الحصاد الاول" ، مطبعة الجمعية الخيرية - بغداد ، ١٩٣٠ .

١٩ - الشبيبي ، علي

"انة الكأس" ، مطبعة الغرى - النجف ، ١٩٣٦ .

٢٠ - الشهابي ، سعيد عبد الرزاق

"مجموعة اقاصيص موضوعة" ، المطبعة العربية - بغداد ، ١٩٣٥ .

٢١ - صدقي ، لطفي بكر

"جنون الحب" ، نشرت بالاخاء الوطني بالعدد ١٨ ، ١٩٣١ .

"نهاية حب" ، نشرت بجريدة الاخبار بالعدد ٤٣٥ ، ١٩٣١ .

"سكران" ، " " ، البلاد ، العدد ٤١٦ ، ١٩٣١ .

"صوت الحب" ، " " ، السياسة البغدادية ، العدد ٣٨٨ ، ١٩٣١ .

٢٢ - الصقر ، مهدي عيسى

"مجرمون طبيون" ، مطبعة الراهطة - بغداد ، ١٩٥٤ .

٣٠ - نوري، عبد الملك

"رسل الانسانية"، دار الامل - بغداد، ١٩٤٦.

"تشيد الارض"، منشورات الثقافة الجديدة - بغداد، ١٩٥٤.

٣١ - نيازي، عبد الله

"همس الايام"، مطبعة الشرق - بغداد، ١٩٤٩.

"نهاية حب"، "الراعي" - بغداد، ١٩٤٩.

"بقايا ضباب"، "الرابطة" - بغداد، -

"شجن طائر"، "المعارف" - بغداد، ١٩٥٠.

المراجع

- ١ - ابن الطفيل ، "حي بن يقظان" ، تحقيق احمد امين ، دار المعارف بمصر .
- ٢ - ابو شيكه ، الياس ، "روابط الفكر والروح" ، دار المكشوف - مطابع الاتحاد ، ١٩٤٥ .
- ٣ - ادريس ، سهيل ، "القصة العراقية الحديثة" ، الاداب ، الاعداد ٢ ، ٣ ، ٤ ، السنة الاولى ، ١٩٥٣ .
- ٤ - الاديب ، "في قرى الجن" ، الجزء الرابع ، سنة ١٩٤٥ .
- ٥ - ادهم ، علي ، "فيراتا او الهارب من الخطيئة" ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، سنة ١٩٤٨ .
- ٦ - اسماعيل ، محي الدين ، "حول نشيد الارض" ، جريدة لواء الاستقلال ، العدد ١٩٥٤ ، السنة التاسعة ، ٢٢ آب ١٩٥٤ .
- ٧ - الامين ، عبد الوهاب ، رسالة مخطوطة يحتفظ بها الدكتور محمد يوسف نجم .
- ٨ - ايوب ، ذو النون ، رسالة مخطوطة يحتفظ بها الدكتور محمد يوسف نجم .
- ٩ - البشير ، محمد مهدي ، "نهضة العراق الادبية" .
- ١٠ - بطي ، رفائيل ، "الادب المعاصر في العراق العربي" ، المطبعة السلفية - مصر ، ١٩٢٣ .
- ١١ - البياتي ، عبد الوهاب ، "ملائكة وشياطين" (شعر) ، مطابع دار الكشاف - بيروت ، ١٩٥٠ .
- ١٢ - التكرلي ، فؤاد ، "القصة العراقية والدكتور سهيل ادريس" ، مجلة الاسبوع ، العدد ٢٠ ، السنة الاولى ، ١٥ مايس ١٩٥٣ .

- "نشيد الارض لعبد الملك"، الاديب، الجزء العاشر، الكسنة
١٣، اكتوبر ١٩٥٤ .
- ١٣ - التكرلي، نهاد، رسالة مخطوطة وجهها الكاتب الى اخيه فؤاد التكرلي .
"العيون الخضراء وفن الاقصوطة"، مجلة الاسبوع، العدد ٢٠،
السنة الاولى، ١٥، مايس ١٩٥٣ .
- ١٤ - تيمور، محمد، "ما تراه العيون"، المطبعة السلفية - مصر، ١٩٢٧ .
- ١٥ - تيمور، محمود، "فن القصص"، مطبعة دار الهلال - مصر، ١٩٤٨ .
- ١٦ - جحا، شفيق، "القصة العربية في النهضة الادبية الاخيرة"، مجلة
العروة، العدد الاول، السنة الرابعة، كانون الثاني ١٩٣٩ .
- ١٧ - الجندى، انور، "قصة محمود تيمور" .
- ١٨ - الجواهري، محمد مهدي، "ديوان الجواهري"، مطبعة الغرى -
النجف، ١٩٣٥ .
- "حنانيك نفسي"، قصيدة بالاداب، العدد الاول، السنة الثالثة،
كانون الثاني ١٩٥٥ .
- ١٩ - المستشرق جيب، "القصة المصرية"، الرسالة، العدد ٨، بالسنة
١٩٣٣، ص ١٨ .
- ٢٠ - الحاني، ناصر، كلمة طبعت ضمن "تثنية الاقاصيص" .
- ٢١ - حسن، محمد عبد الغنى، "ثورة الخيام"، مجلة الثقافة، العدد ٦٧٧،
١٩٥١ .
- "الشعر العربي في المهجر"، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية،
١٩٥٥ .
- ٢٢ - الحديث (مجلة)، "القصة العربية"، العدد ٤، السنة الثالثة،
نيسان ١٩٢٩ .

- ٢٣ - الخاقاني ، علي ، " شعراء الحلة او البابلديات " .
 ٢٤ - خلومي ، صفاء ، كلمة ضمنها " تثنية الاقاصيص " .
 " فن القصة في العراق " ، الاديب ، يناير ١٩٥٤ .
 ٢٥ - خوري ، رثيف ، " الفكر العربي الحديث " ، مطابع دار الكشف - بيروت ، ١٩٤٣ .

- ٢٦ - درويش ، شالوم ، " رسالة " مخطوطة يحتفظ بها الدكتور محمد يوسف نجم .
 ٢٧ - دكروب ، محمد ابراهيم ، " عهد جديد " ، الاديب ، جزء ٩ ، السنة العاشرة ، ١٩٥١ .
 ٢٨ - ديفز ، " الاقصوة المصرية " ، الاديب ، جزء ١١ ، السنة الرابعة ، ١٩٤٨ ، ترجمة حسين نصار .

- ٢٩ - الرسالة (مجلة) ، " مجموعة قصص من الادب الحديث " ، العدد ١٨٦ ، السنة الخامسة ، ١٩٣٧ .

- ٣٠ - زكي ، احمد كمال ، " مجرمون طيبون " ، الهاتف ، عدد ١٢٩٦ ، السنة العشرون ، تموز ١٩٥٤ .

- ٣١ - السحار ، عبد الحميد جودة ، " همزات الشياطين " ، مطبعة مكتبة مصر ، سنة ١٩٤٦ .

- ٣٢ - السعدى ، فريد ، " مؤلف فطومه " ، الاديب ، الجزء الاول ، السنة الثامنة ، كانون الثاني ١٩٤٩ .

- ٣٣ - سكاكيني ، وداد ، " في ساع من الزمن " ، مجلة الحديث ، العددان الثالث والرابع ، السنة العاشرة ، اذار ونيسان ١٩٣٦ .

- ٣٤ - السياب ، بدر شاكر ، " ازهار ذابلة " (شعر) ، مطبعة الكرنك - مصر ، ١٩٤٧ .

- ٣٥ - السيد ، محمود ، "رد محمود السيد على وداد سكاكيني " ، مجلة الحديث ، العدد الخامس ، ايار ١٩٣٦ .
- ٣٦ - شاشه ، عبد الله ، "الكيان الفني بحيف 'معطرة' ، الاديب ، الجزء السادس ، السنة الثامنة ، سنة ١٩٤١ .
- ٣٧ - شرارة ، عبد اللطيف ، "صراع " ، الاديب ، العدد السابع ، ١٩٤٩ .
- ٣٨ - الشناوى ، كامل ، "الصراع بين العامة والفصحى " ، جريدة اخبار اليوم ، العدد ٥٣٣ ، السنة الحادية عشرة ، ٢٢ يناير ١٩٥٥ .
- ٣٩ - صدقي ، نجاتي ، "موباسان في مبادئ وفنه " ، مجلة الكتاب ، المجلد السادس ، السنة الثالثة ، حزيران ١٩٤٨ .
- ٤٠ - هدى بابل (جريدة) ، الاعداد ١٩ ، ١٧ ، ٣٦ ، صدرت سنة ١٩٠٩ في بغداد ، محررها داود صلبوا .
- ٤١ - ضيف ، شوقي ، "دراسات في الشعر العربي المعاصر" ، مطبعة دار الهنا - مصر ، ١٩٥٣ .
- ٤٢ - عباس ، احسان ، "عبد الوهاب البياتي والشعر العراقي الحديث " ، دار بيروت ، ١٩٥٥ .
- ٤٣ - عبد القدوس ، احسان ، "معلق على رأس الشليلة " ، اقتبسته جريدة الحرية من روز اليوسف ، بعدتها ١٧٧ ، ١٧ / ١ / ١٩٥٥ .
- ٤٤ - العجلي ، معن ، "يوسف رجب فقيد الادب العربي " ، مطبعة الغرى - النجف ، ١٩٤٧ .
- ٤٥ - علي ، مصطفى ، "محاضرات عن معروف الرصافي " ، دار مصر للطباعة - القاهرة ، ١٩٥٤ .

- ٤٦ - العمرى ، خيرى ، "خلف شوقي الداوودى" ، جريدة الطريق ،
العدد ٤٠ ، السنة الاولى ، ١٩٥٤ .
- ٤٧ - عنان ، محمد عبد الله ، "ادب القصة والرواية وسبب ضعفه في الاداب
العربية" ، السياسة الاسبوعية ، العدد ٢٠٨ ، ١٩٣٠ .
- ٤٨ - فرج الله ، مرتضى ، "مقدمة رواية رنة الكأس" .
- ٤٩ - الفكيكي ، توفيق ، "الاديب الشهيد" ، مجلة الغرى النجفية ، العددان
٢٢ و ٢٣ ، السنة الثانية ، ١٩٤٧ .
- ٥٠ - قلعة جي ، قدرى ، "الدكتور ابراهيم" ، المكشوف ، العدد ٢٦٦ ،
السنة السادسة ، ١٩٤٠ .
- ٥١ - الكاتب المصرى (مجلة) ، "في قفص الاتهام" ، المجلد الرابع ، العدد
١٦ ، السنة الثانية ، يناير ١٩٤٧ .
- ٥٢ - كبه ، محمد مهدى ، "الفقيد العزيز" ، الغرى ، العددان ٢٢ / ٢٣ ،
السنة الثانية ، ١٩٤٧ .
- ٥٣ - كراتشوفسكي ، "الادب العربي الحديث" ، الرسالة ، المجلد الثاني ،
السنة الرابعة ، ١٩٣٦ ، ص ١٨٠٨ .
- ٥٤ - الكتاب (مجلة) ، "ثورة الخيام" ، العدد ٦٧٧ ، ١٩٥١ ، ص ١٩٩ .
- ٥٥ - لطفي ، عبد المجيد ، رسالة مخطوطة بعث بها الى الكاتب .
- ٥٦ - المازني ، ابراهيم ، "ابراهيم الكاتب" .
- ٥٧ - محي الدين ، عبد الرزاق ، "المشكلة الادبية في العراق" ، مجلة
المعلم الجديد ، جزء حزيران ١٩٥٢ .

- ٥٨ - المقدسي ، انيس الخورى ، "الاتجاهات الجديدة في الادب العربي الحديث" ، منشورات كلية العلوم والاداب في الجامعة الاميركية ، ١٩٥٢ .
- ٥٩ - المكشوف ، "في قرى الجن" ، العدد ٤٠٢ ، السنة الحادية عشر ، نيسان ١٩٤٥ .
- ٦٠ - الملائكة ، نازك ، "ديوان شظايا ورماد" ، مطبعة المعارف - بغداد ، ١٩٤٩ .
- "عاشقة الليل" ، لم يذكر اسم المطبعة ، ١٩٤٧ .
- ٦١ - مندور ، محمد ، "في الميزان الجديد" ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ، سنة ١٩٤٤ .
- "في الادب والنقد" ، مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة ، ١٩٥٢ .
- ٦٢ - نجم ، محمد يوسف ، "القصة في الادب العربي الحديث" ، دار مصر للطباعة - القاهرة ، ١٩٥٢ .
- "فن القصة" ، دار بيروت ، ١٩٥٥ .
- ٦٣ - نعيمه سيخايل ، "جبران خليل جبران" ، مكتبة صادر - بيروت ، ١٩٥١ .
- "في الادب العربي الحديث" ، اصدرته هيئة الدراسات العليا في الجامعة الاميركية ، ١٩٥٤ .
- ٦٤ - نوري ، عبد الملك ، "حول العامة والفصحى" ، مجلة الاسبوع البغدادية ، العدد ١٩ ، السنة الاولى ، ١٩٥٣ .
- الاديب ، الجزء الثالث ، السنة الحادية عشر ، مارس ١٩٥٢ .
- "صور خاطفة من حياتنا الادبية" ، جريدة اخبار الساعة البغدادية ، عدد ٤ ، ١٩٥٣ .

المراجع الانكليزية

1. Allen, Walter, The English Novel: A Short Critical History, Phonenix House, Ltd., London, 1954.
2. Encyclopedia Britannica, 17/68, Item Joyce.
3. Gilbert-Stuart, James Joyce's Ulysses "study", Alfred A. Knopf, New York, 1930.
4. Givens-Seon, James Joyce: Two Decades of Criticism, Vanguard Press, Inc., New York, 1948.
5. Good Reading, Prepared by the Committee on College Reading, A Mentor Book, published by the New American Library, 1951.
6. Maugham - W. Somerset, Ten Novels and Their Authors, William Heiniman Ltd., Windmill Press, Great Britain, 1954.
7. Tindall, W.Y., James Joyce: His Way of Interpreting the Modern World, Charles Scribner's Sons, New York, London, 1950.